

أحمد محمد عيسى

قصة وخالد

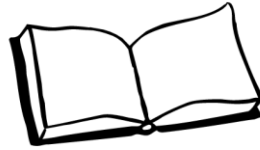


دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2020

قصة وخلق

قصص للناشئة

أحمد محمد عيسى



قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني

kesasandhekayatpub.blogspot.com

العنوان: قصة وخلق

النوع الأدبي: قصص للناشئة [\(الفهرس\)](#)

المؤلف: أحمد محمد عيسى عبدالرحمن [\(نبذة\)](#)

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحي

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2020

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 99

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2020
الدار غير مسؤولة عن أفكار الكتاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكتاب وحدهم المسؤولون
عنها.

[الموقع الصفحة الجروب](#)

الإهداء...

إلى الفراش الهائم.. والزهر الحالم.. إلى كل أطفال العالم!

أحبوا الخير وانشروه، وابتغوا الشر وقاوموه، اسعدوا بفطرتكم الربانية.. وبراءتكم

الإنسانية!

أحمد محمد عيسى

المقدمة

لقد بثَّ المؤلف في هذه المجموعة القصصية "قصة وخلق" كثيراً من السلوكيات الحميدة، والأخلاقيات الكريمة، كتبها في قالب قصصي راعى فيه اليسر والسهولة، والإثارة والتشويق، في غير تجنٍ على اللغة، أو تجافٍ عن قواعدها وأصولها، مراعيًا في ذلك كله - قدر طاقته - الآداب الفنية لكتابة القصة، من حوار متنامٍ، وإعتماد وتنوير، وعقدة وحل، في غير خطابية مكرورة، وبمنأى عن الوعظ المباشر الممجوج، في أسلوب أدبي يصقل لغة الطفل ويرقى بها.

وقد هدف الكاتب، من وراء هذه القصص، إلى إبراز قيم وفضائل إنسانية لا يختلف في أهميتها محلل ولا ناقد، فضلاً عن قارئ أو مطالع؛ لأن القيم الفاضلة مثل الصدق والأمانة، والتراحم والعطاء، والكرم والجود، والتعاون والإيثار، والروح الرياضية والوفاء، والرضا والقناعة، والنشاط والمسارة، ومراعاة الحقوق والواجبات، كلها معانٍ إنسانية يقرها كل دين، ويقدرها كل قانون، ويرجوها كل مجتمع.

ولعل المؤلف قد يكون وُفق في أن تكون هذه القصص صالحة تربوياً لأن يُقرر منها مختارات تضيء قطاع التعليم في مرحلة رياض الأطفال والتعليم الابتدائي؛ لأنه في كثير من هذه القصص يدور الحديث والحوار بين المعلم أو المعلمة وبين التلاميذ والتلميذات، وقد لطف هذا الحوار من رتبة عرض الكتب النظرية، وسأمة النصح

المعتاد؛ بأن أضاء مصباحاً ينير السلوك الحسن بعد أن بشع المسلك القبيح في موازنة مقصودة ومقارنة متوخاة، وإن ترك الكاتب نيتها للقارئ صغيراً كان أم كبيراً. لعلني أزعج - أيضاً - أن هذه القصص ليست حكرًا في فائدها على عالم الأطفال البريء فقط، بل ربما أفاد منها المعلمون والتربويون وأولياء الأمور؛ لأنها قصص تدعم جهود الوالدين، وتزجي لهم تجارب واقعية للإفادة والتطبيق العملي. ويعتز الكاتب بتأثره بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في استلهام موضوعات قصصه، وغايات حكاياته، وإنه ليرجو أن يكون قد أحسن الفهم عن القرآن الكريم وتفسيره، وأصاب في التلقي عن دواوين السنة الصحيحة وشروحها في غير اعتساف ولا تشدد.

أخيراً.. يرجو الكاتب أن ينفع الله بما خطَّ ودوّن، وبما أَلَّف وجمع، وإن هذا الكتاب - في النهاية - لا يحمل توجهاً مذهبياً، ولا تعصباً فكرياً، بل هو جرس إنساني، ينذر ويحذر من قبيح الأقوال والأفعال، ويبارك قيم الحق والخير والجمال.

أحمد محمد عيسى

من أنقذنا؟

ذات يوم وقعت جفوة ووحشة بين زوجين آلت إلى مشادة ثم خصومة بينهما؛ تركت الزوجة على إثرها بيت الزوجية مغضبة آخذةً معها ابنتها الصغيرة (حنين)، تاركةً مع زوجها ولدها الأكبر (حميد).

أراد الزوج أن يسلي ابنه (حميد) عن بُعد أمه، فطفق يعده ويؤمنيه بأنه سيشتري له ألعاباً كثيرة، وسيصحبه إلى المتنزهات والحدائق وأماكن اللهو واللعب.

كما رغبت الزوجة في أن تُسرّي عن ابنتها (حنين) فراقها لأبيها وأخيها، فصنعت معها ما فعله الزوج لإرضاء ولده الصغير (حميد) وإلهائه.

عبتاً حاول أقرباء الزوجين الصلح بينهما؛ إذ كان كل من الزوجين قد تملكه العند، واشتطت به لاجاة الخصومة، فكان كلاهما يرى نفسه غير متلبس بخطأ، ولا واقعاً في إساءة، فضلاً عن أن يكون مقتحماً إثمًا، أو مقارفاً لجريرة.

كان اليوم يوم سبتٍ وقد صادف إجازة عمل الزوج الذي اصطحب (حميد) مع بعض عماته وأبنائهن إلى منطقة أهرامات الجيزة، حيث شاهد الجميع الأهرامات الفرعونية، وركبوا معاً عربة تجرها الخيول، ثم شجع الأب (حميد) على أن يستظهر معه فرساً من دون عربة.

في الوقت الذي كانت فيه الزوجة قد استقلت مع بعض أخواتها وأولادهن الأتوبيس النهري، ثم بدا للجميع الاتجاه إلى حديقة الحيوان عن طريق حافلة نهر النيل ومحطتها المتاخمة للباب الرئيسي للحديقة.

بعد رحلة الأهرامات اتجه الزوج ومن بصحبته إلى حديقة الحيوان، ليكملوا يومهم في التنزه والفسحة والاستمتاع، في الوقت نفسه الذي قصدت فيه الزوجة ورفقتها حديقة الحيوان التي وعدت ابنتها (حينئذ) بزيارتها.

وتجولت الأسرتان -دون تلاقٍ- في ربوع الحديقة الفسيحة، فشاهدوا الفيل، وفرس النهر، وبيت الزواحف، والزرافة، والنعام، والغزلان، ومكثوا ملياً عند جبالية القروء، ثم هموا قاصدين بيت الأسود.

وعند الأسود الجائعة، وكان وقت غدائها؛ ما إن فتح أحد حراس الأسود شيئاً من باب القفص ليدخل وجبة الغداء من خلاله حتى فاجأه أسد هائج دفع فتحة القفص بشراسة فأوقع الحارس، وقفز الأسد هائجاً صوب زائري الحديقة.

عندها تعالت الأصوات، وتوالت الصرخات، وتتابعت الاستغاثات والاستنجات، ودوّت أجراس الخطر، وصفارات الإنذارات؛ فانهار كثير من النساء، وسقط كثير من الأطفال على وقع أقدام ركض الكبار، وفرار كثير من الرجال. في هذه اللحظات العصبية، لمح الزوج زوجته محتضنة حينئذ، فهرع إليهما وارتمى عليهما واحتضن علي

الفور زوجته وابنته حنين وضمهما إلى حميد، وسرعان ما جعل من جسده ساتراً لهم جميعاً.

وشرع يحوط بهم ويحميهم ولم يفكر مطلقاً في فرارٍ أو هروب، وقد احتوت الأم بدورها ولديها، وأحكمت تأمينهما في حضنها وبين يديها منعطفةً بشقها الأعلى كله عليهما.

وفي اللحظة التي انطلق الأسد لافتراس الأسرة، وعندما استجمع السبع قواه وقفز ضارباً الأرض وطائراً في الهواء أسكتت زئيره رصاصات مخدرة انهالت عليه تتناوشه في أجزاء معينة من جسده، أطلقها ضباط إدارة إنقاذ وأمن الحديقة بعناية ودقة وسرعة معاً، فخر الأسد صريع التخدير على بعد مترين من الأسرة.

وعندما فتح حميد وحنين أعينهما متوجسين وجلين مرعوبين، ألفيا والديهما كشجرة مثمرة مغدقة متشابكة الأغصان تظلانها في حنو وحنان، فسألت (حنين) أخاها: حميد.. ترى من أنقذنا بعد الله.. حنان أمي أم بسالة أبي؟!!

التقليد

في جلسة سمر صيفية على أحد شواطئ الإسكندرية، جلس الوالدان مع ولديهما (عدنان، ولينة) يتحدثان ويتسامران.

كان الأب كل ليلة يفتح موضوعاً للحوار حيناً، وكانت الأم تستشير في ولديها ما يُعرف بالعصف الذهني حيناً آخر.

الأب: لاحظتُ أمكما أن عدنان يحاكيني مشيةً وصوتاً، وأسلوباً وطريقة، كما لاحظتُ أن لينة تشابه أمكما استجابةً وانفعالات، وبسماتٍ وضحكات.

الأم (متهللة): ليس غريباً ما تحكيه، هذا جزء من الفطرة وأثر التنشئة اللصيقة؛ ما يُفضي إلى التأثر بأحب الناس وأقربهم، أليس الشاعر يقول:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمِ... وَمَنْ يُشَابِهْ أَبُهُ فَمَا ظَلَمَ

عدنان: أبي، إن هذا يحدث معي سجيةً دون تصنعٍ مني أو تكلف، ثم هل هناك من هو أفضل منك كي أحاكيه أو أتأثر به؟

لينة: أمي؛ كيف لا أتأثر بك وأنت تملئين عليّ حياتي، فقد يغيب أبي عني لساعاتٍ أو أيامٍ طوالٍ لعملٍ وسفرٍ ونحوهما، فأجدك تظليني ليلَ نهار، ولا يبعدني عنك إلا

مدرسة ومدارسة، أو قيلولة ونوم، بل إنك تشاركني مخدعي أيضاً حين أكون مؤرقة،
أو متعبة، أو مريضة.

الأب: هذا حسن، إنما أردت أن أشير إلى أن الإسراف في التقليد يمحو شخصية
المقلد، فيتماهى فيمن يحاكيه، فيصير شخصاً غريباً لا هو صار مثل أسوته وقدوته
الذي يحبه ويُقلده، ولا هو احتفظ لنفسه بمعالم شخصيته متفرداً، سمتاً وروحاً، فكراً
واعتقاداً، أداءً وعملاً.

الأم: بهذا الإيضاح من أبيكما يتبين لنا أن المرفوض هو الغلو في المحاكاة والإسراف
في التقليد؛ لأنهما يؤديان إلى مسخٍ يشوب شخصية المقلد (المحاكي) يحجبه عن
جمال التفرد وكمال الاستقلالية.

عدنان: فهمتُ يا أبتى، فكم علمتنا كثيراً أن الفطرة والتلقائية أشرق وأنصع في
الإنسان من التكلّف والتصنّع والتقليد والمحاكاة.

وقد صدع القرآن الكريم بنفي التكلّف والتصنّع عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
فقال: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [سورة ص، الآية: ٨٦].

لينة: أنا معكم تماماً. بل هناك عيب آخر يشين التقليد وهو قصر العمر والنفس، فمن
يقلد كبار المبدعين على المستوى الفني، أو الرياضي، أو حتى على مستوى تلاوة
القرآن وتجويده قد يلتمع قليلاً، ثم سرعان ما تنطفئ أنواره؛ لأنها في الحقيقة ليست
أنواره هو بل هي أثاره ومسحة من بهاء من يقلده.

والمقلد بهذا يضع نفسه في منزلة بين المنزلتين لا هو المبدع الفني أو الرياضي، أو الشيخ القارئ، أو الخطيب الأصيل، ولا هو شخصية مبدعة مستقلة لافتة أو جذابة.

الأب: أحسنتم جميعاً، يُضاف إلى هذا أن المقلد يُعلن بتقليده عن بضاعته المزجاة في الإبداع والعلم والفقهِ، فلو كان المقلد مليئاً فناً وأدباً، وعلماً وفقهاً، وثقافة وأصالة وحضوراً لفاض كل ذلك وانساب رقراقاً من جوانبه وتفجّر من حناياه ولما احتاج إلى أن يقلد غيره.

الأم: كما أن التقليد غالباً يُعنى فيه صاحبه بالشكل لا بالروح، وبالألفاظ والأصوات دون المعاني، وبالقالب دون المحتوى والمضمون.

عدنان: نعم.. ذلك لأن المحاكاة تكون غالباً لظواهر الأشياء، أما الجوهر فهو غيب مكنون، لا يستطيع المقلد تناوشه من مكان قريب ولا من بعيد.

لينة: حقاً.. وبهذا يكون من الأفضل طرح التقليد، اللهم إلا ما كان عفوَ الخاطر من التأثر غير الراصد ولا المتتبع ولا المستفز أحياناً!

الأب: وبذلك يمثل التقليد قشرة سطحية إذا ما تعرضت لأدنى اختبار أو احتكاك، أو لعلّة عارضة من مفاجأة، أو خوف، أو مرض، سرعان ما تزول هذه القشرة ليظهر من خلفها الجوهر على حقيقته المتواضعة.

الأم: زوجي الحبيب، بالمثل يتضح المقال: وإنا لنطمع في مزيد شرح وبيان.

الأب: قد أدركنا الوقتُ لكنْ سريعاً.. كان هناك أسرة تفتني ببغاء، كانت هذه الببغاء مؤلعة بتقليد الأصوات من حولها، وصارت بارعة في ذلك حتى قلّدت أصوات من بالمنزل جميعاً.

وذات يوم في غفلة من الأسرة، تسلل ثعبان من نافذة تطل على حديقة المنزل، وما إن سمع الثعبان صوت الببغاء حتى انقض على القفص الذي يضمها يريد ابتلاعها، فصرخت الببغاء مرعوبة مستغيثة.. صرخت بصوتها الحقيقي الأصيل في وقتٍ ضلّ عنها التقليد ولم يُغنِ عنها من الهلاك شيئاً!

عدنان ولينة (معاً): فهمنا ووعينا يا أطيب والدين وأحسنهما.. لا للتقليد بعد اليوم؛ فإن كنا لا محالة فاعلين فهو التأثر الذي يحفظ علينا شخصيتنا وكياننا وذاتنا!

الأمير الأجير

قديمًا كان هناك ملك يُدعى الملك "حرب"، كان هذا الملك يقدر قيمة العمل، حيث إنه لم يتسنم سُدّة حكم البلاد وراثته عن أبيه.

وإنما نشأ الملك "حرب" فقيرًا في أسرة رقيقة الحال، إلا أنه كان عصاميًا طموحًا فاجتهد في العلم والسعي والعمل، ثم التحق بالخدمة الملكية حتى صار قائدًا عظيمًا من قادة الجيش.

أسند ملك البلاد إلى "حرب" إمرة الجيش، فصار "حرب" أميرًا للجيش، ثم ما لبث الملك أن تُوفي ولم يكن له ذرية تخلفه في حكم البلاد.

أشارت زوجة الملك بعد وفاته إلى الملاء بأن أجدر من يقود البلاد بعد نجاحه في قيادة الجيش هو الأمير "حرب"، فرضي الملاء بما أومأت إليه زوجة الملك السابق، وصار القائد "حرب" ملكًا للبلاد وزوجًا للمليكة.

تُوفيت زوجة الملك "حرب" بعد سنوات قليلة، فتزوج الملك بغيرها، ثم أنجب ولدًا أسماه "سهل"، كبر "سهل" وصار غلامًا، ثم فتى، ثم شابًا.

لاحظ الملك "حرب" أن "سهل" يجنح إلى الدعة ويميل إلى الترف؛ فخشي عليه أن تُترفه النعمة وتُطغيه الإمارة، فعهد به إلى بعض العلماء فأدبوه وعلموه، ثم دفع به إلى

كبار أصحاب المهن والحرف ليجيد حرفة توافقه على أن يمارسها إلى حد الإتقان والبراعة.

أصدر الملك أوامره إلى أصحاب المهن أن يدربوا الأمير "سهل" تدريباً مكثفاً في كل مهنة من المهن مدة شهر، وأن يعاملوه معاملة الأجراء والعمال لا معاملة الأمراء، حتى يختار الأمير المهنة التي يفضلها ليتخصص فيها ويسرع.

فكان الأمير "سهل" يختلف كل شهر متردداً إلى صاحب مهنة جديدة ليتدرب على الحرفة ويتقنها، إلا أن أصحاب المهن كانوا يعاملون "سهل" معاملة خاصة، فكانوا يخشون عليه آثار المهن ومعبئة معالجة الحرف، فصاروا يجلسونه مُكرماً مُعزّزاً على أريكة تحت الظل بعيداً عن لفحات الشمس ليشاهدهم وهم يعملون.

ومع نهاية كل شهر، كان الملك يلتقي "سهل" ليسأله عن الحرفة التي تعلمها وتدريب عليها وأتقنها، وكم تقاضى عليها خلال شهر، ثم يخرج الأمير "سهل" ما تحصّل عليه من أجر ويعطيه لأبيه الملك، فإذا بالملك يُمسك أجر "سهل" ثم فجأةً يُلقي به من الشُرفة، دون أدنى تأثير من "سهل" أو اعتراض أو حزن!

ظلت الحال على هذا المنوال شهوراً حتى ضاق سهل بما يصنعه أبوه الملك، فأدرك أن الملك ربما يفعل ذلك معه لأن عيوناً تخبره بأن "سهل" لا يتعلم ولا يتدرب كسائر الأجراء والعمال؛ فقرّر "سهل" أن يتعلم ويتدرب من غده المهنة الجديدة كما يتلقاها ويكابدها السُّوقة والدهماء من أبناء الرعية الفقراء.

كانت المهنة الجديدة التي أراد الأمير "سهل" أن يتعلمها هي مهنة البناء والتشييد، فشرع سهل في تعلمها من معلمه بدءاً من تصنيع اللَّبن وإعداد الحجارة، ومروراً بفن حملها بكميات ومهارة، وانتهاءً بطرائق التخطيط للبناء قبل الشروع في التشييد، إضافة إلى اتقان الطريقة المثلى لصفّ ورصّ الحجارة متماسكة متشابكة في سرعة ودقة.

كما لاحظ "سهل" من معلمه أنه لا بد أن يحتاط حين يبني ويشيد، فيجعل واجهة البنيان خيراً من داخله، وأن يقدر في البناء أماكن الأبواب والنوافذ والشرفات، وألا يعلي جداراً إلى نهايته في الارتفاع خلال يوم واحد.

بل عليه أن يترك وقتاً كافياً لأنصاف الجُدُر لتجف جيداً، على أن يكمل بناءها في اليوم التالي فبذلك ينهض الجدار قوياً متيناً ولا يكون عرضة للتداعي والانهيان.

ثم أخيراً تعلم "سهل" كيفية عمل سقوف المنازل والبيوت، مستخدماً جذوع وجريد وسعف النخيل، وخشب وأغصان وفروع الأشجار، بعد تدريبه على طلاء القار وعزل المياه عن الحوائط والأساسات والجُدُر، كما برعت مهارته في حفر وصنع الكُنْف والمراحيض بالقرب من البيوت والمنازل والدُّور.

الملك حرب: أهلاً بسهل أمير البلاد، وخليفتي على رعيتي والعباد.

الأمير سهل: أبي، فدتك نفسي وروحي ومن الناس المُهَج، يا خير من حَكَمَ وَمَلَكَ وَأَمَرَ.

الملك حرب: كيف حالك.. وما أخبار حرفتك وعملك.. وأين راتبك وأجرك؟

الأمير سهل: عملتُ بناءً فما توانيت ولا تراخيت.. ولا إلى الظل توليت وأويت.

الملك حرب: أرى ذلك على قسماتك وأسمالك.. فأرني أتحمس عضديك ويديك.

الأمير سهل: يدي قد كلت وكفي دميت، ثم تشققت وبعد أيام خشنت وبيست.

الملك حرب: وكم كان أجر شهرك الذي فيه تعبت وجهدت؟

الأمير سهل: هذا أجري كله.. ثلاثمائة درهم جمعتها وصررتها لك.

الملك حرب (ممسكاً بصرّة الدراهم): ما لي أراها دافئة.. ثم همّ الملك متصنّعاً

إلقاءها كسابقاتها.

الأمير سهل (منفعلاً): لا.. أبتى فضلاً لا تفعل، بذلتُ فيها من جيني العرق.. وبعض

الدماء سالت من يدي.

وكم خلال الشهر أبي عانيت، عملت مع لفح الحر، ووهج القيظ، وبلظى الشمس

وسياطها اكتويت.

الملك حرب (محتضناً سهل): الآن صرتَ جديراً بولاية عهدي.. وقميناً بالحكم

والملك والعرش.

العجوز والقطط

في كثير من جوامع ومساجد المناطق الشعبية بمصرنا العامرة، لا تخطئ العين رجلاً عجوزاً بلغ من الكبر عتياً، عابس الوجه، مقطب الجبين، غائر العينين، مقوس الظهر، يبدو عليه حطام البؤس، ووعناء الحياة، هذا العجوز لا يترك عكازته من يده؛ فهي له كساقٍ ثالثة تدعم قدميه الواهيتين.

ولعصا العجوز هذه مآرب أخرى، فهو يهش بها على الكلاب الضالة التي تعترض طريقه عند خروجه لصلاة الفجر، كما أنه يعالج بها نعليه حين يهضم بالخروج من المسجد.

ومن أسفٍ أن هذه العصا -ذاتها- هي التي يلوح بها للأطفال من رواد المسجد طرداً لهم وزجراً؛ إن همَّ أحدهم بشرب ماء من الثلاجة، أو فتح مصحف، أو تجرأ فاقرب من مكتبة المسجد، أو من رحاب الصف الأول!

وفي مقراًة "مسجد الصحابة" صيفاً دار هذا الحوار بين المعلم "أيمن" وبعض تلاميذه الذين يتعلمون مبادئ الدين وأحكام تلاوة القرآن الكريم على يديه.. المعلم أيمن: أبنائي، كم تشبهون بوداعتكم القطط الصغيرة المسالمة التي أوصانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها وبكل ذات كبد رطبة خيراً فهي من الطوافين علينا والطوافات..

اليوم قبل بدء حصة التلاوة، ناقش معاً قضية تهمكم وهي علاقة كبار السنّ بأطفال المساجد.. ما طبيعة هذه العلاقة.. وما أسبابها من وجهة نظركم؟ وكيف يمكن التعايش في كنفها وظلها؟

مازن: إنها علاقة جد متوترة، ونحن كثيراً لا نهتدي لأسباب هذه القسوة التي نجابها من كبار السنّ.

باسل: حقاً هي علاقة تنقصها الرحمة، ويشوبها الترسد والتنمر، وتكتنفها الغلظة والعنف.

باهر: أنا معكما في أن هذه العلاقة في غالبها متشنجة، لكن ليس مع كل كبار السنّ، ربما عانينا ضراوة هذه العلاقة مع واحدٍ أو اثنين فقط من الطاعنين في السنّ.

المعلم أيمن: نريد الآن أن نتعرف على أسباب هذه الظاهرة.. فمن منكم يُوقفنا على سبب توتر هذه العلاقة؟

مازن: ربما كان السبب أن هؤلاء المُسنّين يقرعون أبواب المساجد في خريف عمرهم؛ فيتعاملون في جنباتها وفقّ قوانين الحياة خارج المساجد من تسلط، وتكالب، وقهر، ومغالبة!

باسل: أرى أن الأسباب نفسية في المقام الأول، فربما يعكس هؤلاء المسنون ما كانوا يلقونه من عنّت كبار السنّ حين كانوا في مثل سني عمرنا فيما يعرف في علم النفس بـ "الخبرة السيئة" التي تظل باقية في هامش الشعور تاركة أثراً غائراً عميقاً في النفس، أو

هي الغيرة من كوننا سبقناهم إلى المساجد في سن مبكرة دون التي غشوا هم فيها المساجد.

باهر: أما أنا فأعزو اضطراب هذه العلاقة إلى أسباب صحية، فالمسنون يكونون أخرج صدرًا، وأدنى انفعالاً واستثارة من غيرهم، وربما كان للأدوية التي يتجرعونها تخفيفاً لأمراض الشيخوخة دخل في شدة بأسهم، وصعوبة مراسهم، وعدم مرونتهم. المعلم أيمن: تحليلاتكم علمية ودقيقة.. فقط أضيف: أن المتقدمين في السنّ تتسم حياتهم بتأنٍ في التفكير والقرارات، وبأناة وروية في السير والحركات، مع جنوحٍ شديد إلى الهدوء والسكينة.

الآن.. هل من حلول للتقارب بين هاذين الجيلين مختلفي الأعمار والخبرات والطباع.. أعني جيل المُسنين وجيل الأطفال؟

مازن: من جانبنا، سنحاول الالتزام بما يحبون من أدب وسكينة قدر طاقتنا، لكن على إدارة المسجد توجيههم إلى الرفق والرحمة، وعدم التربص للفتك بنا.

باسل: أقترح أن يضمنا لقاء بهؤلاء المُسنين كل شهر مرة، نستمع إلى نوادر حياتهم، ولشيء من قصص أيامهم البارزة، فربما كان هذا سبباً في إسعادهم وإظهار العناية بذواتهم وذكرياتهم.

باهر: ربما كان من المفيد -أيضاً- أن نُعدَّ للفقير منهم هدية بالصيف وأخرى بالشتاء، هدية متواضعة تناسب مع مصروفنا تدعمها إدارة المسجد، مثل أن تكون "كوفية أو طاقية" بالشتاء، ومظلة (شمسية) أو حذاء بالصيف.

المعلم أيمن: إنكم لم تدرؤا لي شيئاً لأقوله، غير أنني أرجو ألا أكون صادمًا إن قلتُ لكم: إننا قد نفعل ذلك كله مع المُسنِّين، وقد لا نلقى منهم ما نتوقع من تغيُّر ومرونة. إن الأمر معقد حقاً لكننا سنحاول يحدونا الأمل ويزجينا الرجاء، فلا يستغربين أحدكم إن قدّمنا ما بوسعنا للمسنين ثم لم نلق منهم ما كنا نرجو ونتوقع.

شرح المعلم أيمن وتلاميذه في بدء خُطبتهم، لكن لم يمضِ حَوْلٌ حتى تُوفي العجوز الذي كان يشاكسهم، فظن الأطفال أن المسجد قد خلص وطاب لهم.

قال المعلم: رحم الله المُتوفى، علينا أن نذكره دائماً بالخير، وندعو له بالمغفرة والرحمة، والحق أقول لكم: "إن صراع الأجيال هذا لا ينقطع ما دامت الحياة تدبُّ في أوصالنا!"

لم يفهم الأطفال حينها عبارة المعلم أيمن: "صراع الأجيال لا ينقطع"، لكنهم أدركوا معنى هذه الجملة بعد شهرٍ من وفاة العجوز، حيث شاهدوا عجوزاً آخر يتوكأ على عصا قد شرع يرتاد المسجد بانتظام متأففاً من لَغَطِ الأطفال وصخبهم ونزقهم!

قطرة ماء

الماء سر الحياة، جعل الله منه كل شيء حي، ومن دون الماء تستحيل الحياة، فهو ضروري لحياة النبات، والحيوان، والإنسان، بل إن الماء يدخل في كثير من الصناعات، والإنشاءات، والتركيبات، وغيرها.

كثيراً ما ينصح الوالدان أبناءهما بضرورة إغلاق صنابير المياه جيداً، وقد تضيق صدور الأبناء ذرعاً للعمل بهذا النصح، فضلاً عن عدم استشعارهم لفائدته، وعاقبته، ومغزاه. الأسرة وقد اجتمعت مساءً بعد صلاة العشاء، وتناول العشاء..

الأب: عفواً.. فقد أكثرتُ عليكم في ضرورة إحكام غلق صنابير المياه، وإطفاء مصابيح الغرف التي لا يشغلها أحد؛ درءاً للإسراف وترشيداً للاستهلاك. الأم: إن كنا أكثرنا على أولادنا في ضرورة الترشيده، إلا أنهم لا يزالون بحاجة لتذكير وتنبيه وتوجيه.

باسم: كلما تذكرتُ نصحك يا أمي بادرْتُ لإغلاق الصنابير جيداً. بسمة: وأنا أسارع لإطفاء مصابيح الغرف غير المشغولة.. لكن نقطة الماء التي تتساقط في الحوض ما عساها أن تضر يا والدي؟! الأب: لستُ معك يا بسمة.. هل سمعتم يا أبنائي عن سد مأرب؟

باسم وبسمة: سمعنا بالاسم، لكننا لا نعرف معلومات كافية عنه.

الأب: سد مأرب - باختصار - من بين أهم السدود التي تم بناؤها، واشتهر باسم سد العرم؛ وهو سد قديم يقع بالقرب من مدينة مأرب القديمة باليمن، حيث يعود تاريخ بنائه إلى فترة القرن الثامن قبل الميلاد؛ وهو أقدم السدود التي تم تشييدها على مستوى العالم.

هذا السد الذي تجلّت به أروع صور المعمار مثل انهياره سبباً في قحط المياه بالمنطقة، وهجرة سكانها من اليمن إلى الدول العربية بالجزيرة وبلاد الشام.

"سيل العرم" يا أبنائي حدث بسبب حفر ونقب بعض الجرذان (الفئران) لحجارة السد، ثم دمّر اندفاع المياه النقب حتى وقعت كارثة الانهيار!

الأم: أبنائي، هل تمرّون بمكب القمامة الضخمة القريب من ناصية الشارع الرئيسي؟

باسم: نعم يا أمي، لاحظت أنه كلما نظّفت "البلدية" المكان عاد غاصّاً بالقمامة من جديد.

بسمة: نعم.. أراه عند مروري وأتقي الاقتراب منه لبشاعة منظره، وسوء رائحته.

الأب: هذا المكان لم يكن مكباً للنفايات، وإنما صار إلى ما هو عليه؛ لأن شخصاً ما بدأ بإلقاء أكياس القمامة فيه فتبعه أناس كثيرون.

الأم: نعم.. ضخام الجبال من صغير الحصى، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

يقول الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ** ومعظم النار من مستصغر الشرر

باسم: صحيح.. قرأت أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة.

بسمه: نعم.. فأصل الريالات مجموعة هلالات، وأُسُ الدنانير بعض دريهمات.

الأب: وهكذا يا أبنائي كبائر الذنوب، قد تبدأ بلمم وصغائر، ثم بالإصرار والتكرار

والف العادة تستحيل إلى فواحش وكبائر.

الأم: هكذا.. ينبغي أن نعلم أن النعم تدوم وتكثر بالشكر والعرفان، وتزول وتُمحى

بالإعراض والكفران.

الأب: أحسنت زوجتي، وصدق الله العظيم القائل: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [سورة إبراهيم، آية: ٧].

والقائل: {لَقَدْ كَانَ لِسَيِّ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ

وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ

جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْنِ أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ

نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ} [سورة سبأ، الآيات: ١٥ : ١٧].

الناعمة

بابتسامة عذبة كنسيم الصَّبَا، ووجه طَلَق مُلْتَمِع البشاشة، توجَّهت المعلمة "آمنة" إلى حصتها، وقد وعدت تلاميذها بأن تخصص هذه الحصة لحل المشكلات الاجتماعية بين التلاميذ والتلميذات سواء كانت في المدرسة، أو مع أسر التلاميذ بالبيت.

المعلمة آمنة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما وعدتكم اليوم لن أحاضرکم، وأود أن تتحدثوا أنتم عن مشكلاتكم، واستفساراتكم، وتساؤلاتكم، وما يجابهكم من مضايقات.

سارة: عندي مشكلة تتعلق بجارة لي كثيراً ما تقترض مني نقوداً، وأدوات مدرسية، وأحياناً تطلب ملابس لحضور مناسبات خاصة بها.

هاجر: هناك زميلة في فصل آخر مُولعة باستعارة الكتب الخارجية مني؛ ما إن تُعيد كتاباً حتى تأخذ غيره، وهي ليست ممن يحافظن على الأشياء المستعارة.

منذر: أما أنا فهناك زميل لي يزورني دوماً في نهاية الإجازة الأسبوعية، فيطلب كراسات واجباتي، وينقل حلول إجاباتي، وينسخ جهود ابتكاراتي في حل التدريبات وإعداد النشاطات.

المعلمة: أحسنتم جميعاً.. لعله يمكننا تلخيص هذه المضايقات السلوكية إلى آداب القروض والاستعارة.

سارة: وهل للقرض والاستعارة آداب مرعية وأصول مُتوخاة؟
المعلمة: نعم يا سارة وإليك التفصيل..

قد يتعرض أحدنا إلى ضائقة مالية أحياناً، ومن المندوب أن يُعين الموسر منا المعسر، وأن يساعد الغني منا الفقير؛ فإن كان هناك فقير لا يستطيع شراء أدواته المكتبية أو الدراسية؛ كان لزاماً على المقتدرين ممن يعرفونه توفير هذه الضرورات له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

لكن فيما يتعلق بالملابس فالأنسب فيها مساعدة المحتاجين بالتهادي والصدقات لا بالاستعارة؛ لأن الملابس جزء خاص من مكونات شخصية الإنسان.
فلا ينبغي التخلي عن الملابس أو الأحذية بأنواعها لآخرين بالتناوب في ارتدائها، أو بالتبادل في استعمالها، ناهيك عما قد يجزئه تبادل الملابس والأحذية من أمراض ونحوها.

هاجر: وماذا أصنع مع زميلتي الشغوفة بالمذاكرة من كتبي الخارجية؟

المعلمة: تأكدي أولاً أنها لا تستطيع شراء هذه الكتب، فمن الناس من يحب أن يكون كالنباتات المتسلقة التي تعتمد على غيرها للوصول إلى مبتغاه، عَادِّين ذلك

ذكاءً منهم وحصافة، {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}!

ثم وجهي زميلتك إلى الإفادة من مكتبة المدرسة، والمكتبات العامة، وعرفيها بأماكن بيع الكتب الخارجية المستعملة فهي تباع بأقل من نصف الثمن، فهذا سيقبل مرات الاستعارة منك، إن لم يمنعها.

وبلطفٍ أخبريها أنك مُضطرة لتجليد الكتب الخارجية من مصروفك الخاص؛ لأنها قد تعرّضت للتلّف والاهتراء من سوء استخدامها.

وعليّ أن أخبر زميلتي الأستاذة المعنية بشؤون الطلاب والإرشاد النفسي بشأن ظروف صاحبك المادية والسلوكية؛ كيما تساعدنا وتوجهها وفق ما تراه وتقرره.

فربما رفعت المعلمة عنها حرج الحاجة، وسألت بطريقتها فصول زملائكم السابقين لكم بعام.. ما إذا كان لا يزال أحدهم يحتفظ بكتب العام الماضي الخارجية.

منذر: وماذا عن مشكلة السطو الأسبوعي على جهودي وابتكاراتي؟

المعلمة: حقاً يا منذر، هذا لا يُعد قرضاً ولا إعارة، هذا جور وسطو على جهود وتفكير وابتكارات مبدولة لساعات طوال، تُشكّل بصمة صاحبها، وطريقته في التناول والتحليل، والتفكير والتعبير.

علّم صاحبك بطريقة "لا الناعمة"، أنك مستعد لشرح ما استغلق عليه، ولتوضيح ما يند عنه، ومساعدته فيما يصعب عليه. أما أن يأخذ كراساتك لينسخ جهودك، ويسطو على أسلوبك.. فهذا لا يفيدك ولا يفيد بل يضره ويضرك، فقل له إذا جاءك: "لا".. قلها بقوة ناعمة، واشفعها باستعدادك لمساعدته كما أوضحت لك.

واعلموا أبنائي، أنه ليس كل ما يقال من أشعار أو حكم تسلم دائماً من الخطأ، فلسنا
مع الشاعر القائل:

إن أخاك الحق من كان معك ** ومن يضر نفسه لينفعك

فالصواب أن تكون مع صاحبك في الخيرات والقربات، والنوازل والكربات، لا أن
تكون معه في طرق الشرور والسيئات، كما أنه ليس مطلوباً من أحد أن يضر نفسه
لينفع غيره، فمن هدي النبوة:

عن أبي سعيدٍ سعد بن سنانٍ الخدري - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال: ((لا ضرر ولا ضرار))؛ حديث حسن، رواه ابن ماجه، والدارقطني
وغيرهما.

المعلمة والتلاميذ (معاً): صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

الأثر

في بداية عام دراسي جديد، استهل المعلم حازم حصته بنقاشٍ مع تلاميذه حول أهمية عمل برنامج ترشح بين التلاميذ؛ ليختاروا من بينهم أمينَ مكتبة، ورائدَ فصل، ومنسقَ مناسبات وجوائز... إلخ.

ثم لاحظ المعلم أنه كلما طرح منصباً للمناقشة والحوار والانتخاب والاصطفاء؛ إذا بعددٍ معين من التلاميذ - في كل مرة وعند كل برنامج ترشيح - يرفعون أيديهم لينالوا حظ وشرف الترشح للمهام المطلوبة.

قطع المعلم حازم حوارهِ قائلاً: أبنائي وبناتي، ليس من الحكمة أن يستحوذ أحدنا على كل المهام والوظائف المطروحة أمامه، فكل إنسان مُيسر لما خُلق له.

وينبغي على الواحد منا ألا يرشح نفسه لمنصب أو مهمة إلا إذا كان جديراً بها وحقيقاً، عليمًا بها وقميناً، قوياً في فهمها والنهوض بتبعاتها والإشراف عليها، أميناً على خدماتها وأسرارها في عدالة وموضوعية، وتجرد وحيادية.

والآن.. حتى ندرك معاً سلبيات الأثر التي تعني الأنانية وتفضيل الإنسان نفسه على غيره، وتمحوره حول ذاته فقط، احكوا لنا مواقفَ حياتية عن حُبِّ النفس والذات وأثره على الآخرين ولكن بكل هدوء ونظام.

سامح: ذات يومٍ بدا لي ولزميلٍ في فصلٍ آخر أن نتناول طعامنا معاً في فسحة المدرسة فيما يُعرف بالـ (غديوة)، فأكلنا وشربنا وسعدنا ثم بقي شيء من فاكهة وحلوى.

فقلت لصاحبي: ما رأيك أن يقسمها أحدنا على أن يختار الآخر نصيبه قبل صاحبه؟.. وافقني زميلي وقام عَجلاً بالتقسيم، فلما جاء دوري لأختار لم يعجبه اختياري وأخذ ما اخترته لنفسه ثم انصرف مُغضباً!

حمزة: ذات مرة صُعب عليّ فهم درس في مادة الإنجليزي، ثم سألتني زميل لي أن أشرح له درسٍ نحوٍ استغلق عليه استيعابه، فاستضفته في بيتنا وشرحت له درس النحو حتى فهمه جيداً لا سيما وقد طبقنا عليه تدريبات كثيرة.

وكان زميلي هذا بارعاً في اللغة الإنجليزية فسألته أن يشرح لي ما ندّ عني علمه، وعزّب فهمه، فتعلل بتأخر الوقت، وأنه مضطر للانصراف العاجل.

فقلت له: إذن اضرب لي موعداً آخر لتشرح لي فيه درس الإنجليزي، فقال: نتفق غداً إن شاء الله، ثم جاء الغد، ومن بعده مرَّ أسبوع، فشهراً، ثم انقضى العام الدراسي كله من دون أن يفتح صاحبي معي الموضوع مرة أخرى!

شهد: كانت أمي قد أوصتني قُبيل أول يومٍ من عامٍ دراسيٍّ سالف أن أسارع بالعودة بالصف الأول في الفصل؛ نظراً لقصري وضعف نظري، ثم هممت لأخذ مكاني بمقعدٍ

في الصف الأول فإذا بزميلة لي طويلة تدفني بقوة وسرعة؛ ما أوقعني على الأرض،
على حين تبوأَتْ هي المقعد نفسه!

ثم رجوتُها أن تترك المقعد لي فأبت؛ مما اضطرني لمراجعة إدارة المدرسة والأخصائي
الاجتماعي الذي اصطحبني باهتمام إلى لفصل، فأمر زميلتي أن تتحى عن مقعدها
وتلتزم بالقعود في الصفوف الخلفية لطولها البين فعاد لي مقعدي بالصف الأول!

المعلم: صدق الله العظيم القائل: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خِصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

لذة العطاء

شاهد المعلم ياسر توزيع الوجبات المدرسية على التلاميذ، ولمس في أسى تكالب التلاميذ ومدافعتهم بعضهم بعضاً للحصول على هذه الوجبات الرمزية اليسيرة. كما استشعر في وجوه الذين نجحوا في الوصول إلى نافذة التوزيع وحصلوا على الوجبة بالفعل فرحة غامرة، أشرقت معها أساريرهم البريئة مع ما انحدر على وجناتهم من حبات العرق.

وفي الفصل، أراد المعلم ياسر أن يبث في تلاميذه قيمة خلقية جديدة تنبثق عن المشهد السابق الذي رآه في الفسحة المدرسية أمام مقصف المدرسة. المعلم: ما أشد فرحتكم حين يصل أحدكم إلى وجبته بعد تراحم ومشقة كنتم في غنى عنهما لو اصطفتكم في هدوء ونظام بشكل حضاري.

صديق: عفواً معلمنا.. اليوم نسيت طعامي في البيت، وكان لزاماً عليّ أن أصل إلى وجبتي بهذه الطريقة التي شاهدتها عليها.

سالم: أستاذنا، إن لم نزاحم ونسارع لتناول الوجبة، ربما نعدت الكمية، أو انتهى وقت الفسحة المقرر لتوزيع الوجبة، أو صار أحدنا أضحوكة للذين ظفروا بالوجبة من دوننا.

سلمى: أقترح أن تقوم إدارة المدرسة بحل مشكلة التوزيع بمظهره هذا غير اللائق، وأن تقوم بتوزيعها على الفصول بعدالة وهدوء وسلام.

المعلم: حسناً.. سأوصل أصواتكم لإدارة المدرسة.. لكننا سنحاول معاً الآن الإفادة من مشهد الانكباب على الوجبة.. وأسألکم هل جرّب أحد منكم لذة العطاء بعد أن مارس طويلاً لذة الأخذ والنوال؟

صديق: أذكر أنني استشعرت هذه اللذة مراتٍ حين دفع إليّ أبي نقوداً لأتصدق بها على بعض الفقراء.. فكنتُ بعد أن أدهسها في يد الفقير أرى في عينيه ابتهاجاً فيشرح صدري، ويسعد قلبي، وتتألق روحي ونفسي.

سالم: نعم.. لقد أحسست بهذه اللذة نفسها حين سألني زميل جازٍ لي أن أشرح له درساً استغلق عليه فهمه، بعد أن تغيب لسفر طارئ عن الحصة التي شرح فيها الدرس، وبعد أن أفهمتُ زميلي الدرس عُدتُ لمنزلي وقد تغشّنتني سعادة، وتملّكني فرح وابتهاج.

سلمى: أما أنا، فقد ذقتُ لذة هذا العطاء حين كنت عائدة ذات يوم من المدرسة إلى البيت، فإذا بي أجد كفيفاً يتعثر في الطريق، فسألته عن وجهته فقال: "محطة المترو"، ولم تكن المحطة في طريقي، إلا أنني اصطحبتة إليها فشكرني.

ثم عُدتُ إلى البيت متأخرة قليلاً ولم يستوقف أسرتي سبب تأخري بقدر ما راعهم مني فرحة جلّلت وجهي، وانسكبت على مُحيائي، بعد أن أدفأت فؤادي وقلبي.

المعلم: صدق الله العظيم القائل: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢].

والقائل: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: ٣٩].

والقائل: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن: ١٦].

في بيتنا ضيف

مع بداية شهر شعبان اجتمعت الأسرة ذات مساءً لتناقش استعداداتها لاستقبال شهر رمضان الفضيل.

جلس الأب مبتسماً ويجواره جلست الأم متهلة الوجه، والأولاد من حولهما كانوا ينتظرون في شغف موضوع الجلسة، متشوفين لقراراتها بعد التشاور، والمدارسة، وأخذ الآراء.

الأب: أوشك أن يظلنا شهر كريم، تُفْتَح فيه أبواب الجنات، وتُغْلَق أبواب النيران، وتُصَفَّد فيه الشياطين.

الأم: شهر رمضان، شهر أنزل فيه القرآن هُدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

عزة: اللهم بلِّغنا رمضان، خيره، وبره، ونوره، وبركته، وهداه.

عزت: اللهم أهله علينا بالخير، واليمن، والبركات، وارزقنا فيه ليلة القدر.

أسماء: اللهم أعننا على صيام نهاره، وقيام ليله، وتلاوة القرآن الكريم.

الأب: ستستمر معظم الدراسة - إن شاء الله - خلال الشهر الكريم.. فهل من برنامج

نافع يجمع بين خير رمضان وقيامنا بمهامنا من دراسة وعمل؟

الأم: كنت أنام سبع ساعات.. سأكتفي بخمس ساعات فقط في اليوم والليلة؛ كي أنهض بمهام البيت وتبعاته من كنسٍ وغسل، وكي وطهي، وأتفرغ للعبادة سائر نهاري وليلي.

عزة: سأفعل مثلك يا أمي سأقنع بنوم ست ساعاتٍ فقط من بعد ثمانٍ، أنام أربعاً بالنهار واثنين بالليل؛ لأتمكن من مساعدتك، ومذاكرتي، وصلاة القيام، وتلاوة القرآن.

عزت: سأنام طول النهار، وأستيقظ طوال الليل، فيسهل عليّ بذلك الصوم، خاصة أنني سأنتهي دراستي قبل بدء الشهر الكريم.

أسماء: لست معك، ففرصتك أكبر منا جميعاً في التفرغ للعبادة والذكر في شهر القرآن.. لا سيما إن كنت أنهيت دراستك.

الأب: أمامنا ثلاث مشكلات بعد أن صُفِّدت الشياطين أو سُلسلت مَرْدَة وُعْتاة الجن: النفس، الموبايل، التلفاز.. ماذا ترون للتغلب عليها؟

الأم: أما النفس، فنسأل الله أن يعيننا عليها فننهاها عن الهوى، ويجب الاستعداد لشهر رمضان من الآن، فمن كان يقصّر في أداء الصلوات يصلحها لوقتها، ومن كان ينام عن صلاة الفجر يقوم لأدائها.

ومن كان يُسرف في طعام أو شراب يقتصد ويعتدل، ومن كان يُلمُّ بشيء من غيبة أو نميمة أو كذب يتوب ويُقلع من حينه.

وأما التلفاز فمن الآن نتخفف في استخدامه حتى نتخلى عنه بمسئله الشهر الكرم،
وئستحسن صوم أيام من شهر شعبان تدریباً على صوم شهر رمضان الكرم.

ومن فرط وقصر في تلاوة أوراده من القرآن الكرم والذكر؛ فهذه فرصة عظيمة
للتعویض والتدریب في شهر شعبان قبل حلول الشهر الكرم.

عزة: أما أنا فسأهنئ جميع من أعرفهم مع انتهاء شهر شعبان بمقدم شهر رمضان
وحلوله، وأقول لهم بعد التهئة: عذراً.. سأكون خارج الخدمة طوال الشهر الكرم..
إلى اللقاء للتهئة بعيد الفطر المبارك والاجتماع والتزاور.

عزت: هل يحلو شهر رمضان من دون أفلام وفوازير ومسلسلات.. وألعاب ومباريات
وموبايلات.. كيف سنسلي صيامنا؟

أسماء: يا أخانا الصغیر، شهر رمضان أيام معدودات سريعاً ما تنقضي أيامه ولياليه؛ ما
إن تحل حتى ترحل كرؤيا جميلة طافت بالكرى، يجب اغتنامها وعدم تبديدها.

الأب: أحسنتم جميعاً.. شهر رمضان شهر مبارك استثنائي في أجوائه وروحه، وورقه،
وثوابه، وأجره.

فيه ليلة عظيمة خير من ألف شهر؛ لذلك يجب علينا جميعاً التضحية بجزء من نومنا،
وعاداتنا، وأوقاتنا من أجل الظفر برضا الله ورحماته في شهر كله رحمة ومغفرة وعتق من
النار.. فهل أنتم مستعدون للتضحية؟

الأسرة: مستعدون إن شاء الله، اللهم بلغنا رمضان، اللهم بلغنا ليلة القدر!

القطيع

يتأثر الإنسان كثيراً بالبيئة التي يعيش بين أكنافها، ويسنن المجتمع الذي يحيط به، حتى إن أحدنا تحت وطأة الوسط الذي يلفه، والمجموع الذي ينتظمه لبننة من لبناته؛ قد تصدر عنه بعض السلوكيات التي لو فكر فيها ملياً ما همّ بفعلها، وما أقدم عليها، أو تلبس بها.

إن المرء فيما يأتي من هذه التصرفات المشينة يكون في منطقة تشبه اللاوعي فهو أشبه حينئذٍ بمن غشي عليه، أو بمن تعرض لتخديرٍ أو اغتيال عقل.

بهذه المقدمة استهل المعلم يسري حصته مع طلابه، طالباً إليهم المشاركة، والحوار، وضرب الأمثلة؛ للوصول إلى تحليل الظاهرة بالوقوف على مظاهرها، وأسبابها، ونتائجها، وكيفية التخلص منها.

المعلم: نقرر أولاً أنه ليس كل ما يصدر عن الأجداد والآباء، أو ما تحملنا إليه الموروثات يكون صواباً أو مشروعاً، فلننا نجل القديم لعراقته وعتاقته بل لمشروعيته ونفعه. ولننا - كذلك - ضد كل حديث لجدته وألقه، بل نكون ضده حين يدفعا إلى باطل، أو يجرنا إلى ظلمة، أو يقودنا إلى تهلكة، وكذلك حين يكون مدعاة لمساخر، وسخف، وإسفاف.

عاطف: نعم أستاذنا، فقد اعتزل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مجتمعه الليلي ذوات العدد متحشاً في غار حراء قبل البعثة؛ باحثاً عن الحق، متأملاً في الملكوت والخلق، ولم يُسلم بعبادة صنم، ولا بتقديس حجر، رغم انتشار هذا كله بين ربوع مكة وأرجائها.

صالح: نعم معلمنا، وقد قرأنا في ترجمة الصديق أبي بكر - كذلك - أنه لم يسجد لصنم، ولم يعاقر خمراً، رغم انتشار الخمر في جنبات مكة وما حولها، وسهولة صنعها، وبيعها، وتعاطيها جماعاتٍ وأفراداً.

ناصر: نعم، وقد سجّل القرآن الكريم بعض الجرائم الكبرى المقتحبة كقتل البنات - ناقداً - على بعض العرب من الذين تجردوا من كل مشاعر الأبوة، وأحاسيس الوالدية والإنسانية والفطرة فأجرموا بواد بناتهم أحياناً؛ إما خشية الإملاق، أو لمخافة مسبة وعار.

المعلم: أبنائي، سلمتم قد فهمتموني. الآن من الماضي إلى الحاضر؛ كيف نُفيد من المواقف التي ذكرتم، ونستفيد من الأخبار التي إليها أشرتم؟

عاطف: يتحقق ذلك من خلال تحكيم منهج عدم التسليم بكل جديد وإن كان ذائماً منتشراً، حتى نعرضه على الشرع والدين، ثم العقل والضمير، ثم بعد ذلك نقرر إن كان صالحاً للعمل به أم أنه ضارٌّ لا بد من تركه والإقلاع عنه والتحذير منه.

ناصر: بل إن هذا المنهج نفسه ينبغي ألا نعمله فقط فيما وصل إلينا من جديدٍ صيحاتٍ وأفكارٍ وسلوك، بل نُحكِّمه كذلك في تراثنا القديم، والتراث هنا لا يدخل فيه القرآن الكريم ولا السنة النبوية الصحيحة المطهرة، فهما وحيان من الله القرآن بلفظه ومعناه، والسنة بمعناها من الله ولفظها من النبي - صلى الله عليه وسلم - .

صالح: هذا المنهج إذن هو المعيار الذي في هداه نستطيع أن نحكم على ما استجدَّ في حياتنا من عقائد وأفكار، وموضات وصيحات، وتصرفات وسلوكيات، هل هي صادرة عن مشكاة الحق ونوره فنقبلها أم أنها من أحابيل الباطل وأدراجه فنجتنبها ونزور عنها.

المعلم: أحسنتم، ولعلي من غدٍ إن شاء الله، لن أجد من بينكم من قصَّ شعره كما يقص أقرانه من حوله متأثرين بموجة أوروبية، أو بصيحة تحاكي لاعباً، أو فناناً، أو مشهوراً.

ولن أرى - أيضاً - من بينكم الحرص والتسابق في ارتداء البناتيل الممزقة، أو المجسمة، أو المحسورة عن مؤخرة الظهر، مما ذاع لبعثه وانتشر ارتداؤه في السنوات الأخيرة.

ولن أُلقي أحدكم راقصاً في شارع، أو في ساحة ميدان، مهما تكن المناسبة كنجاح في دراسة، أو حفل عيد ميلاد، أو خطوبة، أو زفاف، فهذه كلها سلوكيات سيئة وافدة، أو

ابتدعها شرذمة قليلون منا فمارسناها من بعدهم بغفلة فصرنا قطعاً تستخفنا الجموع،
وتُضلنا الكثرة، ويستحمقنا الانتشار والذيعوع.

ووفق سياسة القطيع التي انتهجنا فقَدتْ هذه المعايير بشاعتها، وأضحت - يالف
العادة - أشياء عادية تقتحمها العين لا تخدش مروءة، ولا تثلم كرامة، ولا تغض من
قيمة، ولا تنقص من عقل، أو تسيء إلى ضمير ودين.

وصدق الله العظيم القائل: {وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}
[الأنعام: ١١٦].

جبة الشيخ

اعتاد الأطفال بمعهد الإخلاص الأزهري على رؤية الشيخ حسن معلم القرآن الكريم بجبته الأزهرية الفضفاضة السابعة، وعمامته المكورة الحمراء، وسبحته المتألثة الخضراء التي تجول دوماً بين أنامل كفه وفق وقع حركة لسانه تسيحاً وذكراً. وفي ذات يوم دخل الشيخ حسن الفصل مرتدياً بذلة كاملة أنيقة ورابطة عنق، متخلياً - للمرة الأولى - عن حُلتِه المعروف بها، وعمامته المميزة له، بل أيضاً عن سُبْحته التي تبدو بين أصابعه منيرة تشبه حالم ضوء القمر.

وإلى أحداث القصة..

الشيخ حسن: بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. لا تندهشوا ولا تعجبوا من زبي وسمتي اليوم، فستدركون نهاية الحصة سر التغيير اليوم في المظهر، والملبس، والسَّمْت.

منّة: شيخنا، تعوّدنا عليك بزبك الموقر، حتى إنك لتأتيني به ليس في اليقظة فقط بل بالرؤى والأحلام!

فردوس: نعم شيخنا، حين دخلت علينا الفصل لم أهتدِ للوهلة الأولى لشخصكم الكريم.

خالد: لا بد أن في هذا التغيير سرّاً، وأن من وراء هذه الهيئة الجديدة لغزاً وعلّة وسبباً.
أحمد: أظنك يا شيخنا كنت آتياً من موعد خاص، أو أنك ذاهب للقاء وحفل يشترط
ارتداء هذه البذلة.

الشيخ حسن: بارك الله فيكم جميعاً.. ستفهمون بعد قليل.. أنصتوا إليّ جيداً.. حديثي
معكم اليوم عن العَرَض والجوهر.. عن المظهر والمخبر.. عن الإخلاص في السر
والعلن.

منّة: الحمد لله.. بدأت أفهم.. كأنك تقول: إن زياً ما لا يغير حقيقة إنسان، ولا يبدل
ناصر قلبه وجوهره.

فردوس: أحسنت.. فالشيخ حسن هو معلم الدين والقرآن الكريم، سواء ارتدى زي
الشيوخ أو تزياً بغيره.

خالد: نعم.. فالطبيب بالباطو الأبيض هو طبيب، وحين يحاضر في القاعات النظرية
لطلابه أو حين يُسعف مريضاً في الطريق من دون المعطف الأبيض، يظل أيضاً طبيباً.

الشيخ حسن: وكذا الذاكرون لله - جل وعلا - هم في رحابه ومعيته، سواء كان
تسبيحهم من خلال مسبحة، أو عَدَد تسبيح، أو باستخدام أنامل، أو باللسان
والقلب، وربما بالخاطر والفكر!

أبنائي وبناتي، الملابس والأدوات لا تمنح أحداً من ذاتها علماً، ولا تُكسبه بمفردها عملاً، ولكن العلم والعمل، والحِرَف والمِهَن، يمارسها أصحابها، وتؤتي ثمارها مع أي مظهر، وفي كل حين.

والمظهر حين يكون متطابقاً مع الجوهر، يتحقق الإخلاص، وتستقيم الشخصيات قلباً وقالباً، فالزموا الإخلاص وتعاهدوه، واکرهوا النفاق واحذروه!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ".

وفي لفظ آخر: "ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". رواه مسلم. وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

الشاعر والدجاجة

أبنائي وبناتي.. الشاعر إنسان مرهف الحس، جياش العاطفة، مفعم المشاعر، تؤثر فيه المواقف الإنسانية تأثيراً بالغاً.

ينفعل الشاعر لبكاء طفلٍ أو لبسمته، لتعثر كفيف وكبوته، لأرق أم وقلقها، لحنو أب أو توجسه، بل ربما أثر في الشاعر سطوع شمس، أو نور قمر، تلاطم أمواج بحر، أو حفيف أوراق شجر، أو شذا وردٍ أو عبير زهر، أو نسيم تَضَوَّعَ بسَحَرٍ، وربما أهاج الشاعر نحتُ فنانٍ لصخرٍ أو حَجَرٍ!

والدجاجة - يا صغاري - تشبه الشاعر والأم، فلها عاطفة الأمومة التي تضاهي انفعال الشعرية، ولها حنو الأم على بيضها، رقوداً واحتضاناً، دفناً ودفاعاً، حَدَباً وحناناً، ثم هي بعد فقس البيض تراها واعية ومعلمة، راعية ومؤدبة لصغارها.

الدجاجة تأكل ألواناً من رزق الله، فتلتقط الحبوب بأنواعها اليابس منها، أو الغض الخَضِر، ثم تحسو حسوات ماء رافعة رأسها عقب كل رشفة إلى السماء كأنها تشكر خالقها، وتحمد رازقها، ومطعمها وساقياها! ثم بعد سعي الدجاجة والتماسها الرزق في جنبات الحظيرة، وربما خارجها، إذا بها تُحِيل ما أَكَلَتْ وَطَعِمَتْ وَشَرِبَتْ إلى نتاج من

البيض، تجود به يوماً بعد يوم، وربما منحه بعض الدجاج كل يوم في سخاءٍ وجودٍ وكرم.

والدجاجة بوضعها البيض تعلن أنها لا تأخذ وتأكل وتشرب فقط، بل هي تعيش معاناة من السعي والعمل حتى تأتي لحظات الإنتاج والعطاء فتتخير مكاناً آمناً لا يضل فيه البيض ولا ينصدع.

وذلك بعد أن تعيش الدجاجة لحظاتٍ من الحيرة والتفكير والأرق، فيما يشبه المعاناة الشعرية، حتى تهتدي إلى ذلك المكان الذي يصون البيض ولا يهدره، لتدخل فيما يشبه مخاض الأم حين الولادة؛ فإذا هي باضت سَعَدَتْ واستراحت، وربما هَلَلَتْ وصاحت؛ لتعلن ميلاد بيضة جديدة في سعادة من العطاء المتنامي والمتجدد.

أما الشاعر يا صغاري، فأدواته وسعيه إنما هو علمه وثقافته، قراءته ورصده، ومن قبل موهبته وملكته، وقدرته وصياغته، دقة تصويره، وحسن بيانه وفصاحته، روعة تشبيهه ورونق صورته وأخيلته، وحلو موسيقاه وعدوبة قيثارته.

وكذلك حال الأديب الذي تتحرك فيه إنسانيته وأدبه وشاعريته في تجربة ومعاناة شعرية أو أدبية تشبه معاناة الدجاجة فُيبل منحها البيض.

وفرحة الأديب بعد قرض قصيدته إن كان شاعراً، أو نشر قصته إن كان كاتباً، أو تحرير مقاله إن كان فيلسوفاً أو مفكراً، فرحته بعد ذلك كله تشبه فرحة الدجاجة بإهداء بيضتها عقب معاناتها.

بيد أن عطاء الدجاجة إن كان مادياً فطرياً محدوداً؛ فإن قصيدة الشاعر، أو قصة الناثر، أو مقال الكاتب، أو مسرحية ورواية القاص، إنما هو عطاء معنوي خالد، ممتد غير متناهٍ، يُنير ظلمات العقول، ويبدد غيوم القلوب، ويُمتع الأفتدة، ويشرح الصدور.

في بيتنا لص

كان البيت هادئاً ساكناً، كل ما فيه وادع وآمن، الأب منظم، والأم مرتبة منسقة، والأولاد لَبَنَات منسقة في صرح متناسق متآلف يشد بعضه بعضاً. ثم بدأت بعض الأطعمة تختفي في مشهد جديد على المطبخ غريب على الأسرة والبيت.

الأب: صباح الخير، أسرع زوجتي الحبيبة، كدت أتأخر عن العمل.

الأم: صباح النور زوجي الحبيب، حالاً أعدُّ لك فطورك وأجهز متاعك.

سارة: أمي، من فضلك لا أريد أن أتأخر على مدرستي.

مؤمن: وأنا أيضاً، لا أحب الإسراع والعدو إلى المدرسة بهذه الحقيبة الثقيلة.

كريم: من فضلكم، اخفضوا صوتكم؛ ما جريرة النائم بينكم، مدرستي بعد الظهر!

الأم: أين اللانشون.. أين السجق؟

الأب: ابحتي عنهما جيداً، فقد تكونين نسيت أين وضعتيهما أو ربما نفدا ولم

تشعري.

الأم: لا، أنا أخرجتهما مساءً قبيل النوم، وجهزتهما على التسخين والتعبئة واللف.

سارة: شعرتُ أمس قبل استغراقي في النوم بحركة بالمطبخ فظننتُك يا أمي تعملين شيئاً

ما ثم نمتُ.

مؤمن: وأنا حين عدتُ أمس من المدرسة خِلْتُ شيئاً يهرب عند إشعال نور المطبخ،
إلا أنني لم أتبينه.

كريم: إذن ما سمعته من صوت مواء ذات مرة كان حقيقياً ولم يكن صادراً من
الخارج.

الأب: كثفوا البحث، وانتبهوا، وانظروا، عسى أن يكون قط ما تسلل إلى البيت
وتعاهدنا بسرقة الطعام ولعله لم يخرج بعد.

الأم: بعد أن تنصرفوا سأنقب وأبحث عسى أن أهتدي إلى اللص السارق.

كريم: سأساعدك يا أمي قبل انصرافي إلى المدرسة.

الأم: كريم، رأيتها.. أدركني قطة سارقة رأيتني فقفزت من النافذة حاملةً طعاماً بفمها.

كريم: أين قفزت.. ما لونها؟

الأم: صفراء فاقعة اللون، أدركها.. لا تتركها يا كريم، قفزت من هنا.

كريم (وقد انطلق مهولاً لتعقب القطة والتنكيل بها): انتظري يا سارقة، سألحق بك يا

لصّة.

جرت القطة فزعةً إلى حديقة بجوار البيت، وألقت ما في فمها من طعام أسفل شجرة.

وصل كريم إلى الشجرة لكن القطة لم تتحرك من مكانها وقد صوّبت بصرها إلى أسفل

الشجرة، وعندما همّ كريم أن يبطش بها، لاحت له قطط صغيرة تموء وتتلوى جوعاً

بجوار الشجرة!

الأسرة وقد اجتمعت مساءً.. بعد معرفة السارق.

الأب: الآن.. بعد أن عرفتم السارقة.. ما ترون وماذا تعتزمون؟

الأم: نسد على السارقة منافذ تقحمها وولوجها.

سارة: نجهز عصا تردعها وتمنعها إن هي عادت تقترب أو تتسلل.

مؤمن: لو كررت السرقة نتخلص من شرها ولو بالقتل.

كريم: لو رأيتم ما رأيتم من حنان القطة وعطفها على صغارها لغيرتم آراءكم.

الأب: وما رأيك أنت يا كريم؟

كريم: في كل وجبة نتناولها يفيض فيها شيء من طعام أو بقايا، يحملها أحدنا مع قليل

من الماء إلى القطة الوليدة.

الأب: أحسنت كريم، نعم الرأي، فعل هذه القطة لم تسرق إلا عن جوع وضرورة

وحاجة.

عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما

رجلٌ يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطشُ، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا

كلبٌ يلهثُ، يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: "لقد بلغ هذا الكلب من العطش

مثل الذي كان قد بلغ مني". فنزل البئر، فملاً خفَّهُ ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي

فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له. قالوا: "يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟

" . فقال " : في كل كبد رطبة أجرٌ " . (متفق عليه) . صدق رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - .

رحلة إلى الماضي

كثيراً ما كان ينصح الأبوان أولادهما بالإخلاص في العمل، والانضباط والطاعة،
والمسارعة في الخيرات.

وكم مرة أوصى الأب بنيه وبناته بالصلاة على وقتها، وتلاوة ما تيسر من القرآن
الكريم.

ولطالما وصّت الأم صغارها بأهمية المذاكرة، وضرورة التعاون، والإقلال من استخدام
الهاتف والتلفاز، والمشاركة قدر الطاقة في أعمال البيت ومهامه، وممارسة شيء من
الهواية أو الرياضة والقراءة الحرة.

وفي جلسة أسرية دافئة، وبحوار وادع آمل، التفّ الأولاد حول والديهم، وقد أوشك
العام الدراسي على الأفول، على حين حملت آخر نسيمات الشتاء أولى لفحات
الصيف القائظة مبشرةً بصيف صائف وطويل.

الأب: كدتُ أتعب وأملُّ من كثرة النصح والإرشاد الذي لا طائل من ورائه، لولا تذكري
قوله تعالى: {فَذَكَرْ أَنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى} [الأعلى: ٩]، وقوله عزَّ مِنْ قَائِلٍ: {فَذَكَرْ أَنْمَا
أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} [الغاشية: ٢١ : ٢٢].

الأم: ينتابني شعور بأن التغيير مُقبل وإن طال أمدُه، وأن الاستجابة قادمة وإن تأخر فجرُّها.

سلمى: اقتربت الإجازة الصيفية، وسرتاح من انهض وقم، وذاكر وراجع، وكفى ونم. عمر: نعم، تُقَّتْ للإجازة حيث لا مانع من هاتفٍ وسَهَرٍ، ولا من نزقٍ ومرحٍ، ولهوٍ ولَعِبٍ.

هنا: ولا حظر على دَعَا وراحة، ولا نقد لكسل ونوم، أو مساءلة بكيف ولم ومتى وأين؟

الأب: هذا ما فيه ترغبون.. وغاية ما تؤملون؟!

الأم: عجباً لأغصان نديّة.. وزهور غضة طرية أن تتعشق الكسل، وتفر من العمل، وتزهّد في تحقيق هدفٍ وأمل.

سلمى: جيلنا غير جيلكم، وأيامنا ليست كزمانكم.

عمر: نعم، لنا حقوق واهتمامات وأولويات، كما أن عليكم تبعاتٍ ومهامٍّ ومسؤوليات.

هنا: بعد دراسة ونجاح.. هل من عتب أو لائمة على من يخلد للدعة ويرتاح؟

الأب: في مثل سني أعماركم كنا ندرس ونتعلم، وبأدبٍ كنا نتحاور ونتكلم، ونشارك

في الأعمال المفيدة بجِدٍّ، ونفيد من أوقات الإجازة والصيف بمتعةٍ وحبٍّ.

الأم: نعم، كنتُ مع دراستي، أسهم بأعمال البيت، وكثيراً ما ساعدتُ أمي في غسل

وطهي، وكنس وكي ورش، ولم يكن مصعد لدينا أو سيارة، ولا "رموت" تكييف ودش.

سلمى: يبدو أن حياتكما كانت أكثر متعة، وأن أيامكم كانت أكثر بركة، ليتنا كنا من أقرانكم وأترابكم.

عمر: أشعر بحنينكما إلى أيام الصبا، ولا يحزنُّ أحدٌ لِمَاضٍ إلا إذا كان أحلى لديه وألذ من الحاضر.

هنا ل (سلمى وعمر): ما رأيكما أن نجرب حياة والدينا مدة أسبوع نُبحر فيه إلى الماضي، فإن قدرنا واستمتعنا أكملنا مثلهما.. وإن مَلَلنا وتعبنا عُدنا من حيث أتينا؟ الأب: جربوا ولن تندموا، جُدوا ولا تكسلوا، الفرصة أمامكم، دعوات قلبي تحفكم، والله وليكم.. وهو المعين لنا ولكم.

الأم: يبدو أن الله سيستجيب قريباً دعائي، وسيعود أولادي إلى طاعته ورحابه، ويري وإسعادي، اللهم قد شرعنا في تغيير أنفسنا فبدل أحوالنا لما تُحب وترضى.

الأب: صدق الله العظيم القائل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].

حصة دين

أراد تلاميذ فصل المعلم رشاد بمدرسة الوطن أن يخصصوا يوماً لغداء جماعي، يأكلون فيه ويستمتعون في مجموعاتٍ متحابين فيما بينهم.

وهم بذلك يبتغون كسر رتابة وتيرة تناول الطعام بشكل انفرادي، حيث تكون شهية بعضهم غير منفتحة، وإقبالهم على الطعام محسوراً محدوداً.

وقبل يوم من تناول الغداء الجماعي دار هذا الحوار بين تلاميذ الفصل في حصة الدين:

إياد: كم أنا فرح بيوم غدٍ حيث أتشوّف إلى نشوة الاجتماع على الطعام، وأنس الصُّحبة وبهجتها.

مودة: حقاً فأنا كثيراً ما أملُّ من تناول الطعام وحدي.

آسر: لا شك سأكون مسروراً.. لكن بشرط ألا يُشاركني الطعام زملائي من غير المسلمين.

المعلم: ولمَ يا آسر تشترط هذا الشرط؟

آسر: ربما كان حراماً أن أطمع طعام غير المسلمين.. ثم إنني أعاف طعام غير المسلمين ولا أطيق الاقتراب منه.

إياد: لا يا آسر، قد سمعتُ من أبي أن الأكل من طعام غير المسلمين جائز.

مودة: نعم، قالت لي أُمِّي مثل هذا، لكنها أكدت علي ألا أتناول شيئاً محرماً كلحم الخنزير والخمر.

المعلم: بارك الله فيكم جميعاً.. لسنا معك يا آسر طعام أهل الكتاب حل لنا، كما أن طعامنا حل لهم. ألم تسمع قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} [المائدة: ٥].

آسر: لكن نفسي تعاف طعامهم ولا أطيق رائحة ما يأكلون.

المعلم: إن كنت تشعر بهذا تعالياً عليهم فلسنا معك أيضاً في هذا.. فلا بد من تغيير سلوكك، وإرغام نفسك على النزول لحكم الشرع، وعدم الاستطالة على الناس بسبب دينهم، أو جنسهم، أو لونهم.

وإن كنت تشعر بهذا طبعاً وجبلةً فإننا لا نرغمك على تناول طعامهم، فالأمر ليس واجباً بل هو مباح، ولكن عليك أن تُغير مفهوم حُرمة تناول طعام الكتائبين الذي كان مسيطراً على فكرك خطأً.

إياد: فهمنا عنكم معلمنا أن طعام أهل الكتاب من يهود ونصارى الأصل فيه الحلال

لنا.. لكن ماذا لو كان الطعام لحمًا ذُبِحَ لغير الله؟

مودة: نعم.. وماذا لو كان الطعام حيواناً مات أو ذبحوه بطريقة غير شرعية؟

آسر: سمعتُ أن الدم حرامٌ أكله وشربه.. فماذا لو كان طعام أهل الكتاب طِحَال

حيوانٍ أو كَبِدِه والكَبِدِ دم؟

المعلم: سأجيب عن أسئلتكم واستفساراتكم، فصبر جميل.

يقول الله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

النُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة: ٣].

نؤكد أولاً أن الأصل إباحة طعام أهل الكتاب لنا سواء كانوا ذميين أو مُحاربين؛ ما لم

نعلم أن هذا الطعام يندرج تحت هذه الآية الكريمة بأن كان مَيْتَةً، أو دماً مسفوحاً، أو

لحم خنزير، أو ذُبِحَ لغير الله.

أو كان المطعوم حيواناً تعرّض لاختناق، أو لضرب بعصا أو حجر ونحوهما، أو سقط

هذا الحيوان من مرتفع شاهق متردياً فهو ي ومات ببئر، أو سفح جبل، أو نحوهما، أو

نطحه حيوان صِنُوْ له، أو حيوان من فصيلة أخرى حتى زهقت نفسه.

أو افترسه سبع من السباع والسَّبُعُ: كُلُّ ذِي نَابٍ وَظُفْرِ مِنَ الْحَيَوَانِ: كَالْأَسَدِ، وَالنَّمْرِ،

وَالدَّبِّ، وَالدَّبِّبِ، وَالثَّعْلَبِ، وَالضَّبْعِ، وَنَحْوِهَا. وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَى ذَوَاتِ الْمَخَالِبِ مِنَ

الطَّيْرِ سِبَاعٌ، ثم تركه أو ترك أجزاء منه.

أو أن هذا الذبح قُصد به غير الله من نُصِب شُيِّدَت بالحجارة مثل التي كانت حول الكعبة في الجاهلية، أو كان ضَرِيحَ وليٍّ، أو قُصد به إله مزعوم؛ فيحرم هذا كله في أي مكان وعند أي إنسان.

أما عن الكَيْدِ والطَّحَالِ فهما حلال لنا بسُنَّةِ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد ورد عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: (أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدِمَانٍ؛ فَأَمَّا الْمَيْتَانِ، فَالْجِرَادُ وَالْحَوْتِ، وَأَمَّا الدِّمَانُ، فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ)؛ أخرجَه أحمد، وابن ماجه. صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

الحلف

استعان مدير المدرسة بالمعلم حازم ليحضر معه جلسة إصلاح بين تلميذين متخاصمين، وقد شهد الجلسة ولي أمر كل تلميذ من المتشاحنين؛ نظراً لأن المشكلة قد تفاقمت بينهما.

وبعد أن وفق الله المعلم حازم للإصلاح بين المتخاصمين، عاد سريعاً إلى فصله مستأنفاً عمله.

المعلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. عفواً أعتذر عن تأخري لأمر خارج عن إرادتي.

كنتُ في مكتب مدير المدرسة نحاول الإصلاح بين متخاصمين، وقد وفقنا الله لإصلاح ذات البين.

سامح: هل الإصلاح بين الناس يستغرق وقتاً طويلاً هكذا يا معلمنا؟

سامح: لقد تأخرت كثيراً حتى كدنا نجزم بأنك ستعتذر اليوم.

سوسن: أوشكت فعلاً أن أحلف لزملائي بأنك لن تدرك حصتنا.

المعلم: تحلفين..؟! جميل جداً.. ما رأيك أن ما أخرنى هو كثرة الحلف.

لقد كنا نحاول الإصلاح وفهم المشكلة من البداية لاتخاذ الحكم العادل، وتعزيز المخطئ، ونصرة المظلوم.

لكن جابهننا مع الأسف كثرة الحلف من كلا الطرفين؛ مما اضطرنا أن نقنعهما أولاً بأن لا داعي للحلف؛ فالقسم يُبذل حين يُحتاج إليه، ولا يُبادر الشخص ظالماً كان أو مظلوماً بسرعة القسم وبذل اليمين والمسارة بالحلف.

سامح: وماذا حدث في نهاية جلسة الإصلاح والحكم؟

سامح: نعم.. مَنْ كان المخطئ وَمَنْ كان المُصيب المُحقّق؟

سوسن: أظن أن المظلوم البريء هو من أقسم وحلف.

المعلم: إطلاقاً يا سوسن، لا تُقاس القضايا والمشكلات بالأعلى صوتاً، أو الأكثر والأسرع حلفاً وقسماً.

في البدء، خطأنا الطرفين، وعلمناهما ترك القسم مُحقّقين كانوا أو غير محقّقين، كما أنهما تراضيا في نهاية الجلسة بالفضل فيما بينهما.

أبنائي، ينبغي ألا يلجأ أحد منا إلى القسم دون داعية من قاضي المحكمة، أو تثبت من أحد المُحكّمين، وأيضاً لا يُستحلف إلا المنكرون حين تكون القضايا من النوع التي تجري عليها القاعدة الفقهية: "البينة على من ادعى واليمين على من أنكر".

المهم.. حتى لا يضيع وقتنا هباءً ليكن درسنا اليوم عن الحلف.. شاركوني العرّض والتناول والمناقشة أصلحك الله.

سامح: مما أذكره في هذا الموضوع هو قول الله عز وجل: {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٤].

سامح: وأنا يحضرني قول الله تبارك وتعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩].
سوسن: الآن فقط فهمت أنه ينبغي للمسلم أن لا يُكثِر الحَلْفَ بالله سبحانه؛ لأن في ذلك ما يُشعر بعدم تعظيمه الله، كما أن فيه شيئاً من جرأةٍ عليه سبحانه وتعالى.

ومما أذكره من القرآن الكريم قول الله تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}. [القلم: ١٠: ١٣].

المعلم: أحسنت سوسن، إن الآية التي ذكرتِ نفهم منها أن الله قد ذكر من يكثِر الحَلْفَ وأدْرَجَ وصفه ضمن أوصاف غير محمودة كالمشَاء بالنميمة، والهَمَّاز، وغيرهما؛ فانظروا أين سلك الله المُكثِرِينَ من الحَلْفِ والقَسَمِ والأيمان!

المؤمن يحفظ اليمين ويصونها إلا لمصلحة شرعية، أو عند الخصومة والحاجة إليها ونحو ذلك، ولا يُكثِر منها؛ فإنه متى أكثر وقع في الكذب، ووقع في التساهل، وظنَّ به الكذب، وينبغي للمؤمن أن يتحرر من كثرة اليمين ولو كان صادقاً ويحلّ المشكلات بغير اليمين.

التلاميذ (في صوت واحدٍ كأنهم تذكروا شيئاً مهماً): وماذا عن اليمين الغموس يا أستاذنا؟

المعلم: إذا كان المسلم حالفاً على أمر يعتقد أنه غير صحيح فهذه هي اليمين الغموس، سُميت بذلك لكونها تغمس صاحبها في النار.

وهي أعظم عند الله من أن تُكفّر، والواجب فيها هو التوبة منها، وقد أوجب فيها بعض الفقهاء الكفارة مع التوبة كالإمام الشافعي.

سوسن: هل هناك حالة يكون فيها الحلف ضرورياً يا أستاذنا؟

المعلم: نعم، يكون الحلف واجباً ضرورياً كالقسم أمام القاضي لإنقاذ شخص مظلوم مُتهم.

الآن.. نختتم حصتنا أبنائي وبناتي بقبس من نور النبوة بما ورد عن النبي ﷺ:

"ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم:

أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا

بيمينه". صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

اللعنة

دَفَعَ الفضولُ التربويُّ المعلمَ ساميَ لتفقد التلاميذ في الفسحة المدرسية، يتسم لهذا، ويومئ لتلك، ويشجع هؤلاء، ويحنو على آخرين، وهو في ذلك كله يتسمع إلى أحاديثهم ويرمق سكناتهم وحركاتهم.

وقد سَعِدَ بمروره بين التلاميذ، واستطاع أن يرصد بعض الأفعال والسلوكيات، والألفاظ والكلمات التي تحتاج إلى مناقشة ودراسة وتعليق وتعليم وتوجيه.

ساء المعلم سامي أن قرع أذنيه بين جنبات فناء المدرسة كلمات لعنٍ وسبٍّ؛ صدرت عن تلاميذ منهمكين في اللهو مندمجين في اللعب، كأنهم في عالم آخر من المتعة فلا ضابط للكلمات، ولا انتقاء للألفاظ والعبارات، ولا تحفُّظ في مدارات اللعب ومَساراته على الكلام والحوار فيما بينهم.

المعلم: أبنائي وبناتي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. صبحكم الله بالخيرات. سَعِدْتُ أمس بتفقدكم والسير بينكم في فسحة المدرسة.. لكنني سمعت كلماتٍ سيئةً أخشى أن تفشو فتمثل ظاهرة بينكم، وأريد أن أناقشها معكم.

سعيد: تفضل أستاذنا، نحن معك، في تشوُّق وتشوُّف للمناقشة والحوار والإفادة.

أدهم: بِمَ سنبدأ معلمنا.. بسليبات الكلام أم بسليبات الأفعال؟

سلمى: ليتنا نعالج كل سلبياتنا كلماتٍ كانت أم أفعالاً وسلوكيات.

المعلم: . أحبتي، تعلمون أن وقت الحصة لا يسمح إلا بمعالجة قضية واحدة، وأرى أن نبدأ بمسألة اللعن.

سعيد: أستاذنا، قد نطق ألفاظاً أثناء اللعب والمرح لا نعيها ولا نقصد دلالاتها ولا مراداتها.. إنما هو مجرد اللعب ومحض اللهو.

أدهم: إنما بالطبع نحذر الكلام النابي، والألفاظ القبيحة، فضلاً عن سب بعضنا أو الآباء والأمهات والدين.

سلمى: أتحرى مع زميلاتي أثناء اللعب واللهو والمرح أن نكون متحفظاتٍ في القول والفعل، إلا ما يندُّ من إحدانا - عفو الخاطر - من كلمات سبٍّ ولعنٍ للكثرة أو للأرجوحة ونحوهما.

سعيد: أستاذنا، ما معنى اللعنة في اللغة والشرع؟

أدهم: سمعت عن حديث: "اتقوا اللاعنين" فما هما؟

سلمى: ما هي الشجرة الملعونة في القرآن الكريم ولماذا لعنت؟

المعلم: اعلموا أبناءى أن اللعن هو الطرد والإبعاد من الخير.

{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} [الإسراء: ٦٠]: شجرة الزقوم، أي: الملعون آكلها،

وقيل: هي التي كرهها ولعنها كلُّ مَنْ ذاقها.

أحبائي، اللعنة ربما كانت كلمة سهلة سريعة الدوران على ألسنتنا، لكنها ثقيلة في موازين سيئاتنا.

ولا يجوز للمسلم أن يلعن شيئاً من الحيوانات ولا الجمادات فضلاً عن الأشخاص من الأحياء والأموات.

والواجب على من فعل شيئاً من ذلك أن يتوب إلى الله - تعالى - ويكفّ لسانه عن مثل ذلك، ويعزم على عدم العودة إلى ذلك مرة أخرى.

وقد رفض النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تصحبه ناقة لعنتها صاحبها في سفر حين اعتاصت الناقة وتمردت على توجيهها وأوامرها، وقال عن الناقة: "دعوها فإنها ملعونة".

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رجلاً لعن الريح عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "لا تلعن الريح، فإنها مأمورة، من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه" رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان في صحيحه.

وعند أبي داود عن معاذ مرفوعاً بلفظ: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل".

وهذا الحديث يتضمن النهي عن قضاء الحاجة في الأماكن التي يرتادها الناس ويترددون عليها، كالظل، والطريق، ومكان وجود الماء، ونحو ذلك، كالحدائق العامة،

والأسواق؛ لأنها مجلبة للعن. صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

كذب أم تعريض؟

المعلم يسري خمسيني خلوق، ذو خبرة تعليمية وتربوية ونفسية فائقة، لاحظ في بعض تلاميذه نابتة تُسرف في التعريض باستخدام التَّوْرِية إلى حد ملامسة الكذب ومتاخمته. وفي ذات يوم قرر أن يكون موضوع درسه مع تلاميذه عن الإسراف في التَّعْرِيض المُفْضِي إلى الكذب.

المعلم: بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أبنائي بناتي، حياكم الله وبارك فيكم.

ما رأيكم أن يكون درسنا اليوم عن التَّعْرِيض؟

عامر: لا بأس معلمنا، وإن كنت لا أفهم جيداً معنى التَّعْرِيض.

سالم: التَّعْرِيض من مرادفات الكذب.

نهى: لا يا سالم.. التَّعْرِيض عكس التصريح، وإذا لم ينتبه المعرَّض، أو بالغ في

التَّعْرِيض أوشك أن يرتع في الكذب.

المعلم: ما شاء الله لا قوة إلا بالله! حوار متنام ومثمر وبنَّاء.

أبنائي وبناتي، حقاً إن التَّعْرِيض ضِدُّ التَّصْرِيحِ، يُقَالُ: (عَرَّضَ) لِفُلَانٍ وَبِفُلَانٍ إِذَا قَالَ

قَوْلًا وَهُوَ يَعْزِيبُهُ.

وَمِنْهُ (الْمَعَارِضُ) فِي الْكَلَامِ وَهِيَ التَّوْرِيَةُ بِالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ. وَفِي الْمَثَلِ: إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ. أَي سَعَةٍ شَرِيطَةٌ عَدَمِ الْغَلُوِّ وَالسَّرْفِ.

الآن.. من النظرية إلى التطبيق كما تعودنا معاً.. هاتوا قصصكم وأمثلةكم هاتوها.
عامر: كنا في الماضي نسكن جوار أسرة طيبة إلا أن أفرادها جميعاً - حتى الأطفال منهم - أدمنوا على التَّعْرِيبِ وأشربوا حبَّ الكتمان في حين كانوا يتابعون الآخرين بشكل دقيق، ويسألون عن أخبارهم وتفاصيل أنبائهم.

من ذلك أنك لو سألت أحدهم: في أي صف دراسي أنت؟ أجاب: أدرس بالمرحلة الفلانية أو بمرحلة كذا، ولا يُذكر مباشرة الصف الدراسي الذي ينتمي إليه.

فإن قلت له: هل ظهرت نتيجة أخيك الذي في الإعدادية؟ قال: لست أدري.

فإن قلت له: لقد سمعت أحدهم يبارك لأبيك؟ قال: ربما نجح أخي.

فإن قلت له حصل على كم بالمائة؟ قال لك: لَمَّا نحسب النسبة المئوية بعدُ.

وهكذا.. كانت حياتهم كلها مكلَّلة بالستر، مغلفة بالكتمان، مع إفراط في التَّوْرِيَةِ، وإلحاف في معرفة أخبار الآخرين.

سالم: هذا أذكركني بأسرة تجاوزنا الآن، أسرفوا على أنفسهم في التَّوْرِيَةِ إلى حد يقارب الكذب بل ربما ولغوا فيه.

تسأل أحدهم هل بدأ سداد مصاريف المدرسة؟

يقول: لا، لا يزال الأمر مبكراً يا رجل!

ثم تذهب بعد قليل إلى المدرسة لتستعلم بنفسك عن الأمر، فإذا به عائد يحمل الكتب لأبنائه، والشيء نفسه يتكرر عند إعلان نتائج الاختبارات نصفية كانت أو سنوية.

المعلم: علامَ تضحكين يا نُهي؟

نهي (تقاوم استرسال ضحكها): أضحك من أسرة قريبة لنا هي فرع من عائلتنا، إن رأيناهم قد غابوا عنا عدة أيام، ثم ظهروا وقد ضربتهم سمرة واضحة، وشابهم قِشْر كَسَا بِشَرَّتْهُمْ، قلنا لهم: حمداً لله على سلامتكم من المصيف.

فزعوا مندهشين وقالوا: مصيف؟ إنها آثار الشمس سرنا فيها طويلاً.

فنبتسم ثم نقول لهم: وماذا عن اختفائكم عدة أيام؟

يقولون: نعم. اضطررنا إلى السفر إلى البلد لأداء واجبٍ ما.

والأمر نفسه تجده حتى في أداء بعض الشعائر لديهم والعبادات كالعُمرَة مثلاً. فحين

تسأل عن رب الأسرة يقولون لك: ليس موجوداً أو بالخارج.

وحين يفقد أبي وجوده أياماً بالمسجد، ثم يسأل عنه ليطمئن عليه يقولون: اضطر

للسفر بمأمورية عمل.

ثم يلمحه أبي - قدراً - حين عودته من صلاة الفجر، يراه وقد احتمل ماء زمزم

وحقائبه ليدخلها من السيارة إلى بيته!

المعلم: أحستهم جميعاً.. هؤلاء الذين ذكرتم جميعهم يفهمون خطأ الحديث الذي رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة والمختلف في ثبوته وحكمه صحةً وضعفاً: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود".

كما أنهم غفلوا جميعاً عن قول الله تعالى القاطع: {وأما بنعمة ربك فحدث} [الضحى: ١١]؛ مما أوقعهم في أحابيل المراوغة وشباك الكذب.

وقد ترون هؤلاء - مع الأسف - إن أصابتهم نعماء أو سراء كتموا وستروا، وإن مستهم لفحة من بأساء أو ضراء ضاقوا بها وضجوا وجأروا، وشكوا الله إلى الناس وهرعوا ونشروا.

عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).

رواه البخاري ومسلم واللفظ له. صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

جريمة في المدرسة

كُلّف المعلم عبدالله فور تخرجه بالتدريس في محافظة نائية، كان عبدالله خلوقاً طموحاً متمكناً من مادته، لم يفكر طويلاً في بُعد السفر فقَبِل التكليف وارتحل. تسلم عبدالله عمله برضا ورحابة صدر، وما لبث أن انتظم بالمدرسة بعد أن دبر سكناً متواضعاً بجوار المدرسة حتى يتجنب وعثاء السفر، وإرهاق البدن، ونزف كلفة المواصلات.

لم يمكث عبدالله بهذه المدرسة إلا عامين ظهر فيهما نبوغه وتألقه، فالمادة طوع أمره، والقدرة على التيسير والتوصيل هوايته.

ونزاهته الشخصية تصحيه في حله وترحاله، إضافةً إلى نشاطه وثقافته وبرامجه التي يقترحها للنهوض بفصوله خاصة ومدرسته عامة.

كرّمت الإدارة التعليمية المعلم عبدالله وخيرته بين ترقية أو انتقال لمحافظة يختارها، فاختر العود إلى محافظته حيث أسرته، لا سيما وقد أضناه طول البعد، وأرهقه السفر، ففضل قُرب أسرته على ترقية قد يدركها لاحقاً.

في مدرسته الجديدة لاحظ المعلم عبدالله أشياء لم تعجبه، وأخرى أسف لها ولم يرضها، وثالثة لم يُطق السكوت عنها.

وبدأت المضايقات؛ فمدير المدرسة قد اختصه بجدول جائر يربط عبدالله بالمدرسة من أول حصة حتى نهاية الدوام طوال الأسبوع.

ولم يُدرج المدير لعبدالله صفوف الشهادات المهمة في جدولته، وطلب إليه ألا يشرح شيئاً في الحصص الاحتياطية؛ زاعماً أن هذا يرهقه ويشغله عن فصوله الأساسية.

في البدء لم يستطع المدير إزاء شخصية المعلم عبدالله القوية أن يجابهه بأن عليه أن يقدم قدرًا من المال كل شهر للمدير بحجة المساهمة في تحسين خدمات المدرسة.

وإن كانت في حقيقتها جباية (إتاوة) يفرضها المدير على المعلمين ليطلق أيديهم في فصول التلاميذ قهراً وتعنيفاً، وعيداً وتخويفاً من الفشل والرسوب.

والتهديد بالعبث في تقييم درجات الاختبارات لمن لم يستجب لنداء الدروس الخصوصية أو على الأقل للمجموعات المدرسية.

حاول المعلم عبدالله أن يقاوم شراسة هذه الموجة مع زملائه بحديثه عن رسالة المعلم المهنية الأخلاقية، وبالتوعية الفكرية، والمناقشة التربوية، وبالحوارات الثقافية البناءة.

فنجح في استمال معلمين اقتنعا بدعوته، وإن لم يشاركاه الرغبة في حب التغيير، في حين تخوَّف آخرون، وفي النهاية وشى به بعض عيون المدير.

في مكتب مدير المدرسة:

المدير: أستاذ عبدالله؛ للمدرسة إدارة وأسس وقواعد، عليك الالتزام بها، ولا تسبح

ضد التيار، وصانعو الفتن والقلق لا يستمرون معنا كثيراً.. هل تفهمني؟

المعلم عبدالله: نعم، أفهمك جيداً.. ما المطلوب إذن؟

المدير: نسبة من الدروس الخصوصية وأخرى من مجموعات التقوية؛ للنهوض بخدمات المدرسة.

المعلم عبدالله: ألم يخبرك "عيونك" أنني لا أعطي دروساً خصوصية ولا مجموعات تقوية، فطلابي يفهمون معي خلال الحصص، وليس فيهم من يحتاج إلى مزيد شرح لا في درس خاص ولا في مجموعات مُكدسة.

المدير: أعلم ذلك. إنما أردت أن تغير منهجك، وتنعش حياتك المادية بدروس ومجموعات، وبالطبع فإنك لن تنسانا.. أعني لن تنسى حظ خدمات المدرسة من دروسك!

المعلم عبدالله: لستُ في حاجة لإعطاء دروس أو مجموعات بطرق رخيصة من ضغوط نفسية على التلاميذ، وتصيّد أخطائهم.

وإرهابهم بدرجات أعمال السنة، وتهديدهم بملاحق ورسوب، وإغفال وإهمال نفسي للتلاميذ غير الملتحقين بالدروس والمجموعات، فضلاً عن تسريب الاختبارات الشهرية وربيع ونصف السنوية لمن يدفع مهورها.

أما الانتعاش المادي فسأجنيه - إن شاء الله - بطرق مشروعة ولو كانت بعلمي عملاً إضافياً بعد دوام المدرسة.

داخل أحد الفصول:

المعلم: أبنائي بناتي، يتعرض بلدنا الحبيب لموجات مادية مسعورة أذكتها وطأة اقتصادية مُلمّمة، ودافّة عامّة ألهبت الناس، ومسغبة طحنت برحاما كثيرين؛ فاعوجّت ضمائر بعضهم وانحرفت أخلاقهم.

ما رأيكم هل نساير طغيان هذه الفتنة أم نجابهها مع مشقة ومصير قد يكونان مؤلمين مُكلفين.

باهر: معلمنا، كما علّمتنا وعودتنا الثبات على الحق ومقاومة الباطل.

خالد: أستاذنا؛ ما كنا لنرضى عن فساد وإن كلفنا الخلاص منه شدائد ومحناً.

مروة: سمعنا عن مضايقات لكم، وتهديدات وضغوط عليكم، كلنا معك فلا تبتئس.

المعلم: أبنائي وبناتي، جاءتني فكرة.. للخلاص من وجوه الفساد التي تعانيها المدرسة؛ نحتاج إلى إعداد وسيلة علمية أعني "مجلة حائط" يكون موضوعها عن "جريمة الدروس الخصوصية".

باهر: جميل جداً، أنا سأجمع الصور والكاريكاتيرات المناسبة للعدد.

خالد: رائع.. وأنا سأجمع تصريحات المسؤولين عن تجريم الدروس الخصوصية والتقارير الرسمية لوسائل الخلاص منها، وذلك من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت).

مروة: أما أنا فسأقنع أبي أن ينشر عدة تحقيقات صحفية في الجريدة التي يعمل بها،

بعد أن نزوده بصور حية من مجلة الحائط التي سنشترك في صنعها جميعاً.

المعلم: ما أروعكم وأبهاكم وأطيبكم جميعاً وأذكاكم!

وأنا بعد إشرافي على المجلة، سأطلب منكم جمع توقيعات من زملائكم وأولياء

أمورهم المقهورين عنوةً بالدروس الخصوصية والمجموعات.

وسأجهز ملفاً كاملاً يحتوي على عدد المجلة، والتوقيعات الخاصة، وصور من ملازم

الدروس الخصوصية الممهورة بأسماء المعلمين وخطوطهم.

مع رصدٍ لامتحانات أتت بنصها من هذه الملازم، والدفع بذلك كله إلى محامٍ نابه؛

كيما يرفعها بالطرق القانونية إلى الإدارة التعليمية والجهات المختصة والمعنية.

وربما استدعى الأمر بعد نشر قضيتنا بالصحف وتوجيه الرأي العام إلى تصعيد قانوني

ببلاغ رسمي للنيابة الإدارية.. لكن ينقصنا الآن الدليل القاطع على ممارسة الإرهاب

بالمدرسة للدخول القسري في الدروس الخصوصية.

باهر: معلمنا، حين يأتي المعلم (س) والمعلم (ع) والمعلمة (م) ممن يمارسون القهر

والضغط علينا سنفتح معهم - بذلك - باب حوار عن الدروس الخصوصية، على أن

يقوم خالد بالتسجيل للأحداث خفيةً.

خالد: تمام.. مكاني بالقرب من إلقاء المعلمين سيجعل الصوت واضحاً، ومعى موبايل

يتميز بالتسجيل النقي.

ملك: وأنا من جانبي سأهاجم باهر وألتمس الأعذار للمعلمين، وأدافع عن المعلمين

وأنافح؛ حتى لا يشك أحد منهم في الأمر.

وسأدعي بأن بلدنا كله يسير وفق هذه الطريقة، وأن مرتبات المعلمين لا تكفيهم،
وأنهم مضطرون لإعطاء هذه الدروس.

أثناء الفسحة:

في الوقت الذي أوعز فيه مدير المدرسة لعامل مكتبه بنزع وتمزيق "مجلة الحائط"
التي أعدها المعلم وتلاميذه وعلّقوها.

كان خالد واقفاً في فسحة المدرسة يتابع صدى المجلة وإقبال التلاميذ على قراءتها؛
ما مكنه من تصوير محاولة العامل التخلص من المجلة وتمزيقها.

في المحكمة:

بعد الاطلاع على المستندات، وتوقيعات أولياء الأمور، وملازم الدروس المحرزة
ونماذج الامتحانات، وبعد تحليل الفيديوهات والصوتيات والصور معملياً، وبمواجهة
مدير المدرسة والمعلمين وعامل المدرسة المتورطين بجرائمهم.

اعترف العامل وجميع المعلمين بجرائمهم خضوعاً لأوامر مدير المدرسة الذي مارس
عليهم قهراً إدارياً وتهديدات بالنقل والخصومات والتعنت وغيرها.

لذا قررت المحكمة حضورياً نقل مدير المدرسة إلى محافظة نائية وتغريمه مبلغ عشرين
ألف جنيه.

وتغريم العامل والمعلمين المتورطين كفالات مالية تتراوح بين ألف وخمسة آلاف جنيه

مع إنذارهم جميعاً بالفصل.. رُفعت الجلسة!

الجدل

تامر تلميذ ذكي لكنه أُوتي حظاً من الجدل ونصيباً من الممارسة والمغالبة في الحوار والمناقشة.

يطيب له الجدل ويحلو ولو كان مُخطئاً، يَدُبُّ به عن نفسه، ويدفع به عن خطئه، ويتوارى به عن تفريطه وتقصيره، وهو في ذلك كله لا يعترف بزلل لا من قريب ولا من بعيد.

مع بدء الحصة الأولى من الفصل الدراسي الثاني، جاء تامر متأخراً إلى المدرسة وسرعان ما طوى السلاالم ليترك باب فصله، وقد زَوَّر في نفسه عدة إجاباتٍ يدفع بها عنه لائمة المعلم عاطف، وتساؤلاته عن تأخره.

المعلم: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. مرحباً بك تامر. فيم كان تأخرك؟

سمر (تحدث نفسها بصوت خفيض): تُرى ماذا سيقول هذه المرة: المنبه لم يدق، أمي مريضة ولم تستطع إيقاظي، أم أن هناك مشكلة في الطريق إلى المدرسة عرقلت حضوره في موعده.. إلخ. سميرة (كأنها تشارك سمر توقعاتها ردود تامر الجدلية): هذه أولى حصص نصف العام الأخير.. هل سيبدأها تامر بحُجة جديدة حول تأخيره، أو أنه سيتعلل بتعلل سابقة قد جادل بها عن نفسه من قبل.

تامر: لم أتأخر بمَلْكي ولا بإرادتي، هذا هو اليوم الأول من نصف العام الأخير، ولم تُعلّق إدارة المدرسة جدول الحصص؛ لذا أحضرتُ معي كل كتب الدراسة بحقيبتني؛ ما أرهقني فكنت أسير مسافة وأرتاح أخرى حتى وصلت إليكم الآن.

المعلم: حسنٌ. تفضل بالعودة. أبنائي، بناتي، أرى من المناسب أن يكون درسنا اليوم عن الجدل.. هل أنتم موافقون؟

سمر: بكل سرور يا أستاذنا.

سميرة: سمعاً وطاعة.

تامر: أراكم تنتظرون رأيي.. نَعَم الموضوع هو، فالجدل هبة ونعمة، وملكة وقدرة، كم أنجى صاحبه من ورطات، وخلصه من نقد واتهامات، ورحمه من عتبٍ واعتذارات. المعلم: سنرى الآن موضوعة الجدل كاملةً، بعد تناولنا للجدل لغة، واصطلاحاً، وقرآناً، وحديثاً، وسلوكاً.

سمر: أفهم أن الجدل معناه: اللدد في الخصومة والمناظرة، ومقابلة الحجة بالحجة مع المقدرة عليها والتباري والتمازي فيها.

سميرة: ربما كان من معاني الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة.

تامر: الجدل قدرة فلسفية على الطعن في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى إفحام الخصم ونجاة وتبرئة النفس.

المعلم: هل هناك فرق بين الجدل والمناظرة والمحاورة؟

تامر: الجدل يُراد منه إلزام الخصم ومغالبته.

سمر: المحاوره هي المراجعة في الكلام، ومنه التحوار أي التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه.

وقد ورد لفظ الجدل والمحاوره في موضع واحد من سورة المجادلة في قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} [المجادلة: ١] وقريب من ذلك المناقشة والمباحثة والمشاوره.

سميرة: المناظرة هي تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق والوصول إليه.

المعلم: اعلّموا أبنائي وبناتي، أن الجدل قسمان: ممدوح ومذموم، أما الجدل الممدوح فهو الجدل الذي يقصد به تأييد الحق، أو إبطال الباطل، أو أفضى إلى ذلك بطريق صحيح.

وهذا النوع من الجدل يكون بالتي هي أحسن في الدعوة إلى الله؛ بغية الوصول إلى الحق في تجرّد وموضوعية خالصين.

وأما الجدل المذموم فهو الجدل الذي يُقصد به الباطل، أو تأييده، أو يُفضي إليه، أو كان القصد منه مجرد التعالي على الخصم والغلبة عليه وهذا ممنوع شرعاً.

لكن ما آثار الجدل المذموم والمرء بالباطل؟

سمر: الجدال والمراء غير المحمود من فضول الكلام الذي يُعاب عليه صاحبه، وقد يُؤدي الجدال بالباطل إلى تكفير الآخرين، أو تفسيقهم، أو تبديعهم.

سميرة: الجدال يدعو إلى التشفي من الآخرين، ويُذكي العداوة، ويُورث الشقاق بين أفراد المجتمع.

تامر (خَجَلًا وقد أيقن أن موضوع الدرس قد ساقه ووجَّه المعلم إليه خاصة): حقاً.. إن الجدال ربما قاد صاحبه إلى الكذب، وأدَّى به إلى التطاول والتراشق بالألسنة، وقد يصل بالمجادل إلى إنكار الحق وردّه.

المعلم: أحسنت يا تامر. لذلك قال الله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} [غافر: ٤]. وقال سبحانه: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (إِنَّ أْبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ) متفق عليه.

والألدُّ الخصمُ هو الأعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق، وهو المُعوجَّ عن الحقِّ المولع بالخصومة والماهر بها.

و(الخصم) الحاذق بالخصومة، والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حقٍّ أو إثبات باطل.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- :

(أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة

لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه).

رياض الصالحين (صفحة ٢١٦). صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

القرض

تلاميذ المعلم حسن يحبونه حُبًّا جَمًّا، ويتأثرون بشرحه ونصائحه أيّما تأثر.

وفي حصة له استهلها بقوله: يسرني أبنائي وبناتي أن نتناول اليوم موضوع القرض.

وهذا الموضوع مهم للصغار والكبار معاً، فأعيروني القلوب والأفهام، وشاركوني الشرح

والكلام.

ما إن قال المعلم حسن كلماته هذه إلا تبادر إلى ذهني صادق وكريم هذا الحوار الذي

دار بينهما أمس في فسحة المدرسة:

صادق: تفضل يا كريم هذا ساندوتش مثل الذي أنقذتني أمس به من الجوع، جزاك الله

خيراً.

كريم: بالهناء والشفاء، لا داعي لذلك فأنا اليوم لم أنسَ ساندوتشاتي مثل ما حدث

معك أمس.

صادق: قد قبلت منك الساندوتش أمس شريطة أن يكون على سبيل القرض، فأرجوك

كما يسّرتَ لي الأخذ والعطاء ساعدني كذلك على الرد والأداء.

كريم: أنتَ احتسبته قرضاً، إلا أنني عددته هدية لك.

صَادِق: إذن فليكن ساندوتشي هذا أيضاً هدية لك فتقبله مشكوراً وأخبرني عن رأيك فيه.

المعلم: صادق وكريم، ماذا هناك.. أين ذهبتما اليوم؟ أظنكما سرحتما بفكركما عنا بعيداً.. انتبها بارك الله فيكما.

وما إن استرسل المعلم في حديثه عن القرض حتى شعر أن باهر وسامر أيضاً قد شردا ونذاً عن الانتباه المعهود منهما.

المعلم: باهر وسامر أيضاً كأنهما ليسا معنا اليوم.. من فضلكم هذا الموضوع من الأهمية بمكان لأنه يتعلق بالمعاملات.. أرجو من الجميع التيقظ والانتباه.

لم يَدْرِ المعلم لحظتها أن باهر وسامر قد تذكرا - أيضاً - ما دار بينهما من حديث قبل أسبوع بخصوص قرض كان بينهما على هذا النحو:

باهر: صباح الخير يا سامر، أين العشرون جنيهاً التي اقترضتها مني لتتمم بها ثمن اللعبة التي أعجبتك؟

سامر: فيم العجلة يا باهر؟ لم يمر سوى أسبوع واحد على القرض.

باهر: سبحان الله! ألم تقل لي سأرد الجنيهات العشرين بعد ثلاثة أيام فقط.

سامر: نعم، إنما جَدَّت ظروف ولم أستطع ادخار المبلغ من مصروفي اليومي، فامنحني أسبوعاً آخر للسداد.

المعلم: كما هو عادتنا معاً لن تكون الحصة محاضرة من طرفٍ واحد، فأنا تائق لمشاركتكم البناء ومشوق لتواصلكم الفعال.

سحر: القرض يشبه الاستعارة، وأذكر أن هناك أنواعاً من الاستعارة يتحتم بذلها ويتوجب منحها، وذلك مثل: منافع البيت كالقِدر، والفأس، والقَصْعة، وبعض المفاتيح، والعدد، والمفكات، ونحو ذلك، مما جرت العادة بإعارته.

سمر: نعم.. لعلك تقصدين الشريب الوارد في سورة الماعون على الذين يمنعون إعارة وإقراض مثل هذه الأشياء، حيث يقول الله تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: ٧]. صادق: القَرْضُ: ما تعطيه غيرك من مالٍ أو متاعٍ على أن يرُدَّه إليك.

كريم: القرض يشمل إذن الأموال والأمتعة ونحوهما.

سحر: سمعت أن أجر القرض أكثر من أجر الصدقة.. فلماذا؟

سمر: قد يكون المقرض في حاجة ماسة أكثر من غيره من المحتاجين، وربما لأن المقرض قد يقرض قدراً كبيراً من المال؛ وقد يضرب للسداد موعداً بعيداً نسبياً؛ فيتأثر بذلك المقرض فترة زمن احتباس القرض عنه.

المعلم: الحق أن العلماء قد اختلفوا في أيهما أفضل القرض أو الصدقة، وأرى أن هذا الخلاف الفقهي لا يترتب عليه كبير عمل، فهو لا يمنع أحداً من التصدق أو الإقراض، فكلاهما من باب المسارعة في الخيرات.

لكن الأهم من وجهة نظري أن ناقش مواقف الناس إزاء رد وإعادة القرض مالا كان أو غيره؟

صديق: أرى أنه ينبغي الامتناع عن القروض اللهم إلا لضرورة مُهمّة أو لحاجة مُلمّة.
كريم: كما يتوجب على الموسرين المسارعة في بذل القروض للمقترضين دون تردد.
باهر: من عجب أن بعض الناس يُحسن الطلب والأخذ، ولا يطيّب نفساً بالمسارعة عند الأداء والرد.

سامر (خجلاً): نعم، ربما أذل الحرصُ أعناق الرجال!

المعلم: أحسنتم جميعاً.. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن خياركم أحسنكم قضاءً"، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» (رواه البخاري).

سحر: من آداب القرض أيضاً كتابته وتوثيقه لا سيما إن كان المال كثيراً، أو كانت مدة الدين طويلة، يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: ٢٨٢].

سمر: أما إن كان مال القرض قليلاً، أو مدة الدين يسيرة، فلا بأس من عدم كتابته، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ} [البقرة: ٢٨٣].

سحر: الآن بقيت لنا نقطة مهمة كيف يحكي القرآن في غير آية أنه يكافئ ويجزي من
يمنح الله قرضاً حسناً؟

المعلم: هذا من الله على سبيل التقريب والمؤانسة، والحث على إقراض المحاويج،
فنحن جميعاً فقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد.

والله سبحانه - له المثل الأعلى - يستدر عطف قلوبنا على إخواننا من المحتاجين
للصدقات والقروض؛ على غرار ما جاء في الحديث القدسي: "عبدى مرضتُ فلم
تعدني.. " رواه مسلم عن أبي هريرة.

وربما صنع الآباء والأمهات قريباً من هذا مع الأبناء، فقد يُحضر الأب أو الأم قطع
شيكولاتة، ويوزعها على الأبناء بالتساوي فيما بينهم، ثم يخاطب الأب أبناءه جميعاً
أو يهمس إلى واحدٍ منهم قائلاً: من يعطي أباه قدرًا قليلاً من الشيكولاتة؟

وكل ذلك على سبيل المؤانسة والتحاب، وتعليم الأبناء قيمة ولذة العطاء، على حين
يستطيع الآباء والأمهات شراء كثير من علب الشيكولاتة في أي وقت شاؤوا، فسبحان
المنعم المتفضل الجواد الكريم!

الطقس والدهر

في يوم شاتٍ شديد البرودة، وَلَجَّ المعلم حامد الفصل مبتسماً، وبعد أن ألقى التحية على التلاميذ، لاحظ أن هناك نافذة مفتوحة بالقرب من بعض التلاميذ، فأشار إلى أحدهم بإغلاقها خوفاً عليهم من آثار البرد.

ماهر: ما أشدَّ برودةَ اليوم! ماذا يحدث في قُطْرنا؟ لماذا هذه الوطأة.. حرارة في الصيف.. وبرودة في الشتاء؟ بئس هذا الزمن الذي نحيا فيه! ألا من شمسٍ ساطعة تُدفئنا قليلاً.

صابر: الحمد لله، مناخنا أحسن حالاً من بلاد كثيرة. وتقلبات المناخ آية كونية لها حكمة مقصودة، وأهداف مرعية، سواء فهمناها أو استغلق علينا إدراكها. شاكر: نعم. فاختلاف الأجواء وتعدد المناخات يراعي حاجة كثيرٍ من المحاصيل والثمار التي نطعمها ونحيا عليها.

كما أنه قد يكون في شدة الأجواء لفتاً لنا للعودة إلى رحاب ربنا من قريب فيصرف عنا بفضل كوارثٍ محدقةٍ وهلاكاً وشيكاً. هدى: تجب المبادرة بتقديم الحمد لله على جميع تصرفاته الكونية؛ ولا ينبغي الاقتراح على الله بسطوع شمسٍ، أو هدوء عاصفةٍ، أو نزول ومنع مطرٍ، فليست هذه الحلول تغيب عن الله الحكيم العليم.

ويجب الإقلاع عن سب الزمن، وشتم الدهر، فالزمن أو الدهر مخلوق لله ليس بيده فعل شيء، أو منع شيء، أو التصرف في شيء.

المعلم: لله دَرَكَم.. دام فضلكم.. من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يتعامل مع الآيات الكونية بوجَلٍ وخُشوع، وتسبيح وخُضوع، واستغفار وتنزيه لله تبارك وتعالى.

هكذا كانت حاله مع كسوف الشمس، وخسوف القمر، وعند اصطكاك السحب وحدوث الرعد، واشتداد الرياح والمطر.

ويجب عدم سب أو لعن الأيام والشهور، أو السنين والدهور؛ لأن الفاعل الحقيقي للأحداث الكونية فيها إنما هو الله بمشيئته وقدره.

وقد صح عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - موقوفاً عليه أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: "سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته"، ثم يقول: "إن هذا الوعيد شديد لأهل الأرض". رواه البخاري في الأدب المفرد.

ماهر: على هذا يحرم سب الدهر أو وصفه بالسوء؟

المعلم: أما سبُّ الدهر أو لعنه فلا يجوز للمسلم، بل على المسلم أن يُجاهد نفسه في طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فما أصابه من الأذى هو بأسباب أعماله السيئة، وليس بسبب الدهر.

ويجوز وصف الزَّمن بالشدة ونحوها، كأن يُقال: هذا زمان شديد، أو هذا زمان حارٌّ أو بارد، لكنَّ المنهي عنه هو السبُّ واللعن والاعتراض.

كأن يقول أحدهم: لعن الله هذه الساعة، أو هذا اليوم، أو هذا الزمان، أو لا بارك الله في هذه الساعة، أو قاتل الله هذه الأيام، أو لماذا هذا البرد أو الحر الشديدان؟.. إلخ.

أخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدَّهر وأنا الدَّهر أُقَلِّب الليل والنهار".

وفي رواية: "لا تسبُّوا الدَّهر فإنَّ الله هو الدَّهر". صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

البخل

الكرم سمة محمودة، والله - سبحانه - يحب الكريم من عباده، وكذلك الناس يحبون

الكرماء. والبخل صفة مذمومة، والبخيل يمقتة الله، ويكرهه الناس.

بهذه المقدمة افتتح المعلم "سالم" موضوع حصته للتلاميذ عن البخل.

أبنائي وبناتي، البخل منع فائض خيرات الله عن نفسك وعن غيرك، وفي أقصى صورته

وأكثرها قسوة منع خير الآخرين عن الغير من المحتاجين لهذا الفضل الزائد عن

الحاجة، لا سيما وقد بذله الكرماء بأريحية وسماحة عن طيب نفس، وانشرح صدر،

وجود خاطر.

والآن نبدأ المناقشة والحوار لنصل إلى بُغيتنا من فهم قضية البخل والتمثيل لها من

حياتنا الواقعية.

محمد: نسي زميل لي طعامه الذي أعده لتناوله بالفسحة، ولم يكن معه مال يكفي

لشراء شيء من مقصف المدرسة، فتقاسمتُ معه طعامي بعد أن بدأناه ببسم الله

الرحمن الرحيم.

محمود: يوم الاثنين الماضي ضاع قلم أحد زملائي، فأعطيته قلماً زائداً كان معي.

آمنة: فقدت زميلتي - أثناء لعبنا في الفسحة - ما كانت تحتفظ به من نقود للعودة إلى بيتها، فأعطيها ما يمكنها به أن تعود به إلى دارها.

فلما قابلتني في اليوم التالي أرادت أن ترد إلى ما أخذته من نقود وقد ظنته قرصاً فرفضت؛ لأن نيتي لم تكن على سبيل الإقراض ولا الصدقة إنما كانت حباً في الله وإنقاذاً لها من الموقف.

خديجة: اشترى أبي لي كتاباً خارجياً للتدريبات، ثم أهدي إلى أمي الكتاب نفسه بعد أسبوع، فأهديت الكتاب الجديد لزميلتي التي لم يكن معها كتاب خارجي للتدريبات. المعلم: أحسنتم جميعاً.. لكن أبناءني وبناتي درُسنا عن البخل وليس عن الكرم. ألا من نماذج عن البخل والبخلاء، وبضدها تتميز الأشياء.

محمد: ذات يوم أراد بعض زملائي أن نأكل معاً أكلة جماعية من خلال طرح كل ما معنا من طعام وساندويتشات وغيرها للجميع، وجاد كل واحد من المجموعة بما لديه من طعام إلا زميلاً واحداً ادّعى أنه ليس معه طعام.

ثم بعد أن فرغنا من طعامنا الجماعي، قام زميلي هذا خِلْسَةً وأكل طعامه الذي بَخِلَ به، ثم ما لبث بعد قليل أن تعرض لمشكلة معوية أُجري له على إثرها غسيل مَعِدَةٌ!

محمود: ذات يوم طلب مني أحد أصحابي حقيقتي القديمة ليستقبل بها عاماً دراسياً جديداً، فأتيت له بها ظناً مني أنه لا يمتلك حقيبة، ثم عند منتصف العام وجدته يبكي فقلت له ما يبكيك؟

قال: فأرّ خبيثَ قَرَضَ حقيبي. فقلت له: لا تحزن أعد خياطتها فهي قديمة ومهترئة.

فقال لي: ليست الحقيبة التي أهديتها. إنها حقيبة جديدة ادخرتها بالدولاب لأنني أحب الاحتفاظ دوماً بالجديد!

آمنة: حكى لي أبي أنه في مركبة عامة صعد بعض الفقراء الذين لا يطلبون مالاً بل كان يطلب طعاماً.. أي طعام.

فهمّ والدي بمساعدته بإعطائه مبلغاً من المال إلا أن رديف أبي انبرى مسرعاً حاثاً لأبي وحاضاً له على ألا يُعطي السائل شيئاً قائلاً: إنهم يمثلون وليسوا بفقراء.

فقال له أبي بعد أن أنفذ صدقته: إن كانوا يمثلون ويدعون الفقر، كما تقول، فكذبهم عليهم، وصدقات الناس ودائع لا تضيع عند الله!

خديجة: كانت لنا جارة أرادت أن تدخر الكتب الخارجية لابنتها الصغيرة التي تصغر أختها الكبرى بعامين ولم تُخرجها صدقةً للفقراء.

فمر عامٌ، وأتى عام دراسي جديد فأخرجت الجارة الكتب التي ادخرتها منذ عامين، لكنها فوجئت بأن المناهج قد تغيرت!

فقلت لأمي: ليتني صنعت مثلك.. تصدقت وأرضيت ريك وعظفت على الفقير، وأنا ادخرتُ فما انتفعتُ بالكتب ولا انتفع بها غيري!

المعلم: أبنائي وبناتي.. يسعدُ من كان مثلي معلماً ما دام مثلكم من تلاميذه وطلابه!

الملائكة

أطرقت المعلمة "ملك" هنيهة قبل ولوجها الفصل لشرح موضوع الحصة، وقد أعدته عن الملائكة، وكانت تفكر في تأمل كيف تيسر فهم الدرس لتلاميذها عملياً لا نظرياً.. ثم ما لبثت أن استقبلت تلاميذها بابتسامة علت محياها فأضاءت أسارير وجهها البشوش.

أبنائي بناتي، بعد سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. كيف نؤمن بالملائكة.. أو بالأحرى كيف نحقق إيماننا بالملائكة وهو ركن من أركان إيمان المسلم كما تعلمون؟

قمر: الإيمان بالملائكة جزء من إيماننا بالغيب، ومن صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب؛ أي كل ما أخبر الله عنه من أمور الآخرة جنّة وناراً ومُلْكاً وملكوّتا، ومنها نواميس البرزخ (القبر) وأحداث يوم القيامة.

ياسمين: الإيمان بالملائكة إيمان بالخالق العظيم، خالق كل شيء فهو خالق الجن، والإنس، والملائكة، والخلائق أجمعين.

هارون: الإيمان بالملائكة له أهمية في حياة المسلم، فهو فضلاً عن تحقيقه سلامة عقيدته، يُشعر المسلم بالخشية والرقابة، فالملائكة كرام كاتبون يُحصون أعمال العباد ويُسجّلونها.

المعلمة: أحسنتم جميعاً بارك الله فيكم.. لكني أريد منكم التركيز على تحقيق الإيمان بالملائكة بالأمثلة الواقعية في حياتنا.

قمر: إيماني بالملائكة يسوقني لانتقاء كلماتي، واختيار عباراتي؛ لأنه "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".

ياسمين: إيماني بالملائكة يجعلني أحافظ على الصلاة في أوقاتها؛ لأنه يتعاقب فينا ملائكة يشهدون المكتوبات لا سيما صلاتي الفجر والعصر.

هارون: إيماني بالملائكة يقودني إلى قول الصدق، وبر والدي؛ وأن أسارع في الخيرات لشهود ملائكة كرام كاتبين يعلمون - يقيناً - ما أعمله وأفعله.

المعلمة: رائع.. ممتاز.. ما لك لا تشاركنا اليوم يا عيسى؟

عيسى (متملماً نادماً):

معكم معلمتي.. فقط تذكرت عندما كنت صغيراً حين اغتاض من إخوتي الصغار ربما قرصت بعضهم خفية؛ فيكي أحدهم ويصرخ وكان والداي لا يهتديان لسبب صراخهم وآلامهم.

لكني الآن تيقنت أن الملائكة كانت ترقبني وتسجل عليّ فعلتي، أستغفر الله في مشهد وغيب.. أستغفر الله من جريرة وعيب.. أستغفر الله من ذنب ورئب.. أستغفر الله من خطأ وزلل وحمق.

المعلمة: نستغفر الله جميعاً ونتوب إليه.

أبنائي بناتي، علمتم الآن كيف أن الإيمان بالملائكة ينعكس على قلوبنا وجللاً وخشياً،
وعلى أعمالنا برّاً وتقوى.

الإيمان بالملائكة يدفعنا لمزيدٍ من طلب العلم فالملائكة تخفض أجنحتها لطالب
العلم رضىً بما يصنع.

وإيمانك بالملائكة يجعلك طيبَ الروح والبدن، طاهر النفس والجسد، معطرَ البَشرة
والثوب؛ لأن الملائكة طيبون طاهرون يحبون الطاهرين المتطهرين؛ لذلك من أكل ثوماً
أو بصلاً غير مطبوخين؛ يكره غشيانه المساجد لأن الملائكة تتأذى مما نتأذى منه
نحن البشر.

إن شاء الله

بابتسامة تهلّل لها وجهه وتألّق لها مُحيّاه، وتفاعل لها تلاميذ الفصل جميعاً منخرطين في نوبة من الضحك المتواصل خرج عن حده المألوف.. قصّ المُعلم "هشام" على تلاميذه قصة جُحا مع عبارة "إن شاء الله الفلوس ضاعت!".

ثم بعد أن عادت السكينة أدراجها إلى تلاميذ الفصل، شرّع المُعلم "هشام" في استئناف حديثه عن المشيئة والزمن وشرح جملة "إن شاء الله".

المعلم: أبنائي بناتي، تُرى ما الذي يمكن إفادته من قصة جُحا الذي لم يقدم المشيئة غروراً وثقةً بما يمتلك من ماديّات حين ذهب إلى السوق لشراء بقرة أو نحوها.

ثم لما نُبّه إلى ذلك قال: ولم أقول: "إن شاء الله"؟

مالي في حوزتي والبقر في السوق.

ثم كان الابتلاء بأن يُسرق جُحا ويعود من السوق صفرأً بغير بقرة ولا مال، قائلاً حين

سُئل أين البقرة؟

"الفلوس ضاعت إن شاء الله!".

عمرو: معلمي، المشيئة تتعلق بما يُستقبل من أحداث، فيقولها المسلم إذا انتوى فعل

أمرٍ في المستقبل سواء كان هذا المستقبل قريباً أم بعيداً.

عُمر: قَبْلَ هذا، لا بد للمسلم من تواضعٍ مع الله لأن الله هو من يمتلك القدرة -
وحده - على إنجاز الأفعال في الزمن والظرف المحددين.

ولا يوجد ما يمنعه - سبحانه - من تحقيق إرادته وتنفيذ مشيئته في أي مكان أو زمان
وبأي صورة وكيفية.. سمعت نحو هذا من فضيلة الشيخ الشعراوي - رحمه الله - .

فضل: نعم.. تذكرت الآن ما ذكره القرآن عن مثل هذا الموقف، يقول الله تعالى: {وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ
يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا} [سورة الكهف: ٢٣ - ٢٤].

أمل: معكم تماماً.. لكن معلمي، كيف يحدثنا القرآن الكريم عن وقوع حدث في
الماضي ثم يطالبنا ألا نستعجله في الحاضر والمستقبل؟

فيقول سبحانه وتعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}
[سورة النحل: ١].

المعلم: نؤكد أولاً أن الله - تعالى - هو خالق الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله،
ويخضع الزمن المخلوق لله لطلاقة قدرة الله.

فالزمان أحد خلقه ورهن مشيئته ووعاء قدره، والله يتحكم في الزمن ولا يتحكم الزمن
في أفعال الله.

وعبر القرآن بـ {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} لأن يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه. فكما يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - تعبير القرآن بالماضي دلالة على حدوث وثبوت الفعل وتحقيقه كأنه تم وحصل بالفعل، وإن كان المضمون عن حدث مستقبلي لما يقع بعدُ. وتعبير القرآن فلا تستعجلوه لأن الأمر هنا متعلق بنا نحن الخلق فلا قدرة لنا على التحكم فيما مضى من الزمان، إنما حياتنا وأفعالنا نتحكم فيها حاضراً أو مستقبلاً فقط، ولا سلطان لنا على ما مضى من وقت أو مرّ من زمان.

من ثمّ نفهم معنى القبض والبسط في الزمان، فالله هو القابض الباسط؛ قبض الزمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج. فقد جرت أحداث كثيرة للنبي - صلى الله عليه وسلم - في "لا وقت" من الزمان بحساب الله لا بحساب البشر.

وكذلك قبض الزمان عن طعام وشراب العزيز، وبسطه مع حماره، في الوقت نفسه.. يقول الله تعالى:

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة البقرة: ٢٥٩].

التلاميذ (في صوت واحدٍ بعد سماعهم جرس الفسحة مداعبين المُعلم):

إن شاء الله الحصة انتهت!

طبق الكرامة

"كريم" مُعلِّمٌ مُوفِّقٌ ناجحٌ ومحبوبٌ، يتعشق مهنته، ويراعي ضميره ورسالته، كما يحب تلاميذه ويعدُّهم أبناءه وبناته.

لاحظ المعلم "كريم" في الحفل الأخير، الذي نظَّمته إدارة المدرسة احتفاءً بعيد الأسرة والأُم، سلوكيات لم تُرق له فوجئ بها من تلاميذه.

فقرر أن يناقشهم فيها بعد انتهاء الحفل، وتوزيع الجوائز، ولم يُرد أن يقطع عليهم نزهتهم ومرحهم ومزاحهم أثناء الحفل الممتع بالوعظ والإرشاد.

المعلم: ما رأيكم أن نتحدث اليوم عن آداب الحفلات والولائم؟

مازن: ظننت أن الحفلات والولائم يباح فيها الانطلاق المفتوح والمرح اللاهبي، فلا قيود ولا قمع ولا تضيق.

حازم: نعم.. نحن نترقب الحفلات والولائم والأعياد ونحوها لنكسر فيها الضوابط المقيِّدة، ونتحرر فيها من الضغوط المضنية.

رؤى: معلمي، إن لم نطلق ونتحرر في حبور وسرور بالحفلات.. فمتى نشعر بالحرية..

وكيف نخرج من أسر الرتابة وأغلال الانضباط؟

المعلم: سمعتكم فاسمعوني، وأنصتُ لكم فافهموني.. لكم الحق كله في التمتع والانطلاق، والسرور والحبور، والسعادة والهناء.

لكني سأناقش معكم سلوكاً غير حضاري غاب عنكم، وأضرَّ بصورتكم وشوه هيتكم، ويجب عليكم الإقلاع والبعد عنه بل ينبغي تحذير غيركم منه بالحسنى والمعروف.

مازن: شوقتنا وأقلقتنا، فاهد لنا عيوبنا وكلنا آذان مُصغية.

حازم: أستحضر في نفسي برنامج الحفلة كله فلا أذكر أخطاءً وقعت فيها ولا يلوح لي زلل ارتكبته.

رؤى: فصبر جميل، وقد تعلمنا من أستاذنا أن المرء غالباً لا يرى عيوب نفسه، في حين يرى عيوب الآخرين، ويرى الآخرون عيوبه.

المعلم: أحسنتم جميعاً، بارك الله فيكم، مشاركة ببناءة وحوار مثمر.. لقطة واحدة سأناقشها معكم وستفهمون.. هل تذكرون جيداً لحظة دعوتكم إلى مائدة الطعام؟ لقد انطلقتم كسهام مريشة، بعضكم لم يغسل يديه بعد مرح ولعب، وبعضكم دفع آخرين ليتصدر المائدة، وبعضكم اختار مكاناً كان مُعداً ومخصصاً للمعلمين والعاملين بالمدرسة.

في حين أكل بعضكم بسرعة ملحوظة دون أن يسمي الله، وسمع لمضغه صوت عالٍ، وتحدث أكثركم والطعام يملأ فاه، ولم أسمع أكثركم يحمد الله بعد الانتهاء من الطعام.

كما كان بعضكم يأكل وينظر في أطباق الآخرين، وطلب بعضكم أطباقاً إضافية وهو لم ينته بعد مما في يديه، كما طلب غير واحد منكم تبديل الأطباق، ولاحظتُ واحداً كان يدّخر طعاماً في حقيبته بعد أن أكل وشبع.

يؤسفني إخباركم بأن بعض المعلمين لم يدركوا وجباتهم، وأن بعض عاملي المدرسة تقاسموا مع زملائهم الآخرين وجباتهم لأن الوجبات لم تكف عددهم، رغم أن إدارة المدرسة أعدت لكل واحد من الحضور وجبة خاصة به وجهّزت عدّة وجبات إضافية احتياطياً!

سأذكر لكم معلومة أعجبتني كثيراً سمعتها من فضيلة الشيخ الشعراوي - رحمه الله -

التلاميذ (في خجل وشوق وسكينة): تفضل أستاذنا.

المعلم: كان من عادة الشيخ الشعراوي أن يُكثّر من الولائم والمآدب ليُطعم الطعام أقاربه، وأحبائه، والفقراء، والمساكين.

وكان من ديدنه حين يُدعى إلى مأدبة أو حفل أو وليمة هو وبعض المقربين إليه - كان لا يخرج للوليمة ملبياً الدعوة قبل أن يتناول وصحبته في بيته "طبق الكرامة".

التلاميذ (في دهشة): طبق الكرامة؟!!

المعلم: نعم أسماه الشيخ "طبق الكرامة"، ويعني به أنها وجبة خفيفة من فاكهة ونحوها يأكلها ورفقته قبل الذهاب لتلبية دعوة الولائم بالخارج.

وذلك كله تحسباً لتأخير طعام الحفل، وتحرزاً من قلة أو محدودية طعام الوليمة، وحتى لا يكون جائعاً للغاية فيتناول طعام المأدبة في انكباب وشراة ونهم، فكل هذه المعاني الجميلة أسماها الشيخ "طبق الكرامة".

التلاميذ (جميعاً): رحم الله الشيخ الشعراوي كم تعلم الناس منه حياً وميتاً!

لن ندع "طبق الكرامة" إن شاء الله ما حيننا أبداً!

التسويق والكسل

في أسرةٍ جدّهما متوسطة الحال، نشأ الأخوان مَرَوَان وياسين يتيمين إثر حادث أليم قضى فيه أبواهما.

كان الأخ الكبير (مَرَوَان) ذكياً كسولاً يُرجى كل شيء ويؤخره في حياته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان الصغير (ياسين) متوسط الذكاء محدود القدرات بيد أنه سريع الحركة مُتّقد النشاط.

تَنَاقَش الأخوان ذات يوم بعد عودتهما مُنْهَكَيْن مُتْعَبَيْن من مباراة لكرة القدم بعد إلحاح من ياسين على مَرَوَان أن يشاركه اللعب هذه المرة، فكان هذا الحوار:

مَرَوَان: أراك تُهلك نفسك قراءةً وعملاً، أما للراحة نهى عليك ولا أمر.

ياسين: سرعان ما ينقضي الوقت، وأنا أحب الحركة وأهوى عمل الأشياء في وقتها وأوانها.

والقراءة تضنني ولا أفهم وأستوعب إلا عن تكرار وإعادة وكثير مراجعة؛ لذلك يطول وقت مذاكرتي واطلاعي.

مَرَوَان: يا رجل، نم واهناً لا يزال هناك وقت طويل على الاختبارات، وقبيل الامتحانات نذاكر جيداً، وما يفوتك أنا زعيم به وكفيل.

ياسين: أوقات الامتحانات تكون حرجة ونفيسة للغاية، وساعتها قد تنشغل بدروسك وكتبك عني.

مَرْوَان: أَعْنِكَ أَخِي وَحَبِيبِي أَشْغَلُ، فَأَيْنَ الْأَخْوَةَ وَالصَّدَاقَةَ.. أَيْنَ الْحُبَّ وَالكَرَمَ؟!

ياسين: يوم الامتحان يشبه يوم القيامة، حيث لا مساعدة ولا ملامة، والمرء معذور إن هو قال نفسي نفسي.

مع انتهاء هذا الحوار استسلم كلا الأخوين لبأس النوم وسطوته، وكانا مُرْهَقَيْنِ للغاية ولم يكونا قد ناما شيئاً من وجه النهار.

ياسين (فَزِعاً): قُمْ يَا مَرْوَان، هِيَ أَسْرَعُ سَيْفُوتِكَ الْامْتِحَانِ!

مَرْوَان (منتفضاً): ماذا؟ باقي على الاختبار ساعة واحدة.. كيف نمثُ إلى الآن؟!

ياسين: هيا انهض ولا تتوان.. فكم نصحتُ لك وكم رجوتك أن تترك التسويف وتنزع عنك لباس الكسل!

مَرْوَان: لا وقت الآن لوعظ وعتاب، وإرشاد وحساب، سأسرع حتى لا أتعرض لعقاب.

ياسين: بَلِّغْ مِنْ كَسَلِكَ أَمْسَ أَنْ رَفَضْتَ سَمَاعَ نَشْرَةِ الْأَخْبَارِ وَقَلْتَ لِي: أَغْلِقْ أَغْلِقْ وَلرغبتني لم تستجب.

مَرْوَان: ما الجديد في بلادنا إلا نادر قليل، دعني أذهب ولا داعي لجدل عقيم قد يطول.

ذهب مَرَوَان مسرع الخطوة يجري وَجِلاً إلى المدرسة.. وعلى بابها دار هذا الحوار مع بعض المعلمين.

مُعلم (ساخراً يحاكي أغنية لأم كلثوم): "إنت جيت دلوقت بس يا حبّ عُمري؟!"
مَرَوَان: لم أتأخر كثيراً يا أستاذ فالساعة التاسعة وخمس دقائق.

المعلم: بل هي العاشرة وخمس دقائق يا حبيب بابا.. ساخراً بأغنية أخرى "فات فاتفات المعاد!"

مَرَوَان: سيدي، معي التاسعة انظر جيداً، ولا تسخر مني ولا تهزأ.
المعلم: ألم تسمع نشرة أخبار أمس، الساعة قدمتها الدولة ستين دقيقة منتصف الليلة الماضية.

مَرَوَان (منهاراً باكياً): دعني أدرك امتحاني.. أرجوك سيدي من فضلك اسمح لي.
حَرَسُ المدرسة (متدخلين): لا دخول بعد مرور ساعة على لجنة الامتحان هذه أوامر الوزارة يا حيوان!

مَرَوَان (مستخدماً العنف ليدخل اللجنة): سأدخل بأي ثمن لجنتي وأحل اختباري ولن أضيع فرصة تفوقي.

الحرس: احملوه وعن أبواب المدرسة الخارجية اطرده، أو أسلموه لأمن وشرطة المنطقة.

مَرَوَان: لا لن أعود.. لا لا لن أرسب.. لا لا.. أنا ذكي أنا سأتفوق.

استيقظ ياسين منزعجاً على صوت مَرَوَانَ الذي كان نائماً بالقرب منه.

ياسين: مَرَوَانَ ما لك.. يا مَرَوَانَ ما بك.. مَرَوَانَ هل تحلم؟

مَرَوَانَ (وقد أفاق): آه.. الحمد لله، قد كان كابوساً لا حُلماً.. الحمد لله أن كان نوماً

لا يقظة.

نهض مَرَوَانَ من فراشه، واحتضن أخاه، وقال له: أنت مُحق يا ياسين، بعد الآن.. لا

تسويف ولا تأخير.. لا غرور ولا كسل.

ياسين: قل لي ماذا رأيت؟ أخبرني ما دهاك.. وما غيرك؟

مَرَوَانَ: منحني الله فرصة جديدة لأُقلع عن التسويف والغرور، وأدع التأخير والكسل،

فرصة منامية من دون أي خسارة.

رأيت يا ياسين في حُلمي، أن أيام الدراسة كما أنها فرصة طويلة للمذاكرة والتفوق،

فكذلك أيام العمر هي فرصة عظيمة لمن أراد أن يذُكر أو أراد شكوراً.

المال العام

كمال تلميذ غريب الأطوار، يُحب الانطواء، ويفر من الصحبة، وينفر من الصداقة. لاحظ المعلم (حسن) سلوكيات كمال الغريبة منذ أول يوم دراسي بالعام الجديد، كما استرعى نظره ملامح عدوانية في كمال، وجنوحه إلى العنف والحركة الزائدة. لم يُرد المعلم أن يعجل على كمال في تغيير سلوكه، أو إقلاع عن مثالب وسلبيات وعيوب، قبل أن يدرس شخصيته من كثب، ويتعرف عليه بقرب وحب. وأسّر المعلم في نفسه ما أصاب الفصل من صور تخريبية كتحطيم مصباح، وخلع مزلاج، وتمزيق مسّاحة السّبورة. ثم فكر المعلم كثيراً كيف يصل بكمال إلى السواء النفسي، بعد أن رمق إصابة في يدي كمال ربط بينها وبين نافذة زجاجية قد تعرّضت لكسر وتهشيم. تتبع المعلم أخبار كمال، وناقش بيئته وظروفه الاجتماعية مع الأخصائي النفسي للمدرسة، حيث أخبره الأخصائي بأن كمال يعيش بعيداً عن والديه المنفصلين، وأنه يفتقر إلى حب وحنان الأبوين.

وأن كمال في حاجة ماسة لمن يهتم به ويُشاركه الأعمال والمهام الفكرية والحركية؛ لذا قرر المعلم أن يبدأ مع كمال رحلة العلاج والتربية بإزاء رحلة العلم والتعليم بعد التنسيق مع مشرف الإرشاد النفسي.

المعلم: أبنائي وبناتي، تُرى كيف كُسرت هذه النافذة الزجاجية وكانت أمس تبدو سليمة؟

سامح: حقاً قد كانت سليمة حتى آخر حصة لنا.. لعلها كُسرت بضربة كرة.

فريدة: لا يا سامح، نحن في الطابق الثالث وبعيد أن تصل كرة الملعب بقوة إلى هذه النافذة.

كمال: لعلها الريح، فهي تشتد مساءً حين نغادر، أو ربما كُسرت بسبب قذيفة من صائد عصافير.

المعلم: نحن في أوائل العام الدراسي حيث نسيم الصيف الرائق، ولمّا ندخل بعدُ فصل الشتاء بما يكتنفه من رياح شديدة، والعصافير تكثر فوق الأشجار خارج سور المدرسة.

أبنائي وبناتي، ما رأيكم أن يكون درسنا اليوم عن المال العام؟

سامح: ما معنى المال العام؟

فريدة: ألا من مثال يا أستاذنا للتوضيح؟

كمال (خَجِلاً مُضْطَرِباً): قد يكون المال العام هو ما تُحصِّله الدولة من ضرائب ونحوها.

المعلم: المال العام معنى كبير يتسع لما تجنيه الدولة من ضرائب، وما تُحصِّله من رسوم؛ لتبني به المؤسسات الخدمية العسكرية والمدنية، كالمشافي، والمصحات، والمدارس، والجامعات، وغيرها.

وتدعم به الدولة المشروعات المهمة كوسائل المواصلات المختلفة، فضلاً عن بناء عمَد وأُسُس الدولة في المجالات العسكرية، والأمنية، والتعليمية، والإعلامية، والثقافية.

سامح: إذن فالمال العام ملك لنا جميعاً.

فريدة: نعم، فكلنا يُفيد من المشافي، والمدارس، والجامعات، وغيرها من المؤسسات. كمال: إذن لكل منا نصيبه وحرته المطلقة في هذا المال العام، ما دام ملكاً لنا جميعاً.

المعلم: حقاً إن المال العام ملك لنا جميعاً، نستفيد من خدماته، وننتفع من خيراته، ولكن بطرق مشروعة واضحة لا يشوبها سرقة، ولا انتهاب، ولا اختلاس، ولا إتلاف، ولا إفساد.

المال العام نحن مصدره ومصبه، تأخذه الدولة من الأفراد ضرائب ورسومًا وتضيف إليه من مصادر أخرى لتقدم به خدمات، وتنشئ به مؤسسات، ووسائل مواصلات كيما ينتفع بها الجميع.

وليس لآحاد الناس أن يأخذ نصيبه في المال العام، أو يضرب به، أو يتلفه حتى وإن لم يستفد هو منه بصورة مباشرة.

سامح: لقد قلت أستاذنا: إن لنا حقًا في المال العام.

فريدة: نعم فهمنا من حديثك يا معلمنا أن هناك حقًا شائعًا في المال العام هو في متناول الجميع.

كمال: نعم، المال العام حق لنا جميعاً أفراداً وجماعاتٍ، لنا حرية الإفادة والتمتع به والتصرف فيه وفق ما يحلو للمرء.

المعلم: أبنائي وبناتي، ثرى لو صعدنا مركبة ما أو قطاراً، أو زُرنا حديقة ما أو مُتحفاً، وأعجبنا فيها مصباح، أو مروحة، أو كرسي، أو قطعة أثرية.. هل لأحد منا الحق في أخذ شيء من ذلك كله؟

وماذا سيبقى في هذه الأماكن إن أخذ كل واحد ما يروق له ويعجبه؟!!

لا بُدَّ هنا من توضيح.. المال العام في صورته كلها مبذول ممنوح من الدولة لمن كان في حاجة إليه في صورة خدمات مؤداة.

وليس في شكل نصيب من ميراث، أو حق يأخذه أو ينتزعه وينتهبه كل شخص على حدة بطريقته الخاصة، وليس لأحدٍ أيضاً أن يفسده أو يعيث به، إنها ثروات شعبٍ ومقدرات دولة!

ومن ثم؛ فإن تكسير النوافذ، وإفساد المكاتب، وتحطيم المصاييح من الفساد في الأرض، وهو من صور إتلاف المال العام.

والآن.. ألا تقترحون حلاً لمعرفة الجاني.. وكيفية إصلاح ما وقع من وجوه تحطيم وفساد؟

سامح: عندي مساحة سَبورة زائدة في بيتنا سآتي بها غداً إن شاء الله.

فريدة: وأنا لديّ كثير من البراغي (المسامير) المتنوعة سأدفع بها إلى ورشة المدرسة ليصلح بها معلم الورشة وعمالها المكاتب المُخلَّعة ونحوها.

المعلم (ناظراً إلى كمال): وأنت يا صديقنا كمال.. نحب أن نتعرف على دورك في عملية الإصلاح؟

كمال (وقد اغرورقت عيناه بالدموع): عندي حصالة ممتلئة عن آخرها سأجلبها غداً إن شاء الله، لنشتري الزجاج والمصاييح الجديدة، وكل ما يلزم.

المعلم (مُحتضناً كمال الذي أجهش بالبكاء): حبيبي، لا تَبْك، ولا بأسَ على يدك، بيدك هاتين سَتزِين مع زملائك الفصل وتشاركهم جميع أنشطتهم العلمية والفنية والحركية.

التلاميذ (في صوتٍ واحد): لكننا لم نصل بعدُ إلى الجاني يا أستاذنا!

المعلم: أعدكم أنه بدءاً من اليوم - إن شاء الله - لن تجدوا آثارَ تخريبٍ، أو حالات

تكسير وفساد، ولتقيّد قضايا التخريب السابقة ضد مجهول!

الثرثرة

على غير عادته وخلاف طبعه دخل المعلم حسين فصله متعباً مُصدِّعاً، وكان لا يقعد أثناء الحصة، لكنه قعد هذه المرة على الكرسي بمجرد أن رآه، وذلك بعد أن ألقى على تلاميذه التحية والسلام واقفاً.

المعلم: عفواً أبنائي وبناتي، سأمضي هذه الحصة معكم قاعداً؛ ذلك أني مرهق لا سيما أنها الحصة الأخيرة في جدول اليوم.

شادي: سلامتك أستاذنا، شفاك الله وعافاك.

نادي: سلمت أستاذنا من كل مكروه وسوء.

نورا: حفظك الله لنا ورعاك.. ترى ما أصابك أستاذنا.. ما دهاك؟

المعلم: الحمد لله، صداع يبدو أنه ناجم عن تعرُّضي اليوم لثرثرة كثيرة.

شادي: ماذا تقصد أستاذنا بالثرثرة؟

نادي: ربما يعني أستاذنا بها كثرة الكلام.

نورا: نعم، الثرثرة كثرة الكلام من دون فائدة.

المعلم: سلمتم جميعاً. الثثرة هي فضول الكلام والإكثار منه بالهذر والتخليط واللغو واللغظ، مع ترديده بسرعة دون طائل.. حَسَنٌ حَسَنٌ.. أخبروني ما رأيكم أن يكون درسنا اليوم عن الثثرة؟

شادي: فيما مضى كانت لنا جارة معروفة بالثرثرة، وكانت حينما تلتقي أُمِّي لا تكتفي بالسلام كلاماً، ولا تجتزئ بالسلام السريع مصافحةً باليد، حتى تُوقف أُمِّي وتقص عليها ما جرى معها ربما قبل ثلاثة أيام مضت.

فإن كنا ذاهبين لأمر ما في موعدنا تأخرنا ثم اعتذرنا، وإن كنا متأخرين عن موعدنا طال تأخيرنا وزاد معه اعتذارنا وأسفنا! والحق أننا بعد ذلك كنا نتواري منها إن كنا في عجلة من أمرنا.

نادي: أذكر أنني حين كنت صغيراً كان أبي يصحني إلى صالون الحلاقة، فيذهب إلى صالون بعيد عنا، في حين كان هناك صالون حلاقة قريب منا، فكنت أسأله: لماذا نذهب إلى الصالون البعيد ونترك القريب يا أبي؟

فقال لي: بُني العزيز، الوقت من ذهب، بل هو جزء من عمرك وحياتك، ونحن نذهب إلى من يستغل الوقت في قضاء حوائجنا سريعاً فيعمل كثيراً ويتكلم قليلاً، وغيره مع الأسف يعمل قليلاً ويتحدث كثيراً.

نورا: أما أنا فقد نصحني والداي بأن أذاكر دروسي بمفردي؛ فإنه أدعى للتركيز الأكثر، والتحصيل الأنفع، وإفادة من الوقت أكبر.

وكنت أستمع لكلامهما دون أن أقف على حقيقة مرادهما، حتى ذهبتُ مرةً لأذاكر مع صويحبات لي في بيت إحداهن، وكان من بين الحاضرات زميلة تتكلم أكثر مما تتنفس.

لا تترك شيئاً من دون تعليق، ولا تدع سؤالاً - حتى لو كان موجهاً لغيرها - من دون إجابة، تظن نفسها تفهم كل شيء، وتعرف كل شيء، تتحدث سريعاً وتتكلم كثيراً كأنها في سباق جائزته مرصودة للأكثر حديثاً والأسرع خطاباً.

عدتُ من المذاكرة في هذه الليلة إلى بيتي ولم أُحصّل شيئاً ذا بال بل رجعت أشكو ألماً بالرأس، وإرهاقاً بالجسد، وندماً على ضياع الوقت، ولكنني أدركتُ مغزى نصيحة أبي وأمي؛ إذ إن كثرة العدد في المذاكرة ربما تضر أكثر مما تنفع.

المعلم: اليوم لم تتركوا لي شيئاً أقوله إلا ما يحضرني من حديثِ نبوي شريفٍ، عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

(إن من أحبكم إليّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون" قالوا: يا رسول الله قد علمنا (الثرثارون والمتشدقون) فما المتفيهقون؟ قال: (المتكبرون).

رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ. صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

التعاون

في أحد فصول المعلمة فاطمة، دار حديث بناء متبادل بينها وبين تلاميذها وتلميذاتها عن مفاهيم التعاون والشكر والإيجابية وعلاقتها بحب الوالدين وبرهما، فكان هذا الحوار:

المعلمة: من منكم يحب والديه.. أمه وأباه؟

ياسمين: كلنا بالطبع نحبهما ونحترمهما وبرهما.

قمر: معلمتي الحبيبة، يبدو أنك تعنين شيئاً خاصاً من وراء هذا السؤال.

المعلمة: نعم، أحسنت يا قمر.. سيعلم جميعكم بعد قليل هدفي من السؤال.

المعلمة: يعلمنا ديننا الحنيف أنّ لكل حق حقيقة، وأنّ لكل دعوى دليلاً وبرهاناً، وكذلك فإنّ لكل عاطفة سلوكاً وعملاً.

ياسمين: أستاذتي.. هل تريدني مني دليلاً على محبتي لأمي وأبي؟

المعلمة: لا.. أنا على يقين أنكم جميعاً تحبون أمهاتكم وآباءكم، إنما قصدت توضيح كيف نترجم هذا الحب والود والبر إلى سلوك إيجابي وعملي.

قمر: كيف لأطفال مثلنا أن يُحيلوا مشاعرهم وعواطفهم المودعة قلوبهم إلى عمل خارجي وسلوك مادي؟

المعلمة: هذا هو بيت القصيد يا قمر.. يحثنا ديننا العظيم على إشعار الآخرين بحبنا لهم قولاً وعملاً.

ياسمين: أفهم أن نخبرهم بحبنا وإعزازنا لهم بالقول والكلام.. لكن كيف يكون ذلك سلوكاً وعملاً؟

المعلمة: حين تغسلين زجاجة ماء فارغة قد ارتويت من مائها وتملئونها وتضعينها في مكانها بالثلاجة؛ فهذا سلوك وعمل يدل على تعاونك مع أمك وتخفيفك عنها.

قمر (مبتهجة): نعم.. قد فعلت هذا مرة حين كانت والدتي مريضة.

المعلمة: ينبغي عليك ألا تتخلي عن هذا السلوك حتى في حال صحة أمك وعافيتها؛ لأنه دليل حبك وبرك بها.

ياسمين (هزجة): أذكر أنني غسلت ذات مرة أطباقاً تناولت فيها غدائي حين كانت والدتي مسافرة.

المعلمة: أحسنت ياسمين، ففي هذا بر لأمك المسافرة ولأبيك؛ حيث خففت عنه عناء هذا العبء.

قمر: هل هناك أعمال أخرى يمكن لي أن أبر بها أمي وأبي؟

المعلمة: نعم.. حين تذاكرين وتتفوقين فإنك تُدخلين بذلك الفرحة على قلبي والديك، وهذا من المحبة والبر.

وحين ترتبين متاعك وملابسك وكتبك، وتحافظين على نظافة البيت؛ فإن ذلك كله من البر والتعاون والموودة والحب.

ياسمين: معلمتي، وأنا هل بقي لي شيء لأقدمه شكراً وبراً لوالديّ الكريمين؟

المعلمة: نعم.. خفض صوتك من البر والحنان، وترتيب فراشك من النظام والجمال، ونظافة أسنانك وتسريح شعرك وقص أظفارك من النظافة والإيمان.

هارون: وبالنسبة لنا نحن الذكور ألا من نصح وتوجيه وإرشاد؟

المعلمة: حملك حقائب التسوق عن أمك برُّ بها، وإلقاء أكياس القمامة في مكبها تعاون معها وتخفيف عنها ومساعدة لها.

عيسى: وأنا معلمتي أكبر إخوتي.. هل لي دور أقوم به؟

المعلمة: الكبير يا عيسى كالأب والمدير، الكل ينظر إليهما ويحاكيهما؛ فإن أحسنا أحسنوا، وإن أساءا فرط الناس وقصروا.

عيسى: أريد شيئاً معيناً أفعله كما حددت لزملائي أعمالاً مخصوصة بعينها.

المعلمة: ابدأ بنفسك فافعل أي سلوك نافع مما ذكرنا كيما يتبعك إخوتك، ويفعلوا مثلك.. فإن ذاكرت ذاكروا، وإن تعاهدت القرآن تعاهدوه، وإن أقيمت الصلاة أقاموها، وإن تصدقت تصدقوا، وإن تنفلت بصلاة وصيام بادروا وتنفلوا.

وعليك ما دمت الكبير أن تفتح الباب لمن يطرق، وتتعامل مع محصلي الكهرباء والماء والغاز وغيرهم بعد أن تتأكد من هوياتهم.

هكذا أبنائي وبناتي يكون التعاون بالبر والتقوى، ويكون الشكر بالإيجابية والعمل،
 فدول العالم الآن بجميع مؤسساتها لا تقدر - وحدها - على تحقيق وتوفير خدمات
 المواطنين من دون مبادرة أفراد المجتمع بالتعاون والترشيد والإيجابية والسلوك
 الحضاري.

وصدق الله العظيم القائل: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}، والقائل: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ
 شُكْرًا}.

صلاة الفجر

الأب: صغيري الكسول انهض وقم ألا تشبع من راحةٍ ونوم؟!!

الابن: النوم لذيذٌ يا أبتى سهرتُ طويلاً ومنذ قليلٍ قد نمت.

الأب: صلّى الناسُ جميعاً الفجر وسعدنا بقربٍ وراحةٍ وأنس.

وغبتَ عنا من دون داعٍ وعذرٍ وأثقلك نومك عن صلاة الفجر.

الابن: ولمَ لمَ توقظني - حين قمت - لأشهدَ معك صلاة الصبح؟

الأب: حاولت مراراً فلم تستجب وبلغتُ منك أشد العجب.

فاتك الفجر وولى وراح هيا توضأ قبيل الصباح.

الابن: سمعاً وطاعة يا والدي سأصلي تَوّاً فلا تبتئس.

الأب: لا تسهر فتصحو شبه نومان وابدأ دوماً بإلقاء السلام.

الابن: أجوع مساءً لطول السهر وأظماً جَمّاً لأكلي بِسَحَر.

الأب: لا تُكثر بلبيلٍ من ماءٍ وأكلٍ ونَمٍ على إثرِ وضوءٍ وذِكْر.

الابن: أحب السهر قبيل الفجر وأعشق ليلي ليته لا يمرّ.

الأب: حذارٍ صغيري ضياع الصلاة لسهرٍ وأكلٍ وشُرْبٍ ونوم.

فهي الفلاح لنا والصلاح ونور القلوب وبهجة الأرواح.

قلم لا يكذب

كانت المعلمة "إحسان" ودودة محبة لعملها، وقريبة من تلاميذها وتلميذاتها، تبث فيهم روح القيم الإنسانية، وتنشئهم على فضائل الأخلاق. وتعلمهم رائع الصفات والسمات، من خلال سير الأنبياء والعلماء والعظماء عبر العصور السالفة الماضية، ومن خلال قصص واقعية أو متخيلة في حياتنا المعاصرة والحاضرة.

وفي حديث لها عن الصدق قالت:

أبنائي وبناتي، نتحدث اليوم عن فضيلة الصدق، الصدق يا أولادي من الصفات الكريمة، لا يتحلى به إنسان إلا كان محبوباً من الله محموداً بين الناس. وكما هو دأبنا، فلن أتحدث بمفردي، ولن أحاضرکم دون مداخلتكم، وأرحب كعادتي معكم باستفساراتكم، وحواراتكم، واعتراضاتكم، مقدرة لكم حسن أدبكم، وطيب سلوككم وتصرفاتكم.

المعلمة: من منكم يحب أن يكون صادقاً ويكتب عند الله صديقاً؟

تلميذ: أنا معلمتي، أحب أن أكون صادقاً صدوقاً.

تلميذة: بل كلنا أستاذتي، يحب الصدق ويكره الكذب.

المعلمة: إذن علي كل من يحب الصدق أن يأتيني غداً بقلم لا يكذب يشتره من أي مكتبة شاء.

التلاميذ جميعهم: حسناً يا معلمتنا، غداً نَحضر الأقلام الجديدة التي لا تكذب.
وفي الغد أحضر كل التلاميذ أقلاماً جديدة ظنوها أقلاماً لا تكذب كما أرادت المعلمة.

المعلمة: هل جئتم بالأقلام الصادقة التي لا تعرف للكذب طريقاً؟
تلميذ: نعم، هذا قلّمي الجديد.

تلميذة: أجل، هذا قلّمي لم يكتب حرفاً حتى الآن.

المعلمة: سنختبر هذه الأقلام لنرى الصادق منها وغير الصادق.

المعلمة: اكتبوا جميعاً جملة: "أنا أحب أمي وأبي".

التلاميذ: انتهينا جميعاً من كتابة الجملة.

المعلمة: هذا حسن.. ليكتب كلكم أيضاً جملة: "أنا أكره أمي وأبي".

التلاميذ دون انتباه إلا واحداً: انتهينا الآن من كتابة الجملة.

المعلمة: أرى زميلكم "محمد" لم يكتب معكم الجملة.. لم يا "محمد"؟

محمد: أنا لا أستطيع أن أكذب؛ لأنني أحب أمي وأبي حباً جماً ولا يمكن أبداً أن أكرههما.

المعلمة: لنصفق جميعاً لزميلكم محمد؛ فهو صاحب القلم الصادق الذي لا يكذب.

صغاري وصغيراتي، من أراد أن يمتلك قلماً لا يكذب فعليه أولاً أن يكون صادقاً لا يكذب لا مع نفسه، ولا في شعوره وحسه، ولا في معتقده وفكره، ولا فيما يخط ويكتب، أو يقول ويعمل.

إن القلم ظل وصنو لصاحبه، وصورة لكاتبه صادقاً كان أم كاذباً. وصدق الله العظيم

القائل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }.

الروح الرياضية

كانت المعلمة "أفنان" مؤمنة برسالتها، محبة لمهنتها، متفenne في طرائق تدريسها، مبتكرة ومبدعة في وسائل تعليمها، وكانت قد وعدت تلاميذها بتكريم الفائز في المسابقة الرياضية على مستوى الإدارة التعليمية الإعدادية. وقد وصل إلى نهائي البطولة في لعبة الكاراتيه أربعة هم: رامز ورمزي ومازن وحمزة، ثم فاز حمزة على أقرانه في نهائي التصفيات. وقبل الشروع في تكريم حمزة دار حديث بين الثلاثة المنهزمين.

رمزي: ما رأيكما أن نعكر على حمزة صفو فوزه وانتصاره؟

رامز: كيف.. وغداً تحتفي المدرسة بتكريمه؟

مازن: ولم التعكير وقد فاز علينا بجدارة وأين حق الصُحبة والروح الرياضية؟

رمزي: دعنا يا مازن نلهو ونلعب.

رامز: لكن ماذا سنفعل يا رمزي؟

رمزي: في نهاية اليوم الدراسي وقبل حفل التكريم، سأقوم بإخفاء هاتف مازن في

حقيبة حمزة، ثم يسأل مازن في لهفة زملاء الفصل عن هاتفه.

وفي نهاية الأمر نطلب من المعلمة أن تبحث عن الهاتف في حقائبنا جميعاً؛ لتكتشف المعلمة أن السارق هو البطل حمزة، ثم أطلق ضحكة شريرة مفتعلة (كأنها تسربت إليه مما تبثه قنوات الكرتون والأفلام في غير رقابة ولا توجيه).

مازن: لا.. لن أشارك معكما في هذه الجريمة، لن أدبر مكيدة لأحد، حتى ولو كان خصمي الذي هزمني.

رمزي ورامز: بل ستشارك معنا شئت أم أبيت، لقد قررنا، وإن لم تفعل لتكون من المنبوذين خارج فريقنا وصحبتنا.

المعلمة قبل نهاية اليوم الدراسي: ما لك يا مازن أراك مهموماً شارداً؟

مازن: معلمتي.. الأمر جد خطير.. نزع الشيطان بيني وبين صاحبي رامز ورمزي، ثم أخبر مازن المعلمة بالأمر كله.

المعلمة: لا تقلق يا مازن.. لدي فكرة سنشتري هاتفاً جديداً هدية لحمزة لأنه لا يملك هاتفاً، وثمان الهدية سيكون مساهمة من الإدارة التعليمية وإدارة المدرسة ومدرسي الفصل ومن شاء من تلاميذ الفصل.

وعليك أن تُقنع صاحبيك رامز ورمزي بعد أن أعطيك الهاتف الجديد أن يدساه في حقيبة حمزة، ليقوما بحيلتهما كما خططا لها، وعند التكريم نفاجئ صاحبيك وحمزة والجميع بأن هدية حمزة قد أودعها رامز ورمزي حقيبة حمزة.

ويطالب الجميع حمزة بأن يفتح حقيبته ويرينا جميعاً الهدية، ثم بعد ذلك سأجلس جلسة خاصة مع رامز ورمزي لمناقشتهما في استجابتهما لنزغ الشيطان ووسوسته لهما.

وفي حفل التكريم، بادرت المعلمة فحيت الحفل كله، ثم قالت: حفلنا اليوم مليء بالمغامرات والمفاجآت، أعلم أن هاتفاً ما قد اختفى، وقد بحثنا عنه فلم نجده ولم تبقى إلا حقيبة واحدة لم نبحث فيها هي حقيبة حمزة.

يا حمزة، تفضل بالنظر في حقيبتك وأخرج كل ما بداخلها. فتح حمزة متوجساً حقيبته وفوجئ بعلبة أنيقة حوت هدية كتب عليها اسمه وأخرجها للجميع في ذهول وفرحة غامرة، حينها صفق الجميع بأكف السعادة والفرح.

ثم نظرت المعلمة لرامز ورمزي وقالت: تصفيق حار أيضاً لمن أودعا هدية حمزة حقيبته بعد أن فكرا في هذه الطريقة اللطيفة لتكريم حمزة زميلهما الفائز.. ثم قالت المعلمة: هكذا تكون الروح الرياضية يا أبنائي!!

الكبار أيضاً يخطئون

كانت الأستاذة "عقيدة" معلمة ناجحة، تعشق مهنتها، وتحب تلميذاتها وتلاميذها، وتبتكر في طرق ووسائل إيصال المعلومات لأبنائها وبناتها.

وذات يوم دخلت أحد فصولها وبعد أن أَلقت التحية قالت بابتسامة ودودة:

أحبائي وحبيباتي: فكروا معي.. هل الكبار يخطئون كالأطفال أو لا؟

وحتى نعرف الإجابة ليحك بعضكم جملة أو موقفاً سمعه من بعض الكبار ولم يفهمه، أو ربما لم يعجبه الموقف، أو يعترض على بعض ما ورد فيه من كلام.

قال أحمد: سمعت في إحدى المواصلات كبيرين يتحدثان عن ثالث غائب قد أغناه الله فجأة بعد ما تُوفي أحد أقربائه وورث فيه، ثم قال أحدهما عنه: "يُعطي الحلق لمن لا آذان له". فلم أفهم أستاذتي معنى الجملة.

ثم قالت منة: قد سمعت جارة لنا تحكي عن تشاجر حدث بين عائلتين فقالت: "كانت مشجرة (خناقة) لرب السماء".. فلم أفهم ماذا تعني بهذا التعبير.

قالت المعلمة أحسنت يا أحمد، كما أحسنت كذلك يا منة.

المعلمة: يا أحمد، أما جملة "يُعطي الحلق لمن لا آذان له"، فمعناها أننا أحياناً نلاحظ كرم الله وإغداقه على بعض خلقه ممن هم متواضعو الإمكانيات، قليلو الحظ في العلم والعمل، أو في الذكاء والعقل.

ولله في ذلك الحكمة البالغة وهو على كل شيء قدير. هذا إذا أحسنا الظن بالقائل.. لكن قد يكون مبعث هذه الجملة - مع الأسف - غبطة مذمومة أو حسد ممقوت؛ فيكون ظاهر هذه الجملة منفراً عند آخرين يرونها تطعن في حكمة الله وتدييره فكيف ياله عظيم أن يُعطي قرطاً لمن لا أذن له!؟

وهم في ذلك ينزهون الله في حماس وغيره وعاطفة لا نستطيع معها أن نلومهم؛ لذا كان من الأدب إن لم يكن من الواجب أن نُقلع عن استخدام هذه الجملة المختلف في تفسيرها قبولاً ورفضاً، وأجمل منها وأبلغ جملة: "الله على كل شيء قدير".

المعلمة: ويا منة، أما جملة "كانت مشاجرة (خناقة) لرب السماء؛ فمعناها احتدام المشكلة وربما المضاربة والاشتباك والصراع احتداماً شديداً ارتفعت معه الأصوات وعلت، وامتدت فيه الأيدي واشتبكت، وتبودلت فيه البذاءات على نحو كان يسمعه القريب والبعيد، والقاصي والداني.

وهي عبارة لا تخلو من سوء أدب مع الله الذي إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وهو سبحانه في عليائه منزه مقدس جدير بكل حسن وجميل، مطلع على كل شيء ومحيط به وإن كان سبحانه على العرش استوى.

ويجب ألا ننسب إليه أو نقرنه إلا بكل ما هو طيب وصالح وجميل زماناً ومكاناً؛ لذا لا بد أن نمتنع عن ذكر هذه العبارة غير المهذبة أيضاً. ثم قالت المعلمة: رأيتم صغاري الأعزاء أن الكبار أيضاً يخطئون!

الأمانة

آمنة معلمة موفقة تتعلق بها قلوب التلاميذ والتلميذات، يحبونها أمماً أخرى في المدرسة، ويحترمونها مُدرّسةً متميزةً وأستاذةً بارعة الإلقاء والشرح والتواصل.

ذات يوم دخلت المعلمة آمنة فصلاً من فصولها كي تتحدث عن فضيلة الأمانة، تتناولها من منظور إنساني، وديني، وحضاري، فقالت: من منكم يا أبنائي وبناتي لديه حكاية أو قصة عن الأمانة؟

قالت أُمّية: معلمتي قصة حقيقية أم خيالية؟

المعلمة: إن كانت حقيقية فيها ونعمت، وإلا فمرحّباً بخيال وفن بينان القيم ولا يهدمانها، ويسموان بالفضائل ولا يُزريان بها.

أُمّية: كنت بطريق عودتي إلى البيت وعند دخول الشارع الذي أسكن به وجدت هاتفاً ملقى على الأرض، فالتقطته وفرحت به كثيراً، ثم سعدت به مسرعة إلى شقتنا.. فلم أجد أُمّي وكان أبي في العمل.

ثم حين طال انتظاري لحضورهما أخذتني سنة من نوم فرأيت فيما يرى النائم أن أبي فقد هاتفه بما يحتوي عليه من معلومات مهمة، وملفات خاصة بالعمل والأسرة، وأُلفت أبي بحالة ارتباك وحزن شديدين.

وإذا بطفلين قد التقطا هاتف أبي حين وقع من جيبه وهو يركب سيارته منطلقاً إلى وجهته.. ولم يسمع مناداة أحدهما له وصراخه حين كان ينيبه لسقوط الهاتف منه. ثم دار هذا الحديث بين الطفلين:

الأول: الحمد لله أن وقع هذا الهاتف القيم في أيدينا.

الثاني: نعم صديقي.. لكن إياك والطمع إنه غنيمة مناصفة بيننا.

الأول: لقد فهمتني خطأ.. إنما أردت أنه هاتف قيم يغري غيرنا بالاستحواذ عليه، ويجب علينا أن نعيده لصاحبه في أسرع وقت.

الثاني: نعيده؟! ظننتك تقول نبادر بإلقاء ما فيه من خطوط، ونبيعه ونقتسم ثمنه سوية بيننا.

الأول: هذا الهاتف أمانة لدينا حتى يتصل صاحبه فيأتينا لأخذه، أو نصل نحن إليه، فهو ليس غنيمة بل لُقطة قد نجد به معلومات تُوجب علينا إعادته إلى صاحبه.

الثاني: جزاك الله خيراً صديقي، لقد أفقتني من سكرة الطمع، ورددتني عن طريق الباطل والغواية إلى طريق الحق والرشاد.

الأول والثاني معاً: إذن هي بنا نفتحه الآن ونحاول الاستدلال على صاحبه، أو معرفة أي خيط يوصلنا إليه.

ثم دق جرس الباب، فإذا بأمنية تستيقظ من النوم وتفتح الباب مطمئنة؛ بعد أن سمعت صوت أبيها يُسلم على جار لهم.

الأب: السلام عليكم أمنية ورحمة الله وبركاته.

أمنية: حياك الله أبي، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الأب: ما لك.. أكنت نائمة على غير عادتك؟

أمنية: دهمني النعاس بعد أن استبطات حضورك وأمي.

أمنية في لهفة: أين هاتفك يا أبي؟!

الأب مبتسماً: في جيبي وحوزتي.

أمنية: الحمد لله.. أبتني، وجدت هاتفاً وأريد أن أعيده لصاحبه.. فهل تساعدني في

ذلك؟

الأب محتضناً ابنته: ما أنبلك وأروعك يا ابنتي.. يا لك من فتاة أمينة، هاته نحاول

التعرف على صاحبه ونتصل به أو بأحد أقاربه.

المعلمة: شكراً لك أمنية على قصة الأمانة.. أبنائي وبناتي، هكذا مهما تكن المغريات

غنيمة باردة، فلا كسل، ولا طمع، ولا استجابة لغواية الشيطان وتزيينه أو تسويغه،

فخير البر عاجله وأسرع.

وصاحب الشيء الضائع كأنما يتقلب على جمر، لا يهنأ له بال ولا يقرب به قرار؛ حتى

يصل إلى ضالته الغائبة فتعود إلى كنفه ورحابه، وتفيء إلى ظله وجنابه، وصدق الله

العظيم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا}.

الإيثار

شعر حسام بدوار وإرهاق مفاجئين في الحافلة التي كان يستقلها إلى المدرسة، وكان قد تأخر في صعوده الحافلة عن مواعده، فلم يجد مكاناً شاغراً يتسع لعوده.

لمح أحمد في وجه حسام تعباً واصفراراً، قام أحمد على الفور من مكانه مشيراً إلى حسام بأن يتفضل بالعودة مكانه.

راقبت المعلمة زينب هذا المشهد وهي جالسة في الحافلة، ثم قررت أن يكون درسها اليوم مع التلاميذ والتلميذات عن الإيثار.

المعلمة: ينبغي علينا أن نحیی أحمد على خلق الإيثار الذي اتضح في قيامه لحسام ليقعد مكانه. ومن الجميل أن نخص حسام بدعوات بظاهر الغيب رجاءً أن يشفيه الله ويعافيه.

حسام: أشكر معلمتي العزيزة، وأشكر صديقي أحمد على خلقه الكريم، وتصرفه الحكيم.

أحمد: عفواً.. لم أفعل غير الواجب، فنحن إخوة وأصدقاء وزملاء دراسة، ومن قبل نحن بشر من بني الإنسان.

المعلمة: أبنائي وبناتي.. ما معنى الإيثار؟

خديجة: الإيثار تفضيل الآخرين على النفس.

المعلمة: أحسنت خديجة وأصبت.

المعلمة: من لديه صور وأمثلة أو نماذج على الإيثار؟

حسام: موقف الأنصار (أهل المدينة المنورة) مع المهاجرين إليهم من مكة إلى بلدهم
يشرب التي سُميت بعد ذلك بالمدينة المنورة.

المعلمة: أصبت حسام وأحسنت.

أحمد: موقف الصديق أبوبكر - رضي الله عنه - مع النبي - صلى الله عليه وسلم -
خلال رحلة الهجرة وأثناء تخفيهما في غار ثور.

المعلمة: ليتك توضح أكثر لزملائك كيف كان الإيثار من جانب أبي بكر الصديق
رضي الله عنه؟

أحمد: كان أبوبكر - رضي الله عنه - حين يذكر طلب الكفار للنبي - صلى الله عليه
وسلم - يسير خلف النبي، وحين كان يخشى الرصد والكمائن كان يسير أمام النبي.
وحين كان يخشى على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويحار كان يسير عن يمينه تارة
وعن يساره أخرى؛ وهو في ذلك يفتدي النبي بنفسه وروحه ويؤثر حياة النبي - صلى
الله عليه وسلم - على حياته.

وفعل نحو هذا أيضاً أثناء اختبائهما في الغار حين خشي على النبي - صلى الله عليه
وسلم - من الثعابين والعقارب والهوام.

المعلمة: أجدت أحمد وأفدت.. بارك الله فيك.

المعلمة: والآن ننتقل لسؤال آخر.. ما آداب الإيثار؟

خديجة: على المؤثر أن يبادر بتفضيل غيره على نفسه، وفي الوقت نفسه ينبغي على المأثور أن يتعفف ما وسعه ذلك وكان بمقدوره، وإلا فليتخفف قدر وسعه من الإثقال في الطلبات.

فالإيثار النموذجي الناجح تكون العلاقة فيه تبادلية من إيثار صادق من جانب، وتعفف جاد من جانب آخر، كما حدث بين المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم - في المدينة المنورة.

المعلمة: أحسنتم جميعاً وأجدتم... زادكم الله علماً وأدباً وفهماً.

أخيراً تلاميذي وتلميذاتي.. هل يوجد إيثار في الاختبارات؟

التلاميذ: لم نفهم السؤال.. هل من إيضاح وبيان؟

المعلمة: الإيثار كما فهمتم - أبنائي وبناتي - يكون في أعلى مراتبه بالمُهَج والأرواح، ثم يكون بالمال والعتاد، وقد يكون بالمجهود وتحمل المشاق،.. إلخ.

المعلمة: لكن هل هناك إيثار في العملية التعليمية من أدوات تعلم.. واختبارات وامتحانات؟

خديجة: معلمتي، أدوات التعلم تُتبادل بيننا وفق الحاجة والضرورة؛ وذلك مثل: الكتب، والأقلام، والأوراق، والأدوات الهندسية، والحاسبات، وغيرها.

المعلمة: معك الحق تماماً يا خديجة.. لكن هل يطال الإيثار المساعدات والتعاون

أثناء إجراء الاختبارات بأنواعها المختلفة؟

خديجة: المساعدة والتعاون يكونان في جميع الأوقات يا معلمتي.

المعلمة: نعم في كل الأوقات إلا وقت الاختبارات.. شفهيّة كانت أم تحريرية، شهريّة

كانت أم ربع سنوية؛ ومن باب أولى الاختبارات السنوية النهائية.

التلاميذ: ولم استثناء التعاون والإيثار من الاختبارات؟

المعلمة: التعاون والإيثار في الاختبارات بين الفرق المتنافسة محبذ مندوب داخل كل

فريق وأعضائه استعداداً لمواجهة الفرق الأخرى.

أما حين تكون الاختبارات فردية لقياس مستوى كل طالب على حدة فلا مساعدة ولا

إيثار؛ بل هما يسميان حينئذ غشاً وخداعاً وتدليساً؛ وقد قال النبي - صلى الله عليه

وسلم -: "من غشنا فليس منا".

المعلمة: أحبائي، هل سمعتم عن عقار سقط على سكانه بسبب سوء تخطيط

هندسي.. أو مرضى ماتوا بسبب إهمال طبيب أو جراح؟

التلاميذ: نعم سمعنا كثيراً عن هذه الحوادث القدرية غير المقصودة.

المعلمة: لا، إنها حوادث مأساوية طبيعية نتيجة للغش الدراسي، أو خراب الدم، أو

موت الضمائر.. فالطبيب المقصر أو غير الماهر هو من غش أثناء دراسته وكذلك

المهندس غير الكفاء.

التعاون - أبنائي - يكون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وصدق الله العظيم
القائل: {والذين تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

القناعة والرضا

نشأ "فاروق" في أسرة رقيقة الحال، وكان تلميذاً غير قانع بحياته ولا راض بإمكانات أسرته، فلم تكن تعجبه حقيبتة، ولا ماركة ملابسه، ولا أنواع ساندويتشاته وعصائره. كان متطلعاً دوماً لما في أيدي الآخرين، يرى ما عليهم من ملابس أنضر وأبهى مما عليه من ثياب، وما في أقدامهم من أحذية أجمل وأقيم مما ينتعله ويحتديه. وكذلك كان فاروق يرى ما في أيدي زملائه من طعام وشراب أطيب وأشهى وألذ من ذلك الذي يتناوله مما أتخفته به الأسرة وجاد به دخلها.

وفي يوم من الأيام كان "فاروق" يأكل في الفسحة مع بعض أصحابه كل على حدة. وفي الوقت الذي كانت شفتاه تمضغان قطعة من طعامه كانت عيناه تجولان فيما بأيدي زملائه من طعام، ثم فجأة سقط من يد أحدهم ساندويتش على الأرض وقد تلوث تماماً.

أحس "فاروق" بنجس وذنوب، ثم استأذن بالانصراف عنهم، وقد شعر للمرة الأولى بوخز في ضميره، وألم يسري في حسه وشعوره!

عاد "فاروق" من المدرسة حزينا متعباً، وكان يفكر فيما حدث منه طوال طريق عودته، وقد قرر أن يُقلع عن التطلع إلى طعام أقرانه، وفي الغد التقى زملاءه في فسحة المدرسة وقال لهم:

ما رأيكم أن نُعد غدائاً مشتركاً يوماً كل أسبوع؛ بحيث نجمع الطعام كله من أفراد مجموعتنا ثم نقسمه بيننا بالسوية؟

رحب أصحابه بالفكرة واتفقوا على تنفيذها يوم الخميس من كل أسبوع.

شعرَ "فاروق" بالفرحة لأنه تخلص من عادة سيئة أسرته، ومن سلوك شائن استبد به، ثم جاء يوم الخميس وكان الطعام مشتركاً ولذيذاً فأكل الجميع وشبعوا وهنئوا..

عرف "فاروق" وقتها أن لذة الطعام تربو باجتماع الأصحاب والأقران.

وعلى الرغم من أن طعام "فاروق" كان من نوع شعبي رخيص إلا أنه فوجئ بأن طعامه صادف حباً ولاقى إقبالاً عليه من زملائه.

أدرك "فاروق" أن الطعام كله واحد ما دام الإنسان جائعاً وأن أي طعام هو مُغنٍ وكافٍ، وساعتها يكون الطعام لذيذاً حتى لو كان رخيصاً!

سُرَّ "فاروق" كثيراً من غداء الخميس، وعاد فرحاً إلى البيت، ووجد نفسه على غير عادته قانعاً بحجم شقتهم، ومنطقة سكنهم، ووظيفة أبيه.

أحس "فاروق" أن الله خلق له عينين جديدتين يرى بهما كل شيء جميلاً ومفيداً، ورائعاً ومُرضياً.

قص "فاروق" على أمه ما حدث له فاحتضنته أمه مسروراً به، سعيدة أيما سعادة

للتغيرات الحسنة الجديدة عليه التي طالما كانت تدعو له بها.

ثم قال لها: أصدقك القول يا أمي، لقد تمنيت امتلاك أشياء كثيرة دارت ببالي،

وطافت بخاطري وخيالي.. بيد أنني لم أتصور لحظة أن يكون لك بديل في حياتي!

الوقية

حازم ومازن صديقان حميمان وتلميذان متفوقان في الدراسة، كانا يلتقيان كل يوم في فصلهما الدراسي، يجتمعان في الفسحة المدرسية ويتناولان طعامهما ويتناقشان ويمرحان.

لاحظ زميلهما طارق عمق الصداقة بينهما ويبدو أنه غبظهما على هذه العلاقة الناجحة من الحب المتبادل والإخلاص والوفاء فيما بينهما.

لم يكن طارق في مستوى الصديقين العلمي والدراسي الفائق، وذات مرة أراد طارق أن يكون ثالث الصاحبين في الصداقة والحب والقرب، إلا أنه لم يجد الترحيب الكافي منهما.

تضايق طارق وشعر أنه أدنى منزلة وأقل تفوقاً، ثم وسوس الشيطان له أن يُفسد العلاقة بين حازم ومازن.

فكر طارق ملياً كيف يستطيع أن يفرق بين الصديقين الحميمين، ثم أوحى له شيطانه أن ينقل لكل من حازم ومازن - على حدة - كلاماً سيئاً عن الآخر، فبدأت الخلافات تدب بين الصديقين.

أذكى هذه الخلافات ما كان ينميه طارق لكل منهما من كلام وأحداث مُختلقة ليوسع هوة الخلاف بين الصاحبين ويتبوأ هو مكان الصاحب لكل منهما بما يشي به زوراً وبهتاناً.

وأثناء خروج التلاميذ من المدرسة صدمت سيارة مسرعة طارق وهو يعبر الطريق للناحية الأخرى، شاهد الحادث جمع من التلاميذ كان بينهما حازم ومازن، اللذان نظرا إلى بعضهما للحظة ثم أسرعوا نحو طارق وقال حازم لمازن: أسرع لنحمل طارق معاً برفق إلى جانب الطريق حتى تأتي سيارة الإسعاف لإنقاذه.

بدأ طارق يُفيق في سيارة الإسعاف فإذا بزميليه يلازمه ويصحبانه إلى المستشفى، وهناك قرر الأطباء إجراء عملية جراحية عاجلة لطارق لكسر ألمّ بساقه.

طلبت إدارة المستشفى التبرع بالدم لطارق، فبادر كل من حازم ومازن للتبرع؛ لكن إدارة المستشفى رفضت تبرعهما لحداثة سنهما، ثم إن أسرة طارق سرعان ما وصلت إلى المستشفى وتابعت الإجراءات.

وبعد إفاقة طارق من العملية الجراحية طلب رؤية حازم ومازن، وقد كانا يتربحان خروجه من غرفة العمليات، ثم نظر إليهما وقال بدموع وانكسار وخجل:

سامحاني لقد أسأت إليكما وأردت أن أفرق بينكما لأحظى بعلاقتي وحدي بكل منكما.. كنت أناانياً ونقلت كلاماً لكل منكما لم يكن له ظل من الحقيقة ولا رصيد من الواقع.

نظر الصديقان إلى طارق وابتسم كل منهما للآخر وقالا لطارق: عفا الله عنك، وغفر لك وسامحك.. أردت التفريق بيننا وأراد الله من خلال هذا الحادث أن نجتمعاً لإنقاذك ورعايتك.

لا عليك يا طارق؛ لا يهمنا الآن إلا سلامتك والاطمئنان عليك، أما صاحبك حازم ومازن فقد جاءا إلى المشفى متشاحنين وسيعودان منه الآن - إن شاء الله - صديقين حميمين أفضل مما كانا.

النفاق

دخلت المعلمة سلوى أحد فصولها لتحدث عن موضوع النفاق، وبعد أن حيَّت التلاميذ مبتسمةً، بادرتهم قائلة: هل تسمعون عن خصلة النفاق.. هل هو خلق محمود أو مذموم.. وهل تعرفون له أمثلة أو شواهد؟

أحمد: معلمتي، النفاق هو إظهار الحَسَن وإخفاء القبيح؛ وهو خلق - لا شك - ذميم، ومن شواهد نفاق عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين الذي تولى كِبَرِ حادثة الإفك.

المعلمة: أحسنت يا أحمد، أجبت فأفدت، واستشهدت فأصبحت.

محمد: معلمتي، النفاق إظهار الإيمان باللسان، وستر الجحود والنكران بالقلب والجنان؛ وهو خلق خبيث توعد الله أصحابه بعذاب في الدرك الأسفل من النار إن لم يتوبوا.

المعلمة: أجدت محمد وأحسنت، رزقك الله الإخلاص في القول والعمل.

حبيبة: معلمتي، النفاق كذب مرَّكب، وآفة حالقة للدين، صاحبه ذو وجهين، يظهر الإيمان إذا رأى المؤمنين، وإن زایلهم كان من إخوان الشياطين سخريةً واستهزاءً بالدين.

المعلمة: ممتازة يا حبيبة، نفع الله بك دوماً.

المعلمة: الآن.. ماذا عن صفات المنافقين؟

أحمد: للمنافقين صفات عديدة، وسمات كثيرة، منها: الكذب، فالمنافق غير صادق وهو إذا حدث كذب.

محمد: مخالفة الوعد، فالمنافق إذا وعد أخلف؛ لا يرقب في وعده إلا ولا ذمة.

حبيبة: الخيانة، فالمنافق غير مؤتمن على مال، ولا عرض، ولا أمانة، فهو إن عاهد خان وغدر.

المعلمة: أحسنتم جميعاً، بارك الله فيكم. والمنافق أيضاً قليل الخشية والذكر فلا يذكر الله إلا قليلاً. والمنافق كذلك يا أولادي، إذا خاصم فجر؛ أي أنه إذا اختلف مع غيره وكانت بينه وبين أحد خصومة لا يتقي الله.

ولا يتوخى آداب الخلاف، ولا يتحرى الصدق والعدل في عرض الخصومة بل قد يَفْجُر (يُشْطِط ويتجاوز) في الاختلاق والكذب والعداوة ليؤيد ويكسب دعواه، أو ليؤذي خصمه زوراً وبهتاناً واعتداءً.

الآن.. أسألكم: هل إن وقع بعضنا في بعض شُعب النفاق صار منافقاً خالصاً؟

أحمد: لا يا معلمتي، فحين يكذب بعضنا أحياناً؛ فإنه يتلبس بسلوك المنافقين، ويتسم بصفة من صفاتهم؛ لكنه لا يخرج عن دائرة الإيمان إلى النفاق لأنه لا يزال مؤمناً ظاهراً وباطناً.

محمد: لا يا معلمتي، فحين يكسَل بعضنا في بعض الأحيان عن أداء الصلوات في جماعة، أو في أوقاتها، أو يترك بعضاً من فروضها فإنه يشبه المنافقين في قيامهم إلى الصلاة كسالي، إلا أنه يبقى على الإيمان لأنه لا يُرأي الناس بصلاته وعبادته.

حبيبة: لا يا معلمتي، فحين يأمر بعضنا بالمعروف ولا يأتيه، وينهي بعضنا عن المنكر ويأتيه فإنه يضاهي المنافقين ويحاكيهم، بيد أنه لم يبرح بعدُ حظيرة الإيمان.

المعلمة: أشكركم جميعاً.. وحين يصلي بعضهم في مرأى من الناس بخشوع وتدبر وإذا انفرد بصلاته نفرها نفر الديك للحبّ مسارعاً بحركاتها.

وهو بذلك يشبه المنافقين الذين يراءون الناس في عباداتهم، وإذا خلوا بأنفسهم تركوا العبادة، أو تجوّزوا فيها وانتقصوا منها، وربما إن انفردوا بحرّمات الله انتهكوها.

وصدق الله العظيم القائل: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }.

الوفاء

صديق وواعد صديقان حميمان، كانا جارين وتلميذين نجيين بصف دراسي واحد وفي مدرسة واحدة.

تعرض واعد لأزمة صحية واشتكى عينيه وقرر الأطباء إجراء جراحة عاجلة له بعد أن يريح عينيه من الإجهاد والقراءة مدة أسبوعين على الأقل.

كان واعد خلال هذين الأسبوعين يختلف إلى صديق بمسكنه، يُخبره بمستجدات الدراسة، ويُلخص له بعض الدروس والحصص، ويستذكر معه بعض موضوعات الدراسة.

كان صديق يحاول ألا يفوت واعد شيء من اليوم الدراسي، ثم بعد مرور ساعة أو ساعتين يستأذن صديق في الانصراف لكتابة وعمل الواجبات التحريرية التي كُلف بها في المدرسة.

أُجريت لواعد جراحة بعينه تباعاً ومكث مدة أسبوعين لا يرى فيهما النور، وظل صديق كعهده يعود زميله في المشفى يومي الجمعة والسبت، وأحياناً كان يزوره مرة خلال الأسبوع بعد انتهاء اليوم الدراسي.

أحس واعد بأنه قد فاته كثير من التحصيل لا سيما قد أوشكت اختبارات نهاية العام على الحلول؛ فقرر واعد أن يعتذر عن دخول امتحانات آخر العام؛ لأنه لم يستوعب كثيراً من الدروس، وفاته كثير من الموضوعات، وإن كان حصل بعضها من صديقه صادق، إلا أن واعد لم يكن ليرضى بمجرد نجاح بل كان يرنو إلى التفوق كسابق عهده.

علم صادق باعتزام واعد على الاعتذار عن الامتحانات، فلم يوافقه الرأي، وقال له متى سيسمح لك الطبيب بالعودة إلى طبيعتك والتمتع بنور عينيك؟ فأجابه واعد: ليس قبل أسبوعين من الآن.

فقال صادق: الحمد لله، معنا أسبوعان من الآن، وأسبوع بعدهما قبل موعد الامتحانات.. سنمضيها معاً وها قد أوشك المعلمون على الانتهاء من شرح المناهج في حصص المدرسة.

قال واعد: ما يدعوك يا صادق أن تعطل نفسك وتفرغ وقتك لتقرأ لي وتستذكر.. وتساعدني في التحصيل والاستعداد للامتحانات؟

قال صادق: يا صديقي، الصديق وقت الضيق، الصديق ولو في الحريق، ترى لو كنتُ أنا المريض أكنت تاركي؟ سأظل معك بالنهار والليل ولن أتركك إلا لراحة أو نوم.

مرت الأيام وشُفي واعد وانتهت الاختبارات، وتواصلت أسرة واعد مع إدارة المدرسة وقصّت موقف صادق ووفاءه وإخلاصه لابنهم.

وفي حفل تكريم الأوائل والمتفوقين كان واعد يتسلم جائزة التفوق، في حين كان صادق يتسلم جائزتي التفوق والوفاء وسط تصفيق الحضور وإعجابهم.

حقوق الجار

أحمد أحد التلاميذ الفائزين، كان جاراً ل رجب زميله في المدرسة، وكانت أسرة أحمد من العائلات المحافظة سلوكاً وعبادات.

في حين كان أفراد أسرة رجب يحبون السهر، ويتعشقون مشاهدة التلفاز بقنواته المتعددة بأصوات مرتفعة صاخبة.

بل كانت حواراتهم ومناقشاتهم تتسلل إلى آذان جيرانهم على غير تسمع من الجيران، ومن دون تنصت ولا رغبة منهم.

كان يوم أسرة أحمد يبدأ مع أذان الفجر وربما قبيل بزوغه والنداء به، حيث يستيقظ أحمد فإذا بوالده يؤدي ركعات قبيل الفجر زلفى وتنفلاً لله تعالى.

ثم ما يلبث الوالد أن يوقظ باقي أفراد الأسرة مع الأذان نهوضاً للصلاة، واستعداداً ليوم عمل جديد، يبدوونه بصلاة وذكر وعبادة وشكر.

كان أحمد سعيداً بوالده وأمه وأسرته جميعاً الذين كانوا في نظامهم كخلية نحل، الكل يؤدي واجباته، ويقوم بدوره وعمله، ويعرف - في زهد - حقوقه، الجميع يشارك الأسرة مواقفها وفرحها وشجونها.

وكانوا يجتمعون يوم الخميس من كل أسبوع بعد العشاء، يتناقشون ويعرضون إنجازاتهم، وي طرحون شكاواهم، مقترحين الحلول للمشكلات، متجادبين أطراف الحديث متسامرين في ود ورحمة وسعادة.

كانت أسرة رجب تنام قبيل الفجر، ويستيقظ أفرادها متأخرين يشوبهم كسل، وتغشاهم كآبة وخمول، يشعرون بانقباض في نفوسهم إلا أنهم لا يتنبهون لأسبابه، ولا يقفون على دواعيه ومسبباته.

كانوا في عجلة يجذون مسرعين عسى أن يدركوا مواعيدهم، ويلحقوا أماكن ارتباطاتهم من دراسة وعمل، بعد أن يقضوا - في تجوُّز - ما فاتهم من صلاة.

تحدّث والد أحمد كثيراً مع والد رجب في أمر الضجيج الصادر عنهم، والإزعاج الناجم منهم، والأذى اللاحق بجيرانهم بسببهم.

لكنّ والد رجب كان يهوّن الأمر، ويعدّ بخفض الصوت، وتغيير السلوك والطبع، دون عزم أكيد منه، ولا نية قوية تعتمل في قلبه.

مرّض والد رجب، ونُقل للمشفى، وأُجريت له جراحة، ثم انتقل في فترة نقاهته إلى المنزل، عَرَفَ أحمد من رجب بمرض والده، فأخبر أحمد والده، الذي تخيّر موعد زيارة مناسباً واصطحب أحمد ليزور والد زميله رجب.

بهدية وابتسام عاد أحمد ووالده والد رجب، وتمنيا له شفاءً عاجلاً لا يغادر سقماً ولم يمكثا طويلاً في عيادتهما المريض.

وأثناء الزيارة، طالب والد رجب من والد أحمد أن يسامحه على سلوكيات الإزعاج، وارتفاع الأصوات، وجلبات الليل وضجيج النهار.

قال والد أحمد، لا تُعَنِّ نفسك الآن، قم بسلامة وعافية أولاً، أنت بحاجة لراحة فلا ترهق نفسك بأسفٍ واعتذار.

وسأوصي جيراننا بأن يوفروا لك مزيداً من السكينة والهدوء والسكون، فمن حقوق الجيران: ألا يؤذي بعضهم بعضاً بارتفاع صوتٍ، أو إزعاجٍ عند نوم.

وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، وليس بمؤمن من بات شبعانَ وجاره جائع وهو يعلم، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه (شروره وأذاه)..
صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

التسامح

كان آخر ما قرأتِ المعلمة "سميحة" قبل أن تنام لتدرك مدرستها وحصصها مبكراً: "التسامح من أسمى وأجلّ الصفات، وهو يعني العفو والمقدرة على التحمل، والتجاوز عن أخطاء الآخرين والتماس الأعذار لهم.

إن التسامح يجعل الإنسان منفتحاً مُتقبلاً للناس على اختلافهم، وهو ما يؤدي إلى التعايش السلمي بين الفئات المختلفة في المجتمع، ورَفْض التعصّب بشتى صورته ومختلف أشكاله، وهو يعني القبول الكامل للآخرين رغم اختلافهم في الدين والجنس واللغة والفكر".

وفي طريقها إلى المدرسة كانت تفكر المعلمة "سميحة" في وسيلة سهلة تشرح بها درس التسامح لتلاميذها تعريفاً ومعنى، قيمة وخلقاً، مذهباً وسلوكاً، فائدة وأثراً. ولما كانت معاني التسامح متشابكة مع قيم العفو، والصفح، والجود، والكرم، فقد اعتزمت المعلمة "سميحة" أن تفرق بين التسامح وغيره بشكل قصصي تربوي يثير العقل والفكر، ويلمس القلب والوجدان.

وفي الفصل كان هذا اللقاء..

المعلمة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. درسنا اليوم عن التيسير والتسهيل، والتغاضي والتساهل، والمرونة والليونة، والعفو والصفح، والتجاوز والمغفرة، والحلم والصبر، والأريحية والجود والكرم.. فما الموضوع أو العنوان الجامع لكل هذه المعاني والفضائل؟

سامح: السماح يا معلمة.

سميح: نعم.. هو السماح أو التسامح يا أستاذة.

سامح (متندرة): ولماذا لا يكون السماح.. أم أنكم تعدلون عن اسمي وحسب؟! بعد أن ابتسم الجميع..

المعلمة: أذكركم.. بأني أحب دوماً أن أعالج معكم موضوعات المعاني المجردة بشيء من الحكايات تجسمها وترسمها لكم حتى ترسخ في أذهانكم وقلوبكم.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سامح: نعم.. مفهوم يا أستاذتنا.. إنني كثيراً ما أركب مواصلات ذهاباً إلى المدرسة وإياباً منها، وقد يكون السائق ليس معه جميع باقي حساب ما دفعتُ له أجره لركوبي، فأتجاوز عن اليسير المتبقي من أجرتي، بعد أن ألمس حرص قائد السيارة على البحث عن فكة (صرف) ليكمل لي باقي حسابي.

سماح: أما أنا فأصنع مثل هذا مع محصلي الكهرباء، والمياه، والغاز وغيرهم، حين يبدون جادّين في البحث عن باقي حساب الفواتير تاماً كاملاً لإعادته إليّ غير ناقص آملةً أن أكون متسامحة.

المعلمة: أحسنتم جميعاً أيها المتسامحون.. لنتقل إلى تطبيق آخر للسماح، والسماحة، أو التسامح.

سامح: لقد تعلمتُ التسامح من أبي، فحين كنتُ صغيراً كنتُ نهماً للطعام، وكانت أمي تدخر طعام أبي له حين يتأخر في العمل، فكنت بعد أن آكل طعامي أتسلل إلى المطبخ فأجور على جزء من نصيب أبي في الطعام.

وكان أبي حين يكتشف هذا بعد عودته من العمل يبتسم ويسامحني ويقول لي: فماذا كنتُ فاعلاً يا "سامح" لو تأخرتُ عليكم أكثر من هذا؟

سميح: نعم.. وأنا تعلمتُ التسامح من أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - ففي فتح مكة وهو الظافر القوي المنتصر قال قوله المضيئة المسطورة في صفحات الصبح، والعفو، والمغفرة، والتسامح: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" قالها لمن أحسن إليهم وأسأؤوا إليه وحاربوه وأخرجوه!

وحين هاجر إلى المدينة وبنى المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، شرع في تدشين دولة مدنية تقوم على المواطنة للجميع؛ وفيها قبل المسلمون الآخرين من غير المسلمين ولم يقصوهم أو يرفضوهم.

كانت هذه المواطنة بين المسلمين واليهود وغيرهم لصالح البلاد والعباد، شعارها {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} ما دامت روح الالتزام بنود وثيقة المواطنة والدفاع المشترك عن المدينة قائمة ومرعية، فلما حدث غدر وخيانة من اليهود استحق الخائنون الغادرون ما حل بهم من عقاب ونكال!

سماح: أما أنا فقد تعلمت التسامح من الله تعالى فقد حفظت قوله سبحانه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأنعام، ١٦٠].

وهو دائم العفو والصفح وهو غفار الذنوب: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

المعلمة: الآن أجيوني: قام أحدهم بإنقاذ طفل من الغرق، والآخر شارك في إطفاء حريق، أما الثالث الأخير فقد كان أحد خصومه نائماً في حديقة فإذا بثعبان يتسلل إلى خصمه النائم يريد أن يؤذيه؛ فبادر الثالث الأخير بقتل الثعبان بهدوء من دون أن يُوقظ خصمه أو يُشعر عدوه.. أي هذه الأعمال أفضل؟

سماح: إنقاذ نفس من الموت غرقاً إحياء لها لقول الله تعالى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ مِمَّا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢].

سميح: إطفاء الحريق فيه تعاون، وبذل، ومشاركة، ومحبة، وهو عمل نبيل خاصة إن كان فيه إنقاذ نفس أو نفوس من الموت حرقاً.

سماح: أرى أن إنقاذ الغريق وإطفاء الحريق من الواجبات المحتممة على الماهر المستطيع، أما قتل الثعبان الذي كاد يفتك بخصم الثالث وهو نائم فإنه العمل الأكثر روعة ونبلاً، خاصة أن صاحب العمل كان فيه من المخلصين بانتصاره على نفسه وهو.

المعلمة: ربما أختتم بهذا السؤال: ما دام التسامح نفعاً كله.. فلماذا تعاقب الدول المجرمين ولا تسامحهم أو تعفو عنهم؟

سماح: من يقع تحت طائلة القانون لابد من إجراء القانون عليه أياً كانت هويته ومركزه؛ ردعاً للمجرمين، وتحقيقاً للعدالة والمساواة، ومراعاةً لأمن المجتمع.

سميح: نعم.. القانون ضمانه وحماية للمجتمع، والشخص المتورط بالجريمة لابد من زجره ونهيه بسلطان القانون؛ كي لا يصبح وغيره جريئاً معتاداً على انتهاك الحدود والحرمات.

وقد أثار عن الخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما - أنهما قالوا: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن". ومعناه: أن الله يمنع بالسلطان من اقتراف المحارم أكثر مما يمنع بالقرآن وذلك مع ضعف الإيمان من الخارجين على القانون وأمثالهم.

سماح: ثم إن القانون أيضاً يعفو ويتسامح مع بعض المجرمين ممن تتحقق توبتهم، ويثبت ندمهم، ويبرهنون على ذلك بسلوكهم أثناء حبسهم وعقوبتهم؛ فتخفّض الدول مُدد الأحكام المفروضة عليهم، وتخصص لهم مواسم للعفو والصفح عنهم في أعياد ومناسبات كثيرة.

المعلمة: سامحوني.. سؤال أخير.. هل نتسامح مع أشخاص جربنا معهم التسامح مراتٍ كثيرة فلم يرجعوا عن غيهم ولم يعودوا إلى رشدهم؟

سامح: الأصل أن نتسامح مع الخلق جميعاً حتى من ثبت مكرهم وخداعهم وخبثهم. سميح: لا، بل هذا الأصل يكون صحيحاً مع من لم يستين تلاعبهم، وإلا صرنا حمقى مغفلين لا عافين متسامحين، وقد أمرنا الله بأخذ الحيطة والحذر.

سماح: أنا معك يا سميح، فقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "لست بالخبِّ ولكنَّ الخبِّ لا يخدعني" يعني الماكر الخادع.

المعلمة: أبنائي، أخيراً.. التسامح يعني نسياننا المواقف المؤلمة، والتخلي عن الرغبة في إيذاء الآخرين الذين آذونا، وهو يدفعنا إلى أن نبصر مزايا الناس لا أن نرمق عيوبهم ونجتز أحزاننا. والتسامح شعور بالرحمة، والتعاطف، والحنان للعالم كله من حولنا.

يقول الله تعالى عن المتقين المتسامحين: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤].

ويقول الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - : ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى))؛ رواه البخاري.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ

أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ)).

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التلاميذ (جميعاً): صدق الله العظيم، وصدق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -

.-

لو كنت أميراً

صالح" طالب ثانوي يافع، طيب القلب من أسرة فقيرة، إلا أنه يحب المال حباً جماً، كثيراً ما تحدثه نفسه بأن

يجد أثناء سيره ذات مرة حقيبة مليئة بالأموال، أو أن يُرزق بفانوس سحري يحقق من خلاله جميع أمنياته في الشراء الرافه، والغنى الممتع الراجع.

وقد بلغت الأماني بـ "صالح" الرغبة في أن تهيئ له الأقدار ذات يوم أن يُصاحب فخامة أحد الرؤساء أو الملوك أو الأمراء؛ فيطلع على برامجهم ونمط حياتهم ويغترف من سعادتهم.

لقد كان "صالح" يدفعه الفضول دائماً إلى معرفة متى يستيقظ مثل هؤلاء الملوك من نومهم، ومتى وكيف ينامون، وأي شيء يأكلون وماذا يشربون؛ ما هي ماركات ملابسهم، وهل يحملون هويات أو حافظات نقود في جيوبهم؟

بعد يوم حافل بالتنزه والسير والتمني والتطلع، عاد "صالح" إلى بيته فارتاح قليلاً، ثم تناول طعامه وشرع في استذكار دروسه.

ومع الساعة الثانية عشرة مساءً استسلم لداعي النوم، فإذا به يرى أنه أضحي أميراً من أمراء البلاد الذين يُشار إليهم بالبنان، ويُسمع لهم حين يتحدثون، ولصفحات الصحف والمجلات الرئيسية يتصدرون، من أولئك الذين يتتبع الإعلام أخبارهم في أي مكان يحلون أو يرتحلون.

وقد دار حديث بين الأمير "صالح" ومستشاره:

الأمير: هيا أعدوا لي الفطور.. به مقلي ومشوي دجاجٍ وطيور.

المستشار: اليوم سيدي، بأمر الأطباء، لا فطور ولا عشاء.

الأمير: إذن، إليّ بالعصائر والمرطبات.. والفواكه والمكسرات.

المستشار: أمر الأمير، لكن ليس قبل التريُّض والجري، والركض والسير.

وبعد إنهاكٍ وتعبٍ من تمارين الصباح..

الأمير: الآن.. عجّل هيا أيها المستشار بالمطلوب.

المستشار: أمر جنابك، فور أن تنتهي من غُسلِك وحمّامِك.

الأمير: أين العصائر والمكسرات.. والفواكه والمشهيات؟

المستشار: هذه حبة كمثرى وموزة وبرتقالة، وثلاث تمرات وقرنُفلة ونصف تفاحة.

الأمير: أين أنواع التمور والأعشاب.. واللوز والبندق.. وفصائل الموالح والتفاح؟

المستشار: كل ذلك يحمل مخاطر توقيناها لكم من زائد السكر وضار الأملاح.
وفي الغداء..

الأمير: هاتوا الغداء ونوعوه بين المسلوق والمقليات والمشويات.. ولا تنسوا
السَّلَطَات والمخللات.

المستشار: أمر معاليك، هذه قطعة لحم حمراء مشوية.. خوفاً عليك من نِقْرَسٍ
وتقلُّصات معوية.

الأمير: وما لي لا أرى السَّلَطَات والمخللات.. والفُجْل والبَصَل.. والخَضْرَاوات؟

المستشار: البقدونس فقط فخامة الأمير، فعقب الغداء وقدَّ يصل بصُحبة السفير
والوزير.

وفي الصباح..

الأمير: اليوم أبغي أكلِ بصلٍ أخضرٍ مع فولٍ مدمس بالليمون.

المستشار: الفول والليمون خطران داهمان على قرحة المعدة والقولون.

الأمير: ما لك يا رجل لا تكاد تلبني لي طلبِ أكلٍ أو طعامٍ أو شرابٍ؟

المستشار: هي برامجُ أسر الملوك والأمراء.. كلها تحت إشراف كبار الأطباء.

الأمير: ضِقتُ ذرعاً بإمارة وتضييق.. وبرامجٍ نهى ومنع.. وتقييد وتعويق.

المستشار: هي تعليمات لحفظ الرشاقة والحيوية.. وتتمام الصحة والعافية.

الأمير: أريد الآن أن أنطلق وحدي.. مختلياً بنفسي.. لتجوالٍ ونزهةٍ خاصةٍ خلويةٍ.

المستشار: مولاي، ليس قبل تجهيز العسس والحرس.. والوفد والرصد.. وإشعار

الدورية.

الأمير: حين كنتُ شخصاً فقيراً كنتُ حراً طليقاً.

المستشار: حاشاك.. ما كنت يوماً فقيراً قطُّ يا سيدي.

الأمير: تعساً لملكٍ وإمارةٍ.. وعزٍّ ووزارة.. ورئاسةٍ وتملكٍ وسلطنة.

المستشار: سيدي، سلمتم وغفيتم.. ما لكم.. ما الأمر والخبر؟

الأمير: أريد حُرَيْتي أطلقوا يدي.. مرحباً بفقرٍ طليقٍ.. وبعداً للأسرِ ملكٍ وإمارةٍ.

أفاق "صالح" من نومه على صوت "توك توك" يسوقه خمسيني عاشق للعندليب

الأسمر الذي كان يشدو به: "شفت وخداني الأمانى لحد فين.. شفت بحلم بحلم قد

إيه."

بعد أن مرَّ "التوك توك" سمع "صالح" عم "منصور" بائع الفول المتجول ينادي في

الحارة عليه وعلى بعض الجيران قائلاً:

الفول والبليلة.. الفول يا "صالح".. البليلة يا بت يا نبيلة!

صالح (فاتحاً النافذة فاركأ عينيه مُدلياً بالحَبْلِ السَّبْتِ):

لو سمحت يا عم "منصور"، كيس بليلة.. واثنين فول.

معشوق الأطفال

بعد أن صلى الحاج "شاكر"، المدير السابق بهيئة الصرف الصحي بعين شمس، العشاء جماعة بالمسجد، سرح بفكره في أيام طفولته وصباه الأولى بالقربة التي شهدت مسقط رأسه بأعالي صعيد مصر، فتذكر شخصين لا يمكن لذاكرته أن تغفلهما أو تنساهما، إنهما: "عوضين"، و"حسين".

أما "عوضين" فكان الأطفال يهابونه ويسارعون بالهروب من طريقه حين يرونه مقبلاً من قريب أو بعيد، وأما "حسين" فكان الأطفال يُهرعون إليه، ويقبلون عليه، ويدنون منه مطمئنين في أمنٍ وسلامٍ ونشوةٍ وأمان.

كان "عوضين" يعمل بحي المركز في بلده، وكان رجلاً ربعةً ضخمةً الجثة، مفتول القوى، غليظ القلب قاسيةً، وكان من مهام "عوضين" الموكلة إليه في عمله بالحي التخلص بالقتل من الكلاب العقورة الشرسة الضالة، فكان "عوضين" يسير في صلفٍ وعُجْهِيةٍ، ممسكاً بيده اليمنى عصا غليظة قد ثبت في رأسها قطعة حديد كبيرة مستديرة .

ولم يكن "عوضين" يستخدم هذه العصا للتوكؤ عليها، أو ليهش بها على غنمه، بل كان له فيها مآرب واحد هو أنه حين يرمى كلباً في طريقه إلى العمل أو حين يؤوب منه

إلى البيت، يقترب "عوضين" بكل ثقة وقسوة من الكلب، وسواء كان الكلب يقظاً أو نائماً، نشيطاً نابحاً، أو قائلاً وادعاً هاجعاً، فإن "عوضين" كان يسدد له ضربة قوية بالعصا يهوي بها على رأس الكلب لا يُثنيها ولا يُخطئ فيها.

لقد كانت ضربة واحدة تكفي لئن يستدير الكلب دائخاً لفة أو لفتين، ثم يُصدر صوتاً مزيجاً من التساؤل والاستغاثة والوداع ثم يُسلم النفس في دقيقة أو دقيقتين.

وحين يختفي "عوضين" عن المشهد ويتوارى عن الأعين والأنظار، يلتف الأطفال حول الكلب المقتول في حزنٍ دامعٍ، متحسرين متألّمين، ومتوجسين مُغتَمِّين .

والأطفال في هذا المشهد يجمعهم الأسى، ويفرقهم بعد ذلك الخوف، راجين أن يكون هذا الكلب هو آخر الحيوانات المقتولة، وإن كان ذلك بموت العم "عوضين".

وكان "حسنين"، محبوب الأطفال والأثير لديهم، يعمل مقيم شعائر بالمسجد الجامع في القرية، لا يخرج من بيته حتى يتأكد أن جيوب جلاببه قد امتلأت بالحلوى المغلفة، وقد قرر سلفاً أنه لن يفيء إلى البيت مساءً بعد صلاة العشاء وفي جيبه حبة واحدة ضلت طريقها إلى طفل من الأطفال .

لقد أعد "حسنين" الحلوى للأطفال الذين يعترضون طريقه، ويتبعون خطواته، ويقبلون يزفون إليه، وهو لا يفرق في عطاياه بين ذكر وأنثى، أو ابن غنيّ وابن فقير، أو بين ابن مسلم وابنة نصراني، وإن كان يخص الأيتام واليتيمات بالنصيب الأوفى بعد أن يمسح

على رؤوسهم جميعاً، وكان "حسين" حريصاً على طقوسه هذه لأنه كان يُلْفِي بعدها

رقة في الفؤاد، وقشعريرة في البدن، وحلاوة في القلب، وزيادة في الإيمان !

ترخّم الحاج "شاكر" على رُوحِي "عوضين" و"حسين"، واستغفر لهما ولوالديه ولجميع

الموتى، ثم قرر بعد خروجه من المسجد أن يبدأ رحلة إسعاد أطفال المنطقة، لا يفرق

في ذلك بين غلامٍ وجارية، ولا بين مسيحي ومسلم، ولا بين من يعرف ويُنكر من

الأطفال .

ثم توجه الحاج "شاكر" إلى أقرب محل جُملة ليشتري منه كرتوناً من الحلويات

المنوّعة، ليشرع في توزيعها مع مطلع الفجر الجديد؛ آملاً أن يُعيد بين الناس سيرة

"حسين" الأولى، وأن يصبح هو مجدداً معشوقَ الأطفال!

طفلة تائهة

ما إن سلّم إمام "مسجد الصحابة" من صلاة الظهر، حتى راعه إقبال شابّ يُمسك بيد طفلة تائهة لم تبلغ بعدُ العامين، فارقتها حُمرة الخجل لتملكها صُفرة الخوف والوجل، كانت شاحبة الوجه، قلقة الأسارير، تتمم بكلمة "ماما!"

أثر منظر الطفلة فيمن بقي من المصلين، إلا أن "معز" كان أكثر المتأثرين بالطفلة حيث هرع إليها، قربها من صدره، وابتسم لها ببراءة ليث فيها الطمأنينة والأمان.

وأسرع "حسن" فأشار إلى ولده بإحضار عصير وبسكوبت تخفيفاً عن الطفلة وإلهاء لها، لا سيما قد شرعت التائهة في بكاءٍ خفيض حين ازداد عدد الناس من حولها!

اقترح أحدهم أن يُنادى بمكبر الصوت لتنبه من بالخارج لوجود طفلة تائهة، بعد سرد وصفها والتعرف بصعوبة من الطفلة على اسمها.

وقبل الشروع في استخدام المكبر للتنبه، سأل "معز" - وهو من الحريصين على إصابة السنن وتوخيها - عن حكم نشد الضالة في المسجد.. ثم دار هذا الحوار:

معز: إخواننا، في البدء.. هل يجوز إنشاد الضالة في المسجد؟

محمود: لا يجوز. يقول الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [سورة

الجن: الآية ١٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد الضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك" رواه الترمذي.

لطفي: ما أعلمه أنه لا يجوز. فع عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا وَجَدْتُمْ؛ إِنَّمَا بُنِيَتْ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ). أخرجه مسلم.

علي: على رسلكما.. فالأمر خلافي بين الفقهاء، فمن نظر إلى عموم وظاهر هذه الأحاديث والآثار وغيرها؛ قال بحرمة أو كراهة إنشاد الضوال بالمساجد.

أما من تعمق في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحقيق مناطها، فتراه يجيز إنشاد التائهين بالمسجد أطفالاً كانوا، أو شيوخاً، أو من المتأخرين عقلياً.

معز: يا علي، هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل وبيان، ودليل وبرهان.

محمود: نعم.. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة" رواه أهل السنن.

لظفي: هذا صحيح.. فعن ابن سيرين قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فأمسكه وانتهره وقال: "قد نهينا عن هذا" أخرج عبد الرزاق. وقال ابن العربي: ولا ينشد في المساجد الضالة إجماعاً.

علي: اسمعوني بارك الله فيكم.. الإعلان عن طفل ضائع في المسجد ليس من إنشاد الضالة، وليس به بأس، ولا تتناوله الأحاديث الناهية عن ذلك؛ لأن الضالة كما يقول الإمام ابن عرفة: نَعَمْ وَجَدَ بغير حِرْز محترم، فيدخل فيه الإبل، والبقر، والغنم، ولا يُطلق على الضائع من الإنسان ضالة!
معز: زدنا أكثر يا علي، متعنا الله بك.

محمود: لست مقتنعاً بكلامك يا علي، فلا يجوز تعريف اللقطة ولا الضالة في المساجد فإنها لم تبين لهذا.

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبَيَّنْ لِهَذَا).

لظفي: أجدني حتى الآن مائلاً إلى أن الضالة المنهي عن إنشادها في المسجد ليست خاصة بضالة البهائم بل كل شيء يقتنى، كما قال المناوي في شرح الجامع الصغير عن المراد بالضالة في الحديث: وهي أصالة الحيوان، وهنا أي شيء ضاع.

علي: ذكرتُ في البدء أن الأمر فيه خلاف بين العلماء، أما الطفل التائه فإنه يجوز النداء عليه في المسجد؛ لأنه ليس في معنى الضالة، وحفظ النفوس من المقاصد العليا للشريعة، بل هو إحدى كليات الشريعة الخمس.

وإنما النهي المفهوم من الأحاديث الشريفة يعالج ما فيه إعلان عن دنيا وماديات من تجارة، وبيع، وشراء، وضوَالٍ غير بشرية، أما ما كان من إعلان لخير أو معروفٍ فلا بأس به.

معز: قلبي يجنح لكلامك يا علي، فربما عَجَّل الإعلان عن هذه الطفلة إلى ضمها لصدر أمها الولهي، وأبيها الحزين، وإخوتها المفزعين.

محمود: نعم.. لكننا يجب أن نؤخر العاطفة والعقل، ونقدم عليهما الدين والشرع.

لطفي: هذا إن كان هناك خلاف أصلاً يا "محمود" بين الشرع والعقل، والقلب والنقل. يبدو أن الأمر واسع وخلافي حقاً كما يقول "علي"، فمن هدي النبي حتى في الحروب ومعاملة الأسرى ألا يُفترق بين أم وطفلها، بل دلت الآثار على عدم ترويع الطيور والتفرقة بين الأمهات وأفراخها.

علي: فتح الله لكم جميعاً.. إذن الحكمة من النهي عن إنشاد الضالة، والبيع والابتياح داخل المسجد هي تصغير أمر الدنيا، وتحقيرها في النفوس، وذلك ينطبق على الأموال.

أما حفظ الأنف من التلف فأمره أعظم، وهذا حيث كان الناس في المسجد، أما استخدام مكبرات الصوت في غير أوقات الصلوات فالأمر فيه جائز بالأحرى.

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أُعلن في أحد المساجد أنه يوجد إفطار كل يوم خميس، كما أُعلن عن دورات العلم، وعن حملات الحج والعمرة فما حكم ذلك؟ فأجاب: " هذا الإعلان لا بأس به؛ لأنه إعلان فيه دعوة للخير وليس المقصود به بيع ولا شراء، المحرم أن يعلن عن البيع وشراء أو تأجير واستئجار مما لم تبين المساجد من أجله، وأما الدعوة إلى الحج والعمرة، والخير وإطعام الطعام، والصدقة، ودروس العلم فلا بأس به. "

أعلن "معز" - مطمئناً تماماً - عن الطفلة بمكبر الصوت، وإن هي إلا دقائق حتى طرقت أم الطفلة التائهة باب المسجد مصوبة نظرها نحو مستوى طول ابنتها، وحين تلاقت الأعين صرخت الأم: "ساندي" ابنتي!! فهولت الطفلة صوب أمها قائلةً بفرحة غامرة: "ماما!"

انفعل كل من شهد احتضان الأم لابنتها وأيقنوا أن "علي" كان محققاً في لفهمه لإباحة نشدان التائهين من الآدميين بالمسجد؛ لأن نهي الأحاديث الواردة كان موجهاً إلى الماديات لا إلى الإنسانيات، وإلى القوالب لا إلى القلوب.

لكن "محمود" أطرق حزيناً، ثم فتح مكتبة المسجد ليفهم معنى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ
فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، تلکم الآية الکریمة التي يتلوها منذ عشرين عاماً.. لكنه لم

يفقه مرادها الصواب ولم يفهم معناها الحق!!

الصيد الطماع

مع إشراقة صباح يوم صائف شديد الحرارة، انطلق صيادان جاران إلى شاطئ البحر، أما أحدهما "عابد" فكان من القانعين الراضين، وأما الآخر "عامر" فكان من الطامعين الساخطين.

ألقى "عابد" - متوكلاً على الله - شباكه وسناراته، وبعد نحو ست ساعاتٍ من العمل الدؤوب، رزق الله "عابد" أسماكاً كثيرة، أكثرها صغير، وأقلها كبير، ولم تخلُ الأسماك من الحجم الوسيط.

بينما فوجئ "عامر" بأنه كلما أخرج شباكه وسنانيه وجد بها سمكاً من الحجم الصغير، وبعد أن أعاد "عامر" المحاولة عدة مرات كان يبوء دوماً بالسمك الصغير؛ غير "عامر" مكان صيده عدة مرات، بعد أن كان يُعيد السمك الصغير إلى البحر كلما استخرجه.

توسطت الشمس كبد السماء، وقبل أن يعود "عابد" إلى بيته، ذهب ليصلي الظهر في المسجد، ثم انطلق إلى السوق ليبيع ما معه من السمك؛ فباع "عابد" سريعاً ما معه من سمكٍ كبير، ثم تصدَّق بشيء من السمك متوسط الحجم.

قرر "عامر" أن يُغيّر "الطُعْم" الذي يستخدمه لصيد الأسماك، فجعل بعضاً من السمك الصغير طُعماً ليعلق به السمك الكبير، ثم بدأ حجم السمك الذي يعلق بالشبكة يَكْبُر مع مرور الوقت. فرح "عامر" وقرر أن يُقَطِّع السمك الكبير ويستخدمه طُعماً لسمك أكبر.

مرَّ الوقت من دون أن يشعر "عامر"، فأذن بصلاة الظهر، ثم بصلاة العصر، و"عامر" يُصِرُّ على أن يحصل فقط على كبير السمك من البحر، وظل كلما اصطاد سمكة كبيرة طَمَحَ في سمكة أكبر منها، فكان يُحيلها طُعماً لسمكة أكبر.

عاد "عابد" إلى بيته سعيداً فرحاً لأنه سيأكل مع أسرته ما بقي من السمك المتوسط، بعد أن يُهدي منه شيئاً إلى جيرانه، أما السمك الصغير فقد ادخره "عابد" مُملحاً إلى مناسبات وأوقاتٍ أخرى يروج فيها بيعه وبطيب أكله ولئلا يَفْسُد من شدة الحر.

احمَرَّ الشفق وأوشكت الشمس على الأفول، و"عامر" لم يجمع في مِكتَله إلا قِطْعَ سمكٍ أعدّها طُعماً لسمكٍ أكبر، ثم حَلَّ الظلام فاضطر أن ينصرف إلى بيته متبرماً ساخطاً.

وفي البيت قال "عامر" لزوجته: هيا اصنعي لنا طعاماً بما في هذا الزُّنْبِيل من أسماك.

اقتربت الزوجة من المَكْتَل فوجدت أشلاءً سمكٍ قد أخذت رائحتها تنتشر عفناً وفساداً، فأخبرت زوجها فغضب “عامر” وحزن حزناً شديداً. فقالت الزوجة: لا تبتس عندنا طعام آخر جاءنا اليوم هديةً من جارنا الصياد “عابد”.

لا.. الناعمة

بابتسامة عذبة كنسيم الصَّبَا، ووجه طَلَق مُلتمع البشاشة، توجَّهت المعلمة "آمنة" إلى حصتها، وقد وعدت تلاميذها بأن تخصص هذه الحصة لحل المشكلات الاجتماعية بين التلاميذ والتلميذات سواء كانت في المدرسة، أو مع أسر التلاميذ بالبيت.

المعلمة آمنة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كما وعدتكم اليوم لن أحاضرکم، وأود أن تتحدثوا أنتم عن مشكلاتكم، واستفساراتكم، وتساؤلاتكم، وما يجابهكم من مضايقات.

سارة: عندي مشكلة تتعلق بجارة لي كثيراً ما تقترض مني نقوداً، وأدوات مدرسية، وأحياناً تطلب ملابس لحضور مناسبات خاصة بها.

هاجر: هناك زميلة في فصل آخر مُولعة باستعارة الكتب الخارجية مني؛ ما إن تُعيد كتاباً حتى تأخذ غيره، وهي ليست ممن يحافظن على الأشياء المستعارة.

منذر: أما أنا فهناك زميل لي يزورني دوماً في نهاية الإجازة الأسبوعية، فيطلب كراسات واجباتي، وينقل حلول إجاباتي، وينسخ جهود ابتكاراتي في حل التدريبات وإعداد النشاطات.

المعلمة: أحسنتم جميعاً.. لعله يمكننا تلخيص هذه المضايقات السلوكية إلى آداب القروض والاستعارة.

سارة: وهل للقرض والاستعارة آداب مرعية وأصول مُتوخاة؟

المعلمة: نعم يا سارة وإليك التفصيل..

قد يتعرض أحدنا إلى ضائقة مالية أحياناً، ومن المندوب أن يُعين الموسر منا المعسر، وأن يساعد الغني منا الفقير؛ فإن كان هناك فقير لا يستطيع شراء أدواته المكتبية أو الدراسية؛ كان لزاماً على المقتدرين ممن يعرفونه توفير هذه الضرورات له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

لكن فيما يتعلق بالملابس فالأنسب فيها مساعدة المحتاجين بالتهادي والصدقات لا بالاستعارة؛ لأن الملابس جزء خاص من مكونات شخصية الإنسان.

فلا ينبغي التخلي عن الملابس أو الأحذية بأنواعها لآخرين بالتناوب في ارتدائها، أو بالتبادل في استعمالها، ناهيك عما قد يجرّه تبادل الملابس والأحذية من أمراض ونحوها.

هاجر: وماذا أصنع مع زميلتي الشغوفة بالمذاكرة من كتبتي الخارجية؟

المعلمة: تأكدي أولاً أنها لا تستطيع شراء هذه الكتب، فمن الناس من يحب أن يكون كالتبانات المتسلقة التي تعتمد على غيرها للوصول إلى مبتغاه، عَادِين ذلك ذكاءً منهم وحصافة، {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ!}

ثم وجهي زميلتك إلى الإفادة من مكتبة المدرسة، والمكتبات العامة، وعرفيها بأماكن بيع الكتب الخارجية المستعملة فهي تباع بأقل من نصف الثمن، فهذا سيقبل مرات الاستعارة منك، إن لم يمنعها.

وبلطفٍ أخبريها أنك مُضطرة لتجليد الكتب الخارجية من مصروفك الخاص؛ لأنها قد تعرّضت للتلّف والاهتراء من سوء استخدامها.

وعليّ أن أخبر زميلتي الأستاذة المعنية بشؤون الطلاب والإرشاد النفسي بشأن ظروف صاحبك المادية والسلوكية؛ كيما تساعدنا وتوجهها وفق ما تراه وتقرره.

فربما رفعت المعلمة عنها حرج الحاجة، وسألت بطريقتها فصول زملائكم السابقين لكم بعام.. ما إذا كان لا يزال أحدهم يحتفظ بكتب العام الماضي الخارجية.

منذر: وماذا عن مشكلة السطو الأسبوعي على جهودي وابتكاراتي؟

المعلمة: حقاً يا منذر، هذا لا يُعد قرضاً ولا إعارة، هذا جَوْر وَسَطُو على جهود وتفكير وابتكارات مبدولة لساعات طوال، تُشكّل بصمة صاحبها، وطريقته في التناول والتحليل، والتفكير والتعبير.

علم صاحبك بطريقة "لا الناعمة"، أنك مستعد لشرح ما استغلق عليه، ولتوضيح ما يند عنه، ومساعدته فيما يصعب عليه.

أما أن يأخذ كراساتك لينسخ جهودك، ويسطو على أسلوبك.. فهذا لا يفيدك ولا يفيده بل يضره ويضرك، فقل له إذا جاءك: "لا".. قلها بقوة ناعمة، واشفعها باستعدادك لمساعدته كما أوضحت لك.

واعلموا أبناءى، أنه ليس كل ما يقال من أشعار أو حكم تسلم دائماً من الخطأ، فلسنا مع الشاعر القائل:

إن أخاك الحق من كان معك ** ومن يضر نفسه لينفعك

فالصواب أن تكون مع صاحبك في الخيرات والتقربات، والنوازل والكربات، لا أن تكون معه في طرق الشرور والسيئات، كما أنه ليس مطلوباً من أحد أن يضر نفسه لينفع غيره، فمن هدي النبوة:

عن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لا ضرر ولا ضرار))؛ حديث حسن، رواه ابن ماجه، والدارقطني وغيرهما.

المعلمة والتلاميذ (معاً): صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم. -

آثام الظنون

بوجه مثل نور الصبح منبلج، وقلب بسعة بحرٍ ممتد، أقبلت المعلمة "خديجة" على تلاميذها باسمه الثغر، حاضرة القلب والفكر، ليكون هذا الحوار..

المعلمة: أمرنا ديننا الحنيف بحسن الظن بالآخرين؛ ونهانا عن سوء الظن، كما دعانا إلى التماس الأعذار للغير، وعدم المسارعة في الحكم على سلوكياتهم، كما أرشدنا الإسلام إلى أهمية الثبوت والتبين مع النصيح والإرشاد بالحسنى والمعروف.

هيا: كم نحبك معلمتنا النبيلة! حديثك العذب ذكرني بقصة "الهاتف مغلق" التي حكاه لي أبي؛ مثلاً على أهمية حسن الظن مُحذراً من الحسرات والآثام التي قد يجرها سوء الظن.

يارا: وأنا تذكرت الآن قصة "بقرة وحمار" التي رواها لي أبي دلالةً على ضرورة حسن الظن، وحسرة وندم من يسيء ظنه بالحكم المتعجل على الناس.

حمزة: أما أنا فقد حضرتني الآن قصة "بالهناء والشفاء" التي روتها لي أمي أقصوةً حكته لترشدني إلى حسن الظن، ولتحذرنني من عاقبة التعجل بسوء الظن في الآخرين.

المعلمة: نستمع الآن إلى القصة الأولى.

«الهاتف مغلق»

هيا: كان لأبي زميلان موظفان هما: "عاصم"، و"باسم"، وكانا من متوسطي الدخل، ثم تعرضت ابنة "عاصم" لحادث سير أدى لكسر إحدى قدميها، فسارع والدها بالذهاب بها إلى المستشفى.

وهناك طلبت إدارة المستشفى مبلغاً لم يكن بحوزة أبيها "عاصم"، فأسرع واتصل بصديقه "باسم" طالباً إليه أن يسعفه بمبلغ من المال.. لم يتردد "باسم" فقال لعاصم: لا تقلق سأكون خلال ساعة عندك بالمستشفى إن شاء الله.

لم يكن لدى "باسم" (الموظف) فضل مال لا سيما وقد أوشك الشهر على الانتهاء، فذهب "باسم" إلى صديق له ليقترض منه المبلغ كي يعطيه لصديقه "عاصم" فلم يجده، ثم التمس صديقاً آخر فاعتذر الأخير لعدم استطاعته.

فنظر "باسم" فلم يجد إلا هاتفه الجديد الذي اشتراه منذ شهر؛ إثر قبضه "جمعية" اشترك بها مع الزملاء فبادر "باسم" إلى بيع الهاتف لدى أقرب محل.

وحين تأخر "باسم" على صديقه "عاصم" اتصل "عاصم" فوجد هاتف "باسم" مغلقاً، فغضب وحزن ثم أرسل "عاصم" إلى "باسم" في سؤرة الغضب رسالة مفادها: "افتح هاتفك فلا حاجة لي لمساعدتك".

وبعد أن أرسل "باسم" رسالته بدقائق، وجد أمامه بالمشفى صديقه "باسم" يُهرع إليه مبتسماً، فاعتذر عن تأخره، ثم قال تفضل أخي "عاصم" هذا المبلغ الذي طلبت.

وحين لاحظ "عاصم" عدم وجود هاتف "باسم"، قال له: أين هاتفك؟ فقال "باسم": قريباً - إن شاء الله - سأشتري أفضل منه بعد أن نقبض معاً المكافأة السنوية!

المعلمة: والآن نستمع إلى القصة الثانية:

«بقرة وحمار»

يارا: كان هناك صديق لأبي يقود سيارته على طريق سريع، وكانت هناك سيارة على يساره يقودها شاب مع آخر بجواره، إلا أنهما كانا غير منتبهين للطريق، فكانا يتحدثان بانهماك مسترسلين في نوبات من الضحك والحركات.

وقد لمح صديق أبي بقرة شاردة يطاردها صاحبها تعدو من جهة شمال سيارة الشابين، في لحظةٍ كانا ينظران فيها إلى بعضهما ويضحكان.. فقال صديق أبي بصوت عالٍ مشيراً إلى سيارة الشابين ومنبهاً لهما: بقرة!!

فقال الشاب قائد السيارة: أنا بقرة!! بل أنت حمار وابن.. ، فإذا برديف الشاب في لحظة فارقة بين الحياة والموت، وقد رمق البقرة، ينجح في أن ينحرف بمقود السيارة متفادياً البقرة، وبعد نجاة الشابين حاصرتهما حسرات سوء الظن وآلامه!

المعلمة: بقي أن نستمع إلى القصة الثالثة والأخيرة:

«بالهناء والشفاء»

حمزة: استقلت أمي قطاراً لزيارة أمها (جدتي) المريضة بأسوان، ولما كان السفر بعيداً، فقد اشترت أمي كيساً من المقرمشات والتسالي تقطع به ملل ساعات السفر الطوال، إضافةً إلى قراءة أحد الكتب الممتعة.

كانت هناك امرأة رديفة لأمي تجلس بجوارها، تصادف أن اشترت - مثل أمي - كيس مقرمشات من النوع نفسه لتستعين به على لأواء السفر وطول المسافات والساعات والمحطات.

وضعت المرأة كيسها على منضدة بينها وبين أمي، ثم دسَّت حقيبة لها أسفل هذه المنضدة، وفجأة تحرك القطار حركات عنيفة، فإذا بكيس المقرمشات يسقط في حقيبة المرأة التي كانت وقتها في الحمام.

أخرجت أمي كيس مقرمشاتها ووضعتته على المنضدة نفسها، وقالت في أدب للمرأة رديفتها بعد أن عادت، هل تسمحين أن نتشارك معاً في تناول هذه المقرمشات؟

باستياءً من المرأة أومأت أن نعم. ثم فتحت المرأة كيس المقرمشات، وتناولت منه قطعة، فتناولت أمي قطعة مثلها.

ولاحظت المرأة طوال الطريق أن أمي لا تمد يدها في الكيس حتى تمد المرأة أولاً، واقتربت محطة الوصول فإذا بقطعة واحدة قد بقيت، وكان الدور في التناول لأمي فقسمت أمي القطعة وأخذت نصفها، وتركت نصفها الآخر على مَضَضٍ وَحَقٍِّ وتأفف من رديفتها.

وعند اقتراب توقف القطار، إذا بالمرأة تكتشف وجود كيس المقرمشات خاصتها، فنظرت إلى أمي مندهشة خَجَلِي، فقالت لها أمي: بالهناء والشفاء!!

المعلمة: يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢].

التلاميذ (معاً): صدق الله العظيم.

حين يتواضع الخارقون

الله سبحانه وحده هو واهب القوى والقدر، يمنحها من يشاء ويمنعها، ويؤتيها من يشاء وينزعها؛ وهو على كل شيء قدير.

لاحظ الأب "أحمد" أن أحد أبنائه "موسى" يختلف عن إخوته جميعاً، ليس في البنية الجسمية، ولا في الطبيعة النفسية فحسب، بل في أمارات بينات على قوة لافتة، وقدرة جسمية متجاوزة لنظرائه.

كانت تلوح هذه القوة من "موسى" حين يحمل شيئاً ثقيلاً، أو عند دفعه شيئاً ضخماً، أو عندما يمزح مع أقرانه من الأطفال فيضغط على يد أحدهم، أو يتحداهم في ألعاب تختبر القدرة على الاحتمال، أو تتطلب الصمود القوي أمام الخصم.

تحدث "أحمد" مع زوجته "أم موسى" بخصوص ملاحظاته على ابنه، فعرف من خلال حوارها معها، أنها لا حظت هذه الظاهرة في أشياء عابرة لم تسترِع انتباهها طويلاً، مثل إغلاقه لأشياء يعز عليها فتحها، أو فتحه لأشياء مغلقة إغلاقاً محكماً تعجز هي عن فتحها.

مرت هذه المواقف على "أم موسى" مروراً طبيعياً إلى أن راعها مجيء ولدها فرحاً يخبرها بأنه نجح في تحديه طفلاً بشي عملة معدنية من فئة الجنيه المصري مستخدماً يديه مجردةً من دون الاستعانة بأي آلة كمطرقة ونحوها!

هنا استشعر الوالدان أن ابنهما على خطر كبير، فهذه القوة الخارقة لا بد لها من إرشاد وتوجيه، وتحذير وتنبيه، واستعمال في وجوه الخير، والانزواء بها عن مراتع الشر، ومباوىء السوء.

فكر الأبوان ملياً في تنمية هذه القوة في مجال الرياضة، لكنهما خشيا مغبة الرياضات التي تقوم على الاشتباك، كما أنهما توجسا خيفة من اشتهار أمر ابنهما بالقوة الخارقة؛ ففضلاً أن يتابعا "موسى" بالتوجيه اليومي، وإخفاء هذه القوة عن الآخرين ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً.

تعاهد الأبوان ولدهما بالتربية الإيمانية ربما أكثر من باقي إخوته، حتى امتلأ قلب الفتى "موسى"، الذي ما لبث أن صار شاباً، بنور الإيمان وسكينة الإسلام، وبشاشة السماح والحلم والسلام.

وكان مما أودع الأبوان عقل "موسى" وفؤاده، أن عليه أن يتذكر دوماً قدرة الله وعظمته، وأنه - سبحانه - منحه هذه القوة اختباراً له، وعليه كيما ينجح في هذا الاختبار أن يستخدم قوته فقط في الدفاع عن الضعفاء والمظلومين.

وعلى "موسى" ألا يستغل قوته في حظ نفسه أبداً؛ فإن سابه أحد أو عاركه فليقل:
 "سامحك الله!" ثم ينصرف من مسرح الأحداث مباشرة.

سار "موسى" على المنهج الذي أرساه والداه، فكان حين يرى مظلوماً أو ضعيفاً مجاراً عليه، يتدخل من فوره ذاباً عنهما بالحسنى والمعروف، فإذا أصر الظالمون على التماذي في الطغيان بالسب والضرب، أو السلب والنهب..

هنا كان يرفع "موسى" الظالم بذراعيه المفتولتين ثم يدور به دورات كثيرة سريعة جداً، وحين يتأكد لموسى أن الظالم قد داخ تماماً واستكان كان يُنزله بلطف ليسلمه إلى الأرض لأنه لو تركه واقفاً لخر متخبطاً منكباً على وجهه ثم يتركه "موسى" ويختفي فوراً.

وذات مرة رأى "موسى" رجلاً ضعيفاً يسب آخرَ قوياً ولم يكن الأخير مخطئاً، وكان يبدو على المشتوم ملامح القوة، فسأله "موسى" لم لا تدافع عن نفسك وخصمك - كما يبدو - أقل منك قوة وأشد ضعفاً؟!

فقال له الرجل: لا يغرنك جسمي وما يلوح عليه من أمارات القوة، إني أخشى إن رددت عليه أن يؤدي ذلك إلى التشاجر بيننا بالأيدي، وإني أعاني من "خلع الأكتاف" الذي يحدث معي عند أقل اشتباك؛ لذا لا يمكنني التشاجر مع أحدٍ أبداً، فإن سبني أحدهم أو عاركني لم يكن بمقدوري إلا أن أقول له: "سامحك الله!"

عندها أدرك "موسى" الفرق بين قول: "سامحك الله" عن قوة ومنعة، وعزة وغلبة، وبين قولها عن خور وجزع، وعجز وفرق، فانطلق لسانه بكلمات نضحت من قلبه المفعم بالإيمان كان من بينها قوله تعالى:

{رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩].

نور السلم

في بيت من بيوت مصر الشعبية، كان يعيش جاران في شقتين متقابلتين، على اليمين من السلم يسكن "سعيد" الموظف المتقاعد بالمعاش، وعلى يسار السلم كان يقطن "سيد" الموظف بمرفق المياه.

"سعيد" لأولاده:

سلم بيتنا لا تصل إليه أشعة الشمس إلا وقت الظهيرة؛ فأرجو أن تتركوا مصباحه مضاءً دائماً في غير هذا الوقت، فهناك أطفال وصغار وكبار يصعدون وينزلون والإضاءة مهمة لعدم حدوث انزلاقات ونحوها.

"سيد" لأولاده:

من الإسراف أن تتركوا نور السلم منيراً، أشعلوه فقط وقت النزول والصعود؛ فإن كان جارنا مضيئاً لمصباحه، فلا تنيروا مصباحنا إنكم إذن لمسرفون.

"سعيد" لأولاده:

حين آتيكم بحلوى أو فاكهة أو تطهون طعاماً كثيراً، تعاهدوا جارنا بالإهداء؛ فإن هذه الأشياء إذا كثرت مللناها، وكان مآلها للفساد وصناديق القمامة.

"سيد" لأولاده:

أحذركم أن تبددوا شيئاً من طعام أو شراب، واحتفظوا بكل فائض في الشلجة، أما كِسْرَات الخبز فاجمعوها لبيعها؛ فإن سألكم أي جارٍ لنا عن كِسْرَات خبز قديم لطيوورهم، فقولوا: إنه لا فائض عندنا وإنما نشترى على قدر حاجتنا.

"سعيد" لأولاده:

الآن.. اجهزوا لنسافر مدة أسبوعين إلى قريتنا ومسقط رأسي، نريح أعصابنا، ونصل أرحامنا، ونود أقاربنا، ونزور موتانا، عسى أن تكون إجازة نصف عام سعيدة إن شاء الله.

"سيد" لأولاده:

قد سافر جارنا الحاج "سعيد" وترك مصباح السُّلم مضاءً، فإياكم أن تشعلوا مصباحنا إلى أن يعود من سفره بالسلامة إن شاء الله.

وبعد مرور عشرة أيام من سفر الحاج "سعيد".. ينطفئ نور مصباحه لانتهاه عمره الافتراضي. يخرج "سيد" إلى عمله مبكراً كالمعتاد، ثم يفاجأ بظلمة السُّلم، فكر "سيد" أن يدخل إلى شقته ثانية لإشعال المصباح، ثم خشي أن يستمر المصباح مضاءً فترة بقاءه في العمل.

أخيراً قرر "سيد" أن يجتزئ بضوء الموبايل في نزوله للعمل، وما هي إلا درجات ثلاث،
وإذا بـ"سيد" ينزلق على درجات السلم صارخاً: قدمي.. قدمي.. كُسر الهاتف.. أشعلوا

نور السلم!

جحا الشثار

"جحا" شيخ ستيني لم يعد يعبأ بشهوة نحو النساء، ولا تغريه داعية طعام أو شراب، لكن فنته كانت في حب الحديث، وعشق الكلام، وإدمان الفضول، والغرام بالاستطراد.

و"جحا" في سبيله للحصول على طرف الحديث والحق في الكلام تراه حريصاً ضعيفاً.. شغوفاً ولوعاً.

اعتاد "جحا" أن ينام مبكراً كل ليلة، فهو من قرية كان نهارها معاشاً وليلها لباساً، يستيقظ غالباً قبيل الفجر، يتوضأ ويصلي صلاة من قد يخشى فوات قطار، لا يقرأ فيها إلا من السور القصار.

صلاة "جحا" تشبه كثيراً نقر ديك، أو عبث غراب، وبمجرد أن ينفلت من صلاته بالتسليم، تراه يبدأ في ممارسة هواية الكلام الأثيرة لديه والمحبة إليه. بعد نهوض "جحا" وسريع وضوئه وصلاته..

جحا: قومي يا امرأة.. كفاك نوماً دعي عنك الكسل والرُقَاد.

زوجته: يا فتاح يا عليم.. يا رزاق يا كريم، يا ستيراً للعباد.

جحا: هو الكريم حقاً، عمّت آلاؤه وخيراته جميع البلاد.

زوجته: إما أن تنام صامتاً يا رجل أو تخرج الآن من الدار.

جحا: لن أمضي زوجتي، حتى تضربي رأسك بالجدار.

يحب "جحا" أن يتسوق لا للبيع والشراء، ولكن للحديث قبلهما وخلالهما وبعدهما.

فما لهذه الفاكهة غير يانعة، وهذه الخضروات غير طازجة، وما لهذه البقول صغيرة،

وهذه الحبوب غير كبيرة، والطماطم ليست حمراء، والكوسة تبدو غير خضراء..

عند القصاب..

جحا: أريد لحماً سهل الطهي، ثقيل الدسم، رخيص الثمن.

الجزار: أبغي زبونا خفيف الظل، ثقيل الجيب، قليل الكلم.

جحا: خفة الروح ممدوحة، موهوبة ممنوحة، والجيب الثقيل بالمال عيب لدى عظم

الرجال، وندرة الكلام إفلاس وجهل.. حصر وعي.

وعند الخباز..

جحا: خبز أمس كان عجيباً.. لا ناضجاً ولا خميراً.

الخباز: معذرة، قد خرج خبزنا اليوم ساخناً كبيراً.

جحا: وما أصابه أمس لتبعوه بارداً مسلوقاً غريباً؟

الخباز: غاب عنا العجّان فكان يوم أمس عجيباً.

ومع السماك..

جحّا: لا، بل أبغي هذا القرموط الحي السمين.

السماك: لكن هذا القرموط أكثر زنةً مما تريد.

جحّا: زنه يا رجل ولا تكثر الكلام وتبدئ وتُعيد.

السماك: ها هو لقد وَزَنَ سبعة كيلو جرامات.

جحّا: كم المطلوب فيه من دوانق ودريهمات؟

السماك: عشرون درهماً من جيّد المسكوكات.

حمل "جحّا" ما تسوّقه من مشتريات في حقييته بشق النفس، وشرع يسير في طريقه

إلى البيت، وفي الطريق وجد على التُّرعة جمعاً من الناس يقول بعضهم: غريق.. غريق!

جحّا: ترى من الرجل يكون.. ومن أي البلاد؟

رجل: يبدو أنه غريبٌ لا يعرفه أحد من العباد.

جحّا: من قتله وكيف مات.. ولماذا العرق؟

رجل: يا جُحّا، انتبه لمتاعك من السَّرَق؟

احتمل "جحا" ما ابتاعه من السوق، وأكمل طريقه إلى البيت، وفي الطريق وجد

جماعة من الناس يستغيثون ويقولون: حريق.. حريق!

جحا: حريق! أفسحوا.. أوسع لي يا رجل الطريق!

رجل: تفضل واحذر.. هناك دُخانٌ كثيفٌ.. لهبٌ وجحيم.

جحا: لا تخشَ عليَّ لفتحِ نارٍ أو دخانٍ لهبٍ وحرِّق.

رجل: تبدو ماهراً بالإطفاء فلا قلقٌ بوجهك ولا فرق.

جحا: قلت أفسح لي، ودعك من فضولٍ ولغَطٍ ونزق.

أطفأ القوم النيران بعد نحو ساعة، والتفت "جحا" إلى متاعه فلم يجده، بحث عنه

كثيراً فلم يعثر عليه، عاد خائباً حزيناً يجر أذيال الخيبة إلى بيته.

وفي البيت..

جحا: مساء الخيرات أيتها الزوجة الحبيبة.

زوجته: آه، لا يحسن قولك إلا بفعل مصيبة.

جحا: ليس هناك شيء غير ضياع الحقيبة.

زوجته: واللحم والخُصْر والفواكه وخزين البيت؟

جحا: نتخفف اليوم من لحمٍ وبيضٍ وسمكٍ وزيت.

زوجته: اغْرُبْ عن وجهي يا لُكَّع يا غُرَابَ البَيْنِ.

جحا: وَمَنْ أَنَا جِي بَلِيلٍ يا مهجتي ونورَ العَيْنِ؟

ماسح الأحذية

نشأ "رجب" يتيم الأبوين في كفالة بعض أقاربه الفقراء، الذين سرعان ما دفعوا به إلى أبواب المساجد، وساحات الأسواق، ودهاليز الأزقة والحارات للاستجداء والشحاذة، ولم يكن لـ "رجب" أثارة من تعليم، ولا حظ من حرفةٍ أو مهنةٍ أو عمل.

كان "رجب" يتمنى أن يختلف إلى الكُتَّاب ثم إلى المدرسة كباقي أقرانه، ثم حين استحالت هذه الأمنية رجا من الله أن يتوب عليه من التسول ظاهره وباطنه.

فكَّر "رجب" أن يخبئ قدرًا من المال الذي يتحصَّل عليه كل يوم من الشحاذة عن أعين أقاربه الذين يُؤونه؛ حتى يتمكن من مغادرة القرية إلى المدينة ليلتمس رزقاً بعمل اليد لا بمدّها، وبعرق الجبين لا بخجله ونداه!

استطاع "رجب" أن يغادر القرية إلى المدينة، ثم سافر فيما بعد إلى القاهرة التي ابتلعتة في أحد أحيائها، ثم فكَّر "رجب" كثيراً في تأمين مكان يأويه قبل أن ينفد ما معه من مال، فاكترى حُجرة متواضعة بحمَّام فوق سطح أحد المنازل المتواضعة.

خرج "رجب" مبكراً يلتمس عملاً، فعمل مرات في مجال التشييد والتعمير والإنشاءات، ثم لم يلبث أن ترك هذا المجال لطبيعته العنيفة، وسوء الوسط الذي

يحيط به؛ إذ كان "رجب" يميل إلى التدين الفطري والسلوك القويم، توثقه ممارسة التدخين، ومعاقرة الخمر، واقتراف المخدرات، والحديث عن المغامرات مع النساء. كان "رجب" يفكر في عمل خاص به لا يشركه أو يخالطه فيه أحد، فلا يرتبط فيه بحضور وانصراف ولا بصحبة زملاء العمل، فقرر أن يصنع صندوقاً خشبياً يصلح لمسح الأحذية، ثم نحت فيه أماكن لزجاجات الصبغات المختلفة الألوان، ودسّ في أحشائه عُلب الورنيش، وبعض قطع القماش والإسفننج، وأودعه فُرشتين وقطعتين من الصوف خصصهما لبريق المسحة الأخيرة للأحذية.

اختار "رجب" أن يكون عمله بجوار المساجد، فبقربها يمكنه أن يتنظف ويتوضأ لكل صلاة، كما يمكنه أن يخرج بصندوقه بعد كل صلاة لمن أراد أن ينظف حذاءه ويلمعه من المصلين المنصرفين، فإذا قُضيت الصلاة وانتشر المصلون ذهب إلى ساحة سوق أو ميدان رئيسٍ يكون بالقرب من مسجد أو جامع كبير ليوصل ممارسة عمله.

اعتاد "رجب" أن يحمل معه حقيبة بلاستيكية يضع فيها جلباباً نظيفاً يُصلي فيه، مع كيس من مسحوق غسيل، يغسل به يديه جيداً من ألوان الصبغات، ثم يتوضأ ويصلي في ثوبه الذي أعده لهذه المهمة.

"رجب" أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه لارتياحه المساجد تعلم من استماعه للخطب والدروس معلومات دينية قليلة، تمسك بها وحافظ عليها، وكان من ذلك ما علق بذهنه

من كامل سورة الفاتحة وما تيسر من آيات الذكر الحكيم التي يُكثر الأئمة والشيوخ من تلاوتها، وبعض أذكار الصباح والمساء.

في الصباح..

زَبُون: صباح الخير يا "رجب" .. أريدها لامعة كالذَّهَب.

رجب: لا تقلق، ستري بريق نعليك كجمرةٍ من لَهَب.

زَبُون: مساء الخير "رجب"، أسرع فقد أصابني بلل ومطر.

رجب: لا بد إذن من غَسَلٍ ومسح ودهان.. فبعض الصبر.

زَبُون: أدركني، انحلَّ الخيطُ وفتق الجلد، وقُطع الرِّبَاط.

رجب: هذا الرِّبَاط، ولصقٌ ورتقٌ لفتق الخيط والجلد.

زَبُون: "رجب"، انظر.. هذا جرح بإصبعي من حذائي بالأمام.

رجب: لا بأس عليك، هذا فرَشٌ يريح الأصابع جداً والأقدام.

زَبُون: هذا الحذاء ضيقٌ على قدمي جافّ جلده وشديد.

رجب: حالاً سأشد الحذاء بقالبٍ ليطرى الجلد ويلين.

زَبُون: أسرع "رجب"، فقد تأخرتُ كثيراً اليوم.

رجب: استيقظ مبكراً وقلَّ قليلاً من النوم.

تزوج "رجب" ولم يُنجب، وعاش حياة خشنة بيدَ أنها هنيئة مع زوجته، في شقة من غرفتين بالدور الأول حتى صار شيخاً ستينياً، كان يستيقظ وزوجه قبيل الفجر، يتوضآن ويصليان، ثم يودعها ليدرك صلاة الفجر جماعة بالمسجد.

من المسجد كانت انطلاقة عمل "رجب" طوال النهار، ثم عقب صلاة العشاء كان ينقلب "رجب" إلى البيت، وفي طريقه إلى البيت كان يشتري ما يحتاج إليه من أدوات العمل ومتاع البيت لصباح اليوم الجديد.

وفي البيت..

رجب: السلام عليكم شقيقة روعي والنفس.

زوجته: وعليك السلام سلمت من كل بأس.

رجب: ما لكِ زوجتي هل كنت في أمرٍ ما تفكرين؟

زوجته: نعم.. كنت أحلم بـ "كُشك" يضمك من قارة الطريق.

رجب: الكشك محدود، وأنا كالطيور لا أحب القيد والضيق.

زوجته: "كشك" تأوي إليه من لافح حرِّ وصيف وقارسٍ شتاءٍ وبرد.

رجب: "كشك" أخشى عليه من حرقٍ وسرقٍ وسطوٍ ونهبٍ وسلبٍ؟

زوجته: "كشك" يظلك ويأويك ومن كل سوء بين أركانه يحميك.

رجب: أخشى من فتنة بيعٍ وشراءٍ وشغلٍ عن إجابة نداء السماء.

زوجته: يا رجل احلم معي وهل الأحلام إلا أمني عراض وآمال؟

رجب: نعم هيا نحلم معاً.. لكن عظمي حلمك ومجدي فيه الأمل.

زوجته: وبأي شيء نحلم وأنت تعلم الحال والمعاش والسند؟!

رجب: نحلم بحجٍّ وعمرةٍ وطوافٍ وسعيٍ وماء زمزم والرمل.

وزيارة محمدٍ وبكرٍ وعمرٍ وحمزة الأسد وجميع شهداء أحد.

فكم أتوق لمسح نعلٍ نبينا ولثم يديه والقدمين والجسد!

بائع الأسماك

تعلم "محمود"، صياد السمك وبائعه، من طبيعة مهنته أن يربط أحداث حياته الغيبية وصفقاته المستقبلية بجملة "إن شاء الله".

فمن يريد نوعاً معيناً من السمك ويطلبه من "محمود" سلفاً يقول له: إن شاء الله، ومن يسأله: هل ستكون موجوداً غداً بالسوق؟ يسارع "محمود" بقول: إن شاء الله.

"محمود" صياد قانع راضٍ لا يستبطن رزقاً، ولا يستعجل فرجاً، ولا يدعو إلا مضطراً، وتراه في ذلك كله حريصاً دقيقاً جداً، فلا يأخذ عربوناً من أحد، ولا يقبل مالاً مقدماً، يحرص دوماً على أن يكون بيعه وشراؤه يداً بيدٍ في وقت البيع والشراء.

في الصباح..

بعد صيد وفير، عاد "محمود" إلى السوق جذلاًن يعرض في رضا ما رزقه الله به، فهذه أسماك من نوع البلطي، وتلك قراميط، وأخرى شيلان، وأخيرة أسماك صغيرة متباينة الأنواع. وقف "محمود" بابتسامة التاجر الصدوق يستقبل الزبائن بعد أن أحسن عرض بضاعته من الأسماك، وقد وفر لها أماناً وحماية من أشعة الشمس، وبيئة من الماء والثلج تحفظ للأسماك حياتها وسلامتها.

رجل: أريد هذا القرموط الحي، زنه لي، لكن دعه في الماء حياً حتى أعود إليك بعد تسوقي وتجوالي.

محمود: سيدي، تسوق ثم تعال، فإن وجدت القرموط وزنته لك، أو أزنه لك الآن وتأخذه معك.

رجل: وما يمنعك أن تزنه وأحاسبك عليه ثم أمضي لحاجتي وأعود إليك؟

محمود: يمنعني أن القرموط قد يموت وأنت تريده حياً، وأنه قد ينقص وزنه خلال غيابك؛ لأن السمك لا يأكل بعد اصطياده.

رجل: هذا حسن، سأعود إليك بعد تسوقي، فلا تبع القرموط وأبقه لي.

محمود: تعود بسلامة الله، هذه أرزاق تُساق إلى أصحابها، فعسى أن تكون من أهلها. وبعد انصراف الرجل..

امرأة: صباح الخير يا عم "محمود"، نهارك فُل.

محمود: صباح النور.. طلباتك يا ست الكل.

امرأة: زن لي هذا القرموط الكبير، وأسرع فإني قادمة من سفر وفي عجلة من أمري.

محمود: حالاً، يا سيدتي.

امرأة: هل القرموط حي؟ زوجي يهوى أكل القراميط الحية العابثة.

محمود: سيظل معك حياً، إن شاء الله، حتى تصلي بسلامة وأمان.

وبعد عودة الرجل من تسوقه وتجواله..

الرجل: سلام الله عليك يا عم "محمود"، هيا زن لي القرموط.

محمود: عذراً سيدي، ليس من نصيبك قد بعته منذ قليل.

الرجل: كيف وقد طلبت إليك إبقاء القرموط حياً حتى أعود؟

محمود: الحياة بيد الله وحده، والشراء كالطعام رزق وقضاء.

الرجل: أنا في البيت بمفردي ولا أحسن غير شواء القراميط.

محمود: إن أردت هناك أسماك أخرى، وقراميط نافقة، لا حراك بها ولا حياة.

الرجل: لا، وشكر الله لكم، فهي الأرزاق كما قلت، الحمد لله على كل حال.

محمود: عذراً، فهذه طريقتي في البيع والشراء، حظاً طيباً غداً إن شاء الله.

وبعد انصراف الرجل ووصوله إلى البيت..

الرجل: ما لهذا المفتاح لا يعمل.. لقد أغلقت به الباب منذ ساعتين أو ثلاث؟

وبعد محاولات عديدة لفتح الباب من دون جدوى، يدفع الرجل باب البيت ويطرق

عليه محدثاً جلبة، فإذا به يجد زوجته تفتح الباب الذي أغلقته وقد سمعت صوتته من

الداخل، وذلك بعد أن عادت من سفرها لزيارة أمها.

استقبلت المرأة زوجها بابتسامة في رقة الفراش، وعذوبة السحر، ووداعة القمر، ثم
أخبرته بأن "أكلة القراميط" التي يشتهيها ستكون بعد قليل جاهزة بين يديه!

وسوسة

"سامي" شاب ثلاثيني، يعاني كثيراً من ترددٍ وشكوكٍ، وهو جَسَّ ونسيانٍ في جنبات حياته كلها، تردده يقعد به عن الانطلاق، ونسيانه يحوطه بغفلة وعدم تركيز، وشكوكه تدفعه لعمل الشيء الواحد ربما مرتين أو ثلاث مرات.

و"سامي" مع هذا كله لا يدري هل ما يعتريه هو من قبيل النسيان الزائد، أو عدم التركيز العارض، أم أنه الوسواس القهري؟

حين يهيم "سامي" بالخروج من بيته يتحسس حافظة نقوده وجراب نظارته، ويتلمس هاتفه وهويته أكثر من مرة، وحين يدفع أجرة ركوبه إلى عمله يتأكد كثيراً من أنه قد دفع الأجرة.. ثم يتأكد ثانية من أنه أخذ الباقي.

وعندما يسأل مُحصِّل المركبة أو سائق الحافلة فُجَاءَةً عن الذين لم يدفعوا الأجرة يبادر "سامي" باتهام نفسه بعدم الدفع، إلا إن تذكر قرينة قاطعة تصرفه عن ذلك في آخر لحظة قبل أن يدفع الأجرة مرتين.

ضاق "سامي" ذرعاً بمشكلة نسيانه وتشككه؛ فاعتزم زيارة طبيب نفسي ليساعده في اكتشاف علته، وعلاج دائه ومرضه، وحل عقده ومشكلته.

عند الطبيب..

الطبيب: مرحباً بكم.. تفضل بالجلوس يا أستاذ.

سامي: شكراً لكم.. اسمي سامي، ومشكلتي شكوكي ونسياني، وترددي في أمور حياتي وارتياحي.

الطبيب: حسن.. منذ متى بدأت أعراض المشكلة معك يا سامي؟

سامي: شكوك منذ المراهقة رابتي في أفعالي، وتحيرت معها في بعض تصرفاتي وسلوكياتي بين الوقوع وعدم الحدوث.

الطبيب: تعني أنك تستريب هل فعلت كذا أم لم تفعل؟

سامي: نعم.. هذه باختصار هي مشكلتي، فكم مرة أغلق باب شقتي، ثم أعود من طريقي للعمل؛ لأتأكد هل حقاً أغلقت الباب أو نسييت.

الطبيب: احك لي شيئاً عن تاريخك المرضي وتاريخ أسرتك فيما يتعلق بهذه المشكلة.

سامي: لا أذكر أن أحداً من أفراد أسرتي كان مصاباً بعلي، أو يشكو من دائي، ولا يكاد يعلق بذهني شيء ذو بال يتعلق بجذور مشكلتي في طفولتي.

الطبيب: هل أنت من المدخنين.. هل تتعاطى شيئاً من المخدرات، أو محظور المشروبات.. وكم مرة تشرب في اليوم شايًا وقهوة ونحوهما؟

سامي: لست من المدخنين، فضلاً عن شرب محظورٍ أو ممنوع، وأشرب الشاي والقهوة كما يشربها الكثير من الناس من دون إفراط ولا إسراف.

الطبيب: حسنٌ.. الآن هذه روشة العلاج المبدئي: حبوب مهدئة عند الاستيقاظ وقبل النوم، وأخرى أول الأكل، وثالثة خلال الطعام، ورابعة بعد الطعام يوماً بعد يوم.

سامي: كل هذا يا دكتور؟!

الطبيب: نعم، هذا مبدئياً، حتى تأتيني عند الاستشارة بنتائج هذه التحليلات، والأشعة، والفحوصات.

خرج "سامي" من عند الطبيب وقد أحس بشيئين مختلفين، أحس براحة قليلة لأنه ألقى من يستمع لشكواه باهتمام، ثم أحس بسطوة المرض تحاصره بالتحليلات، وتجههه بالأشعة، وتلاحقه بصنوف الأدوية والحقن والمشروبات.

وفي طريق "سامي" إلى البيت أذن بصلاة العشاء، أحس "سامي" أنه بحاجة إلى صلاةٍ ودعاء، وضراعةٍ وبكاء.

دخل "سامي" المسجد فتوضأ ثم صلى مع الجماعة، وبعد انتهاء الصلاة وجد حلقة قرآن في زاوية من المسجد، تردد بدايةً في الانضمام إلى رحابها، إلا أن ابتسامه كانت تثير وجه شيخ المقرأة اجتذبتته، وقرأ "سامي" في عيني الشيخ دعوته الودودة لمأدبة القرآن.

وبعد المقرأة في جلسة انفرادية..

الشيخ: ما لك تتردد عند التلاوة يا أستاذ سامي؟

سامي: سيدي الشيخ، أنا من الوسوسة أعاني.

الشيخ: الوسوسة وشوشة نفسٍ وتلاعبُ شيطان.

سامي: وماذا أفعل.. قد تعبتُ كثيراً من شرودٍ وغفلةٍ ونسيان؟

الشيخ: لا بأس عليك.. كن على وضوءٍ من الآن، وحين تنسى شيئاً بفعلِ نفسٍ أو جان عليك بمعاودة عملك لكن مع ذكرٍ للرحمن.

سامي: هل أعيد عملي الذي أتشكك فيه أو حوله أرتاب؟

الشيخ: نعم.. لكن اصحبه دوماً باستغفارٍ وتسبيحٍ ومتاب.

سامي: ثم ماذا بعدُ يا شيخ؟

الشيخ: سينزوي عنك الشك وتزول الوسوسة لكن بعد مرات ومرات.

سامي: وما السببُ وما الضمان؟

الشيخ: يا بُني، لن يدعك الشيطان لتنعّم بذكر الرحمن، وستشفى من وشوشةٍ ووسوسةٍ، وحيرةٍ وتوهان.

يا "سامي" يُروى أن رجلاً كان على سفرٍ، فأراد أن يخبئ قدرًا كبيراً من المال، فذهب إلى مكان ناءٍ عن أعين الناس، ودسّ ماله في جوف الأرض، وحدد المكان برمز وعلامة.

سافر الرجل ثم عاد فإذا به ينسى المكان بعد أن غيرت الريح بعضاً من المعالم التي حددها، فذهب إلى الإمام أبي حنيفة، فقص عليه خبره، فقال له الإمام: هذه ليست مسألة فقهية فأفتيك فيها، لكنني سأحتال لك.

أذهب الليلة يا رجل فإذا صليت العشاء وانقلبت إلى بيتك لا تنم، واعتزم أن تقوم هذه الليلة بين يدي الله، ثم وافني في صلاة الفجر وأخبرني بما يحدث لك.

ذهب الرجل، وبعد ركعتين أو ثلاث من صلاته، وخلوته بربه، وسوس له الشيطان ليفسد عليه صلاته، ويقطع مناجاته واتصاله، قائلاً: مالك الذي خبأته على بُعد كذا من شجرة كذا، بجوار الحَجَر الذي حددت وعلمت قبل رحيلك وسفرك.

انفلت الرجل من صلاته، وأسرع فرحاً إلى المكان الذي دلّه الشيطان عليه، واستخرج ماله بالتمام، ثم ذهب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، فقص عليه ما جرى وكان.

فقال الإمام أبو حنيفة: كنت أعلم أن الشيطان لن يدعك تنعم بأنس ربك، فهلاً قمت الليلة شكراً لله على عودة المال.

يا سامي، إني أراك بخير، فقط أنت بحاجة إلى كثيرٍ ذكّر، وطمأنينة قلبٍ، ألم نقرأ معاً منذ قليل: {وَأذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} [الكهف، الآية: ٤٢]، وتلونا قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد، الآية: ٨٢].

الشاعر والدجاجة

أبنائي وبناتي.. الشاعر إنسان مرهف الحس، جياش العاطفة، مفعم المشاعر، تؤثر فيه
المواقف الإنسانية تأثيراً بالغاً.

ينفعل الشاعر لبكاء طفلٍ أو لبسمته، لتعثر كفيف وكبوته، لأرق أم وقلقها، لحنو أب
أو توجسه، بل ربما أثر في الشاعر سطوع شمس، أو نور قمر، تلاطم أمواج بحر، أو
حفيف أوراق شجر، أو شذا وردٍ أو عبير زهر، أو نسيم تَضَوِّع بسَحَر، وربما أهاج
الشاعر نحتُ فنانٍ لصخرٍ أو حَجَر!

والدجاجة - يا صغاري - تشبه الشاعر والأم، فلها عاطفة الأمومة التي تضاهي انفعال
الشاعرية، ولها حنو الأم على بيضها، رقوداً واحتضاناً، دفناً ودفاعاً، حَدَباً وحناناً، ثم
هي بعد فقس البيض تراها واعية ومعلمة، راعية ومؤدبة لصغارها.

الدجاجة تَأْكُل ألواناً من رزق الله، فتلتقط الحبوب بأنواعها اليابس منها، أو الغض
الخَضِر، ثم تحسو حسوات ماء رافعة رأسها عقب كل رشفة إلى السماء كأنها تشكر
خالقها، وتحمد رازقها، ومطعمها وساقها!

ثم بعد سعي الدجاجة والتماسها الرزق في جنبات الحظيرة، وربما خارجها، إذا بها تُحيل ما أَكَلَتْ وطَعِمَتْ وشَرِبَتْ إلى نتاج من البيض، تجود به يوماً بعد يوم، وربما منحه بعض الدجاج كل يوم في سخاءٍ وجودٍ وكرم.

والدجاجة بوضعها البيض تعلن أنها لا تأخذ وتأكل وتشرب فقط، بل هي تعيش معاناة من السعي والعمل حتى تأتي لحظات الإنتاج والعطاء فتتخير مكاناً آمناً لا يضل فيه البيض ولا ينصدع.

وذلك بعد أن تعيش الدجاجة لحظاتٍ من الحيرة والتفكير والأرق، فيما يشبه المعاناة الشعرية، حتى تهتدي إلى ذلك المكان الذي يصون البيض ولا يهدره، لتدخل فيما يشبه مخاض الأم حين الولادة؛ فإذا هي باضتْ سَعِدَتْ واستراحتْ، وربما هَلَلَتْ وصاحتْ؛ لتعلن ميلاد بيضة جديدة في سعادة من العطاء المتنامي والمتجدد.

أما الشاعر يا صغاري، فأدواته وسعيه إنما هو علمه وثقافته، قراءته ورصده، ومن قبل موهبته ومَلَكْتُهُ، وقدرته وصياغته، دقة تصويره، وحسن بيانه وفصاحته، روعة تشبيهه ورونق صورته وأخيلته، وحلو موسيقاه وعدوبة قيثارته.

وكذلك حال الأديب الذي تتحرك فيه إنسانيته وأدبه وشاعريته في تجربة ومعاناة شعرية أو أدبية تشبه معاناة الدجاجة قُبيل منحها البيض.

وفرحة الأديب بعد قرض قصيدته إن كان شاعراً، أو نشر قصته إن كان كاتباً، أو تحرير مقاله إن كان فيلسوفاً أو مفكراً، فرحته بعد ذلك كله تشبه فرحة الدجاجة بإهداء بيضتها عقب معاناتها.

بيد أن عطاء الدجاجة إن كان مادياً فطرياً محدوداً؛ فإن قصيدة الشاعر، أو قصة الناثر، أو مقال الكاتب، أو مسرحية ورواية القاص، إنما هو عطاء معنوي خالد، ممتد غير متناهٍ، يُنير ظلمات العقول، ويبدد غيوم القلوب، ويُمتع الأفئدة، ويشرح الصدور

دواء أمي

في أيام شكا فيها الغني وأنَّ فيها الفقير من غلاء الأسعار، وتفشي البطالة، وانتفاش الأمن السياسي، وتلاشي الأمن الاجتماعي.. انطلق "يسري" مهرولاً من العناية المركزة بـ "مستشفى الشفاء" ليحضر دواءً مصيرياً لأمه المريضة.

لم يكن مع "يسري" مال كافٍ لشراء الدواء النادر الوجود الباهظ الثمن، توجه "يسري" إلى البيت أخذ كل ما فيه من نقود، ثم أسرع الخُطى قاصداً كبرى الصيدليات.

بعد لأي وجد "يسري" الدواء اشتراه فوضعه في حقيبته وانصرف مسرعاً إلى المشفى، وفي سبيله إلى المستشفى كان الطريق غاصاً بالمركبات، يكاد السائر سيراً وئيداً يسبق جحافل السيارات، وأرتال العربات، وجموع الحافلات.

أيقن "يسري" أن ركوبه "تاكسي" أو مركبة أو حافلة ضرب من إضاعة الوقت؛ قرر أن يطرق شوارع فرعية وطرقاً جانبية؛ ليستطيع أن يسرع الخطو ويطوي الأرض ليصل إلى أمه في أسرع وقت وأقرب زمن.

وفي منعطف شارع ضيق بين ممر عمارات استوقف "يسري" شاب سائل قائلاً:
سيدي، أُمي في المشفى أريد لها طعاماً ودواءً، قال له "يسري" دون أن يتوقف: يسّر
الله لك. فاتبعه السائل: أريد طعاماً ودواءً لأُمي المريضة.. سامحك الله!

أثرت جملة "سامحك الله" في "يسري" فتوقف وقال للسائل: لو كان معي فضل مالٍ
لأعطيتك.. قد أصابني ما أصابك، ثم واصل "يسري" السير مهرولاً يعوّض ما فاتته من
تأخير بسبب "الشحاذ".

وبعد خطواتٍ من انطلاق "يسري" تبعه "السائل" بهدوء وقد أخرج من جيبه "خنجرًا"
والتفت "السائل اللص" يميناً ويسرةً فوجد أن ممر العمارات قد خلا من السالكين،
فطعن المجرم "يسري" طعنة نجلاء؛ سقط "يسري" على إثرها يصارع حتفه، وقد
خطف "المجرم" الحقيبة التي كانت بحوزة "يسري" وانطلق هارباً من مسرح الجريمة.
وحين استشعر "المجرم" شيئاً من الأمن ولاح له بعض طمأنينة فتح حقيبة "يسري"
فإذا بها لا تحتوي إلا على طعام ودواء.

انتاب "المجرم" ندم، وتملكته حسرة، ووخزه أثارة من ضمير، هُرع "اللس" إلى
"يسري" فوجده يشحط في دمه بين الحياة والموت يتمتم بكلمات غير مفهومة ولا
مسموعة.

اقترب "اللس" من "يسري" ليطمئن على حياته قبل أن يُسغه، فسمعه يهمس: اتركني
لمصري وأسرع بحقية الدواء إلى أمي السيدة.. به "مشفى الشفاء"، القريب من
الميدان .

بائعة الخبز

كانت "أم هالة" تستيقظ قبيل الفجر، تتوضأ فيتوهج وجهها، وتتألق أساريرها، وتنشط جوارحها، تصلي رغيبتي الفجر وفريضة.

وحين تنتهي "أم هالة" من الصلاة كانت ترفع يديها الوضئتين ضارعةً إلى الله أن يحفظ لها ابنتها "هالة"، وأن يجعلها عوضاً لها عن أبيها الراحل.

بعدها تصلي "أم هالة" على النبي صلاة نابعة من الفؤاد، رقاقة على اللسان، ثم تنهض ناشطة تعجن دقيقها، وتُخمر عجيناها، ثم ما تلبث أن تقرصه (تقطعه) مجتهدةً متحريةً ألا تُخسر الميزان.

قضت "أم هالة" نحبها، فأوفت ولم تكسل أو تتوان، وورثتها ابنتها "هالة" فكانت نموذجاً في إخلاص التوجه، وحيوية القصد، وإدراك السحر والبكور، وأضحت "هالة" مثلاً في الصلاة القاننة وإن قصرت، ونموذج العمل الدؤوب الطويل وإن كان شاقاً.

دأبت "هالة" على أن تقوم قبل أن يسفر فجر اليوم الجديد، فتصنع صنيع أمها، من عجنٍ ولتٍ، وقَرْصٍ وقَطْعٍ، ثم تترك العجين، وتنتظر تخمُّره وعلوه، وترقب إناه ونضجه.

ثم مع إشراقة الصباح وصياح الديكة تبدأ "هالة" الخبز، ثم تعمد بعد ذلك لَقْدَرٍ من الخبز تجففه، ثم تحمل طاولة الخبز المُسَجَّى بقطعة كبيرة من القماش كانت دوماً في بياض اللبن وحنان القطن، تتعاهدها "هالة" بالغسل والتنظيف.

كانت طاولة الخبز تحفل دوماً بالخبز بنوعيه الغض الطري والمحمص الجاف، مع أكياس بلاستيكية بيضاء شفافة، ثم ترفع هالة الطاولة على رأسها فتذهب بها إلى محطة الركوب حيث أسراب الداهبين لأعمالهم والمنطلقين إلى مهامهم.

وفي المحطة كان يجول "حسن" بالسميط والقرص والبيض، حاملاً سَبْتاً ضخماً قد تَبَّت فيه عدة عَصِيّ ليضع دوائر "السميط" بها.

وقد غَلَفَ "حسن" السَّبْتَ بقطع من القماش قوية، وجعل فيه مكاناً آمناً للبيض المسلوق، وخصص بجواره حافظة تحتوي على قراطيسٍ جَدِّ صغيرة تحوي ذرات من الملح والشطة والكمون، وبجوارها حقائب بلاستيكية بيضاء لبيع السميّط والقرص.

أعجب "حسن" كثيراً بـ "هالة"، كان يراها مثلاً للجد وتحمل المسؤولية، كما جذبته إليها أنوثة آسرة لم تتوارَ مع سياطِ شمس الصيف الملتهبة، ولم تقلصها غيوم فصل الشتاء وبرودته القارسة.

وزاد من إعجاب "حسن" بـ "هالة" أن كانت لا تقبل مزاحاً من أحد، ولا ترحب بحوارٍ من دون داعٍ، فضلاً عن أن تسمح بنظرات إعجابٍ سخيّة، أو كلمات غزلٍ عابثة!

وفي الجهة المقابلة من موقع "هالة"، كان يقف "فتحي"، بائع الجبن والزبد واللبن، حين يفرغ من البيع لزبائنه كان يرمق هالة بنظرات الخاطب إن تفرس مخطوبته يُمني النفس ويُشهيها.

أعجب "فتحي" أيما إعجاب بـ"هالة"، ووجد فيها ضالته التي قد تخفف عنه متاعب تجارته، فبزواجه منها ستشاركه حياته فتريحه كثيراً من وقفته بساحة المحطة التي كثيراً ما ينفلت منها ليغشى المقهى ويجالس أصحابه ويدخن معهم النرجيلة، ثم مَنَى "فتحي" نفسه بأن تأتي "هالة" إليه بحصاد التجارة مع المساء زوجة تؤنسه وتبهجه وتهنئه!

بعد أن قبض "حسن" مبلغاً كبيراً إثر "جمعية" كان دوره فيه الأخير، وجد الشجاعة من نفسه في أن يتقدم لخطبة "هالة"، ناوياً أن يجعل عملها بعد الزواج مقصوراً على العجن والخبز في البيت، ثم ينهض هو وحده بعد ذلك بتبعات بيع الخبز وترويح القرص والبيض.

سبق "فتحي" غريمه "حسن" في التقدم لخطبة "هالة"، وحين فوجئت "هالة" بطلب "فتحي" قالت له في حياء: أمهلني أفكر، ثم أرد عليك.

وحين أوت "هالة" إلى فراشها مساءً، استبد بها تفكير طويل، وبدا لها في "فتحي" الرجل الذي سيُغنيها ويكفيها، وربما منعها مَشاقَّ العمل، وإرهاق العَجْنِ واللتِّ، وطول السَّهْرِ.

وفي الصباح، حين أقبل "حسن" على "هالة" يحييها تحية الصباح متعللاً بالسلام؛ ليحدثها في رغبته بالارتباط بها، استبقته "هالة" بعد أن ردت عليه تحية الصباح قائلةً:

هالة: ابن حلال، كنتُ أريد معرفة رأيك في "فتحي" فقد تقدم لخطبتي؟

حسن: فتحي؟

هالة: نعم.

حسن: متى وكيف؟

هالة: أمس فقط.

حسن: وما رأيك أنت؟

هالة: أنا أفكر مترددةً.

حسن: صلي ركعتين، ثم سلي الله أن يوجهك لما يحب ويرضى.

وفي المساء، وبعد أن انتهت هالة من أعمال البيت، صلّت العشاء، وأتبعها بركعتي الاستخارة، ثم اضّجعت في فراشها فرأت أمها في المنام، فقالت لها: أمي، أحتاج إليك.. قد تقدم إلي "فتحي"، أخبريني..

فإذا بأمها لا تكلم بل تُمسك قطعة زبد فتفتحها ثم تلقي بها، وتأخذ قرصة تشبه قرص "حسن" فتطعم قطعة منها وتُعطي باقي القرصة لابنتها هالة.

أفاقت "هالة" على هذه الرؤيا، ولم تفهم أسرارها، فذهبت مبكراً بعد أن انتهت من عجبتها، إلى جارة لها عجوز طيبة، فقصت عليها الرؤيا لتعبرها لها، فقالت لها العجوز: العجوز: ابنتي، حين تذهبين لبيع خبزك، اشترى قطعة زبد من "فتحي"، ولا تأكلها ولكن افتحها وتفحصها جيداً.

هالة: ثم.. ماذا؟

العجوز: إن وجدتها زبداً خالصاً تزوجي "فتحي"، وإذا ألفتها مغشوشةً فإرضيه.

بادرت هالة بشراء قطعة زبد، وحين فتحتها لاح لها شيء يشبه البطاطس المهروسة أو الدقيق المعجون، ثم نادى هالة على "حسن" وقصّت عليه خبرها، ثم قالت له ماذا أصنع؟

حسن: تفهّمي جيداً إشارة أملك وتأويل العجوز.

هالة (مبتسمة): لكن ماذا آكل إذا ألقى قطعة الزبد؟

حسن (متهلاً): هذه سألتي وكل متاعي.

مغامرات حنفي

في أيامٍ دفع فيها الغلاء بعض النساء إلى العمل بوظائف الرجال ومهامهم.. وَدَعَّ حنفي ” مَيِّعَة وخريف الصَّبَا، ودَلَّفَ إلى باكورة الشباب.

“حنفي” فتى يافع خفيف ظله، كثير كلمه، قليل جسمه، يعمل بشركة "مسافر الدولية"، إحدى كبريات شركات القطاع الخاص في الشرق الأوسط.

يأتي “حنفي” للعمل مبكراً قبل الموظفين، يقيمُ المكان، ويمسح الأرضية، تسمعه من بعيد تحسبه يتسخط أو يتبرم، فإذا ساقتك قدماك نحوه وجدته هزجاً طرباً بين ضحكٍ من نكتة يتذكرها، أو استدعاء لموقف طريف جابهه في ذهابه إلى العمل أو إيابه منه، أو ترجيع لأغنية استهوته.

عرف زملاء “حنفي” براءته وسذاجته فعزفوا على هذين الوترين، خالقين جواً من المرح ومناخاً من الفكاهة، وذلك باستفزاز “حنفي” تارة، وتخويفه أخرى، ولا سيما أن كان “حنفي” من النوع شديد الخوف، سريع التأثر، تلقائي السلوك والتصرف.

وكان زميل لـ “حنفي” يدعى "منعم" لديه مهارة تحوير الألفاظ والتلاعب بها في طرفة عابثة، غير مبتذلة ولا ماجنة، ومن ذلك هذا الحوار الذي دار بينهما:

“منعم”: تعرف يا واد يا “حنفي”، عندنا في الحتة نجار دائماً يأخذ معه في شغله قطة
وكلب!

“حنفي”: قطة وكلب بجد، يعني قطة بتنونو وكلب بيهوهو؟!

“منعم”: آه ياه.. كما أقول لك تماماً.. القطة حتى تُمسك له "الفارة!"

“حنفي”: طيب والكلب يا عم “منعم”؟

“منعم”: عشان يـ Dog بيه المسامير!!

كما كان لـ”كامل” زميلهما القدرة على أن يُنادي على أي شخص قريب بصوت
خفيض للغاية بعد أن يعطي للمنادى عليه ظهره أو يتشاغل بتحريك كرسي، فيوقن
المنادى عليه أن مصدر الصوت يأتي من بعيد.

وذات مرة نادى ”كامل” على ”حنفي” الذي أخذ يلتفت يميناً ويسراً فلم يجد أحداً.
فقال ”حنفي” في نفسه: ربما كان الصوت من المطبخ، أو النافذة، أو من الشارع،
فذهب حائراً لتتبع المنادي في كل هذه المناحي فلم يجد إلا وهماً وسراباً، على حين
كان ”كامل” يضحك من ”حنفي” ملء شذقيه!

وقبل الانصراف من العمل دار حديث بين ”حنفي” و”منعم” وزملائهما حول الجن
والعفاريت، وذكروا أن زميلهم ”حسين” الموظف بالأمن ظهر له قبيل الفجر عفريتان

خرجا من باب المصعد وهو مُغلق، لكن "حسين" أبدى التماسك وشرع يتلو آية الكرسي، متصنعاً أنه يعمرّ سلاحه إن أسفر العفريتان عن لصين خبيثين.

سمع "حنفي" هذه الحكايات وانصرف إلى بيته يفكر في حقيقتها، ولم يعرف النوم هذه الليلة لحنفي "حنفي" طريقاً.

ومع أذان الفجر نهض "حنفي" مبكراً ليدرك عمله، وكان قد حدث بعد انصراف "حنفي" أن فُكَّت مسامير قاعدة أحد الحمامات، فتحرّكت "القاعدة" من مكانها بشكل ملحوظ، وكان الوقت متأخراً فأرجأت إدارة الشركة إصلاح قاعدة الحمام لصباح اليوم التالي.

وصل "حنفي" إلى عمله فقام بالكنس والقم، ثم جاء دور الماء والمسح، وما إن فتح "حنفي" باب حمام القاعدة المتحركة حتى فزع وانطلق خائفاً يبحث عن أحد الزملاء ليُشهره على ما رأى من تحرك القاعدة، وقد تخيل "حنفي" قاعدة الحمام تركض خلفه من فرط رُعبه وتأثره بقصص العفاريت!

وذات يوم و"حنفي" في طريقه للعمل بدا له أن يشتري طعام الإفطار، وعند مروره لمنطقة "الضاهر"، وقف شارداً أمام عربة يشتري الفول وتوابعه، ثم أعطى النقود البائع قائلاً: تفضل يا معلم، فسمع صوتاً نسائياً يقول له: هذا هو الباقي.

أوسع "حنفي" حدقتي عينيه، لينظر إلى بائع الفول متفحصاً فإذا بالبائع فتاة ترتدي جلباباً طويلاً فوقه مريلة بيضاء وعلى رأسها قبعة رجالي، فقالت لـ "حنفي":

البائعة: ما لك.. ما يُوقفك هكذا بعد أخذك الفول وباقي الحساب؟

"حنفي" (مازحاً): أنتِ تشتغلي ايه؟

البائعة: فَوَّالة يا روح أمك!

ومع عودة "حنفي" من العمل إلى مشوار عنَّ له إلى المطرية، وكان "حنفي" في هذا اليوم متعباً قد ألمه ضرسه، وورم خده، وارتفعت حرارته، لكن لم يكن بدُّ من إنجاز هذا المشوار، فركب "حنفي" الميكروباص كالمخدر، واستقل آخر ركن في كنبه الميكروباص ودفع الأجرة ثم غطَّ في نوم عميق.

أفاق "حنفي" في نهاية الرحلة على جلبه أصوات الباعة في ميدان المطرية، وإذا بصوت نسائي يستنهضه للنزول، قام "حنفي" متثاقلاً من نومه، ولم ينتبه للصوت النسائي، ثم نزل من الميكروباص متثاقلاً.

فاستحته السائق مرة أخرى لسمع "حنفي" الصوت النسائي نفسه مرة أخرى؛ ما دعاه أن يفرك عينيه بيديه محملاً في قائد السيارة فإذا بها امرأة، فقال لها "حنفي" وهو يقلب كفيه:

“حنفي: أنت تشتغلي ايه؟

السائقة: سؤافة يا حيلة أمك!

أقوى من الحياة

يحيى شاب رياضي متفوق في لعبة الكاراتيه، يعشق هذه اللعبة منذ كان طفلاً، قد شغلته هذه الرياضة عن التميز العلمي والتفوق الدراسي؛ فلم يحصل يحيى إلا على تعليم فوق المتوسط.

وقبل يوم اجتياز يحيى للحزام الأعلى في لعبة الكاراتيه انفراداً به مدربه، وقال له:

المدرّب: غداً سيتم تتويجك بالحزام الأعلى للعبة الكاراتيه عقب حفل استعراضى، لكنى أطلب إليك أن تعاهدني على شرف هذه اللعبة، تعاهدني بالألا تظلم بها أحداً، وألا تبدأ بها شجاراً، وأن تراعى في كل ما تعلمت وتدرّبت ضميرك.

يحيى: أعاهدك يا كابتن ألا أخبر أحداً باحترافى، ولا أشتبك بها إلا دفاعاً عن نفسى وغيرى، وألا يفارقنى ضميرى.

عندها أخرج الكابتن قرصة مستديرة وقسمها بينه وبين يحيى نصفين، وقال ليحيى: هذا عهد وميثاق يتخلله عيشٌ وملح.

لم يجد يحيى فرصة عمل ملائمة في مجال رياضته، فاضطرّ للالتحاق بوظيفة محصل في أحد خطوط اتوبيسات هيئة النقل العام ريثما يلوح له عمل مستقر في تدريب لعبة الكاراتيه.

وفي يوم تسلّم يحيى عمله الجديد نام مبكراً؛ لأن وردية عمله ستبدأ قبل الفجر وستنتهي قبيل أذان العصر، ثم استيقظ يحيى قبل الفجر، وتهيأ للانطلاق للعمل. وهناك في الهيئة، تعرّف يحيى على زميله أشرف سائق الحافلة، وانطلقا معاً سعيدين بزمانة وليدة تفاءلا بها كثيراً.

همس السائق أشرف إلى صاحبه أنه ربما تعرض الأتوبيس أثناء السير لمتاعب ومشكلات كسطو بعض اللصوص، ونصحّه بألا يتدخل بمنع السارقين أو التصدي لهم.

ظن يحيى أن السائق أشرف يبالغ في نصيحته، ولم يخبره باحترافه لعبة الكاراتيه، وترك يحيى الأمور تسير على طبيعتها وفق أقدار الله، إلا أن يحيى قال للسائق:

لا تقلق عليّ يا أشرف، إنك قد تراني قليل البنية لكنك قد تسعد بي وقت الشدائد والأزمات، فهناك شيء يفرض نفسه على الإنسان ربما يكون أقوى من الحياة.

كان اليوم الأول لعمل الكمسري يحيى هادئاً وهنيئاً، أفطر مع زميله أشرف صباحاً في دقائق معدودات بين دورتي عمل، وشرباً شايًا، وتضحكاً ثم أكملتا دورة عملهما، بعد أن تعاهدا على الوفاء في المنشط والمكره بعد ما صار بينهما من عيشٍ وملح.

وفي آخر دورة عمل قبل تسليمهما الإيراد وإيداعهما الأتوبيس بجراج الهيئة، اعترض طريقهما شابان تبدو عليهما أمارات الشر وآياته، أشارا للسائق فهدأ من سرعته فقفزا بسرعة داخل الأتوبيس.

الكمسري: تذاكر يا حضرات.

اللصان: مصلحة.. نازلان بعد قليل.

السائق: دعهما يا يحيى، اتركهما وشأنهما.

الكمسري: سيدفعان تذكرتين أو ينزلان.

اللصان: أنت جديد على الخط.. ستفهم غداً أو بعد غد.

تتبع الكمسري حركة الراكبين، فوجدهما يحاولان الاقتراب من زحام الركاب، واستطاع أحدهما أن ينشل حافظة نقود عجوز، وشق الآخر حقيبة امرأة بمشروط.

عندها قفز يحيى الكمسري من على كرسيه، بعد أن أغلق الباب الأخير للأتوبيس، ثم توجه بثقة وشجاعة إلى اللصين، شعر به اللصان فأشهرها في وجهه سلاحاً أبيض، وقال له:

ارجع مكانك وإلا أدمينا وجهك وسلبناك إيرادك.

أعطى يحيى إيرادته ومتعلقاته لأحد الركاب، ثم أمسك بالماسورة التي تتعلق بها أيادي الركاب، قفز يحيى وركل بكليتي رجله اللصين، فوقعت من يد أحدهما مطواة، تناولها يحيى، ثم أغلقها ووضعها في جيبه.

وفي وسط السيارة التي كانت مزدحمة سرعان ما برزت فجوة مثَّلت حَلْبَةَ نِزَالِ جمعت يحيى واللصين، فجعل يحيى يتعامل مع اللصين بصورة أدهشت الركاب، وأوقعت الرعب في قلبي اللصين.

عندها قفز أحد اللصين الذي وقعت منه المِطْوَاة هارياً من إحدى النوافذ، وكانت السيارة قد قللت شيئاً من سرعتها.

ثم أشهر اللص الآخر مُدْيَتَهُ فجأةً في وجه يحيى الذي نأى عنها في سرعة خاطفة، موجهاً لوجه اللص لَكَمَةً قوية بقبضته هوت به إلى الأرض، وطوحت بالمِطْوَاة بعيداً.

عندها مدَّ اللص يده في ملابسه وجاهد نفسه حتى وقف، ثم أخرج مسدساً صغيراً، فلمحه السائق أشرف في المرأة فأسرع بالسيارة مترنحاً بها يَمَنَةً وَيَسْرَةً، ثم توقف بالسيارة بغتةً ليخزَّ اللص والطبنجة على الأرض أمام يحيى.

بعد إعادة المسروقات لأصحابها، توجه السائق والكمسري بالحافلة إلى أقرب قسم شرطة في طريقهما، وأسلما اللص، ثم استأنف الأتوبيس سيره، وكانت هذه الرحلة

الأخيرة التي يتعرض لها هذا الأتوبيس لمحاولات سطو، أو نشل، أو تحرش، ومضايقات.

وفي حوار دار بين السائق والكمسري:

أشرف: ما حملك على ما فعلت يا بطل؟

يحيى: بل البطل أنت.. أنقذتني من رصاصة غادرة.

أشرف: ألم أقل لك دعك من اللصوص؟

يحيى: هناك شيء أقوى من الحياة هو الذي دفعني للتصدي للصوص، وهو الذي

دفعك لإنقاذي من الموت.. إنه الضمير.

شهوة الحديث

أدرك موسى بطبيعته وثقافته وتجاربه أن الناس يمارسون لذة الكلام والحوار والنقاش عن حبٍّ وشهوة؛ لذلك كان حريصاً على أن يبدو مبتسماً ذا بشاشة وإقدام في تحيته وحديثه إقبالاً وإدباراً، سلاماً ووداعاً .

كان موسى اجتماعياً من طراز فريد، يتعلق به كل من يراه لبشاشته وابتسامته، وأنس حديثه، وحلو منطقه، واستماعه الجاد الطويل لمحاوريه.

كانت حال موسى مع أسرته وجيرانه وزملاء عمله، بل وجلّاسه بالمواصلات وغيرها، تُشبه حالة المذيع الحاذق مع محاوريه من الضيوف.

وذلك حين يفتح المحاور الإعلامي الموضوع مع مقدمة للضيف، ثم سرعان ما ينسحب برشاقة ليعطي ميكروفون الكلام لضيفه ومحاوره، من دون أن يشغب عليه أو ينازعه الحديث، ثم يعود المذيع بلطف مجدداً لإدارة الحديث وربط جنباته واختتامه بكلمات معدودات في سكينة وهدوء.

أحب الناس موسى لأنهم وجدوا فيه سلوى عن انشغال أو تجاهل أسرهم وذويهم، فهو يجيد فن الإصغاء والإنصات للآخرين، ولا يعبا كثيراً بأن قل كلامه، أو بأنه لم يأخذ

مساحة موازية من محدثيه، بل لم يكثرث بكون محاوريه يجعلون منه أدناً يثونها شجواهم وأحزانهم، ومشكلاتهم ونجواهم.

علم موسى أن الشاكين إليه والمُفضين له بأقاصيصهم وأزماتهم، ربما كان أغلبهم لا يبحث عن حل، بقدر ما كانوا يلتمسون متنفساً رحباً من ودودٍ يُصغي باهتمام لشكاواهم.

وكان محدثو موسى ينشدون إيماءات حانية يساقط بها رأس موسى بين الفينة والفينة، مع كلمات هامسة بين حين وآخر للمتحدثين من مثل: [تمام.. نعم.. جيد.. لم.. ياه!] فكانت تُشعرهم هذه الكلمات بأن موسى معهم قلباً وقالباً، كأنه طيب نفساني حاذق يهمس وينصت لا يأمر ويتكلم.

مكث موسى سنين كثيرة على هذه الوتيرة من الاستماع للناس والاهتمام بهم والتخفيف والتسرية عنهم، حتى بدأ يملّ أحاديث الناس وثرثراتهم التي لا انتهاء لها.

بحث موسى عن لذة تربو على شهوة مؤانسة الناس ومواساتهم، وتبادل الحوار والنقاش والجدل معهم، فظن أنها لذة الصمت الداكر، أو هي نشوة الذكر الخفي الهامس.

لذا عزم موسى على أن يظّهر بالإرهاق والنوم حين يركب وسائل المواصلات أو يجالس الآخرين؛ هرباً من مبادلة الحديث مع مجاوريه ومحاوريه في العريات أو السيارات، فضلاً عن الحافلات والقطارات، وفي المجالس واللقاءات والاجتماعات.

فهل ترك الناس موسى وخلوا بينه وبين الذكر الهامس في المواصلات؟

راكب: الجو اليوم بارد.

موسى: فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، لا يزال الشتاء قائماً.

راكب: كم يا ترى درجة الحرارة اليوم؟

موسى: سبحان الله وبحمده، لا أعلم .

راكب: من فضلك افتح النافذة قليلاً.. نحتاج لتجديد الهواء بالعربة .

موسى: حاضر، اللهم جدد إيماننا بك، وتوكلنا عليك، وثقتنا فيك .

راكب: من سيلعب اليوم في الدوري المحلي؟

موسى: اللهم صلّ على النبي الأمي، الطاهر الزكي، لا أدري .

صَجَرَ موسى وضاق صدرًا بملاحظته بالأحاديث غير المجدية، فتظاهر بالنوم ليلوذ به

عن المتكلمين، ثم أراد أن يؤكد نومه فأصدر ما يشبه الشخير، لكن موسى بعد دقائق

قليلة غطّ في نوم حقيقي عميق لم يستيقظ منه إلا مع نهاية الرحلة وإيقاظ السائق له .

على حين كان القارئ بإذاعة القرآن الكريم يرتل عبر مذياع السيارة قوله تعالى:

{ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ } [التوبة: ٦١].

فهم موسى لأول مرة دلالة الآية الكريمة ومرادها، وأن لمواساة الناس والاصطبار

عليهم أجراً كبيراً؛ فقرر أن يكون ذكره وخلوته حين يخلو بربه، وأن يعود سيرته الأولى

في مشاركة الناس همومهم وأتراحهم عند جلوته واختلاطه بهم.

ولدي وكليتي

فَقَدَّ "كريم" والده مذ كان تلميذاً بالابتدائية، فنشأ يتيماً وكانت أمه نِعَم الوالدة له والوالد، عكفت الأم على تربية صغيرها وتعليمه، أحبته حباً جماً فلم تفكر في زواجٍ آخر، وملاً "كريم" عليها حياتها فكان ملء سمعها وبصرها وموضع السويداء من قلبها.

تخرج "كريم" في الجامعة وصار طبيباً، وفرحت الأم كثيراً بجني ثمار الغرس وحصاد التربية. أرجأ "كريم" زواجه حتى يستطيع رد جميل الأم بحجٍّ واعتماد.

كان "كريم" مع والدته أثناء رحلتها لبلاد الحرمين نعم الابن البار إنفاقاً وهدباً، ورقة وبراً وحباً، حتى أنه أدى عنها ما شق عليها من مناسك، واحتملها أحياناً لتباشر العبادة عن قرب ومتعة.

عاد "كريم" وأمه إلى مصر بعد هذه الرحلة المباركة، وكدأب الآيين من الأسفار كانا متعبين مرهقين، وعقب صلاة العشاء بنحو ساعتين أخذ كل منهما حماماً، وتناولوا عشاءً خفيفاً ثم أسلمهما إرهاق السفر إلى نوم عميق لم يستيقظا منه إلا على صوت أذان الفجر.

وفي نومهما رأى كل منهما الآخر قد برّحت به آلام الكلية، وبعد عمل الفحوصات والإشاعات والتحليل الطبية اللازمة، أجمع الأطباء على ضرورة المسارعة باستئصال كلية وزرع أخرى في تسابق مع الزمان لإنقاذ الحالة من موت محقق.

هكذا رأى "كريم" أمه في منامه يحيط بها الموت من كل مكان، ولا نجاة لها إلا بزرع كلية، كما رأت الأم وحيدها في منامها يصارع الموت في انتظار حياة جديدة تُهدى إليه بنقل كلية على جناح الفور.

لم تتردد الأم في المبادرة بعرض نفسها على الأطباء ليروا صلاحية نقل الكلية منها إلى فلذة كبدها "كريم"، على حين أجرى "كريم" اتصالات عدة بمؤسسات طبية، ومعارف، وزملاء لكي يصل إلى متبرع لأمه يبذل آلامها، وينقذ حياتها، ويكون سبباً في برئها وشفائها بإذن الله.

أخيراً قرر "كريم" بعد عجزه في الحصول على متبرع بالكلية لوالدته أن يهب لأمه إحدى كليتيه، فهي الأم الرؤوم الحنون التي ضحت بحياتها كلها من أجله صغيراً وكبيراً، تلميذاً وطيباً.

وبخطوات ثابتة ضارعة لهجة دخلت الأم غرفة العمليات لتهب لولدها إحدى كليتيها طيبة بها نفسها. أما "كريم" فقد دخل غرفة العمليات متشجعاً متصبراً لإنقاذ أمه.

وفي غرفة الإفاقة لم يُوقظ الأم وابنها طبيب أو ممرضة، بل صحا كل منهما على صوت الأذان في لحظاتٍ كانت تتمم الأم متغلبة على آلامها هامسة: "كريم"..
ابني.. ولدي!! على حين كان "كريم" يجأر في ألم ووجل: آه.. ظهري.. جانبي..
كُلّيتي !!

فضول

في لُجة الأحداث ومع تلاطم زخمها، قد لا يرى الإنسان حقيقة نفسه جيداً، فلا يقف

على ماهية النفس وجوهر الذات وما يعتورها من الأعطاب والآفات إلا القليل.

فمنا من يكون فضولياً ثرثرةً وحديثاً، ومنا من يكون فضولياً نظراً وبصراً.. وإلى قصتنا..

أنهى الموظف أمجد دوام عمله مع دقائق الثالثة عصراً، ثم توجه ليستقل الميكروباص

إلى بيته، وكعادة أمجد تبوأ مقعداً في مؤخرة كنبه الميكروباص بجوار نافذة حتى يتمكن

من ممارسة الذكر على سُبحته البنية عازفاً عن الركاب.

انتظر أمجد ذاكراً اكتمال عدد ركاب الميكروباص، ولم يبق سوى ثلاثة أماكن خالية،

على حين استرعى سمع أمجد صوت امرأة يعلو مع رفيقتين لها متجهات صوب العربة

وقد بدا عليهن أنهن زميلات عمل قد خرجن من مقر الوظيفة.

قالت زعيمتهن قبل صعود الميكروباص: لا لن أركب في الآخر مرة أخرى، يا له من

حظ عاثر! ثم تضاحك ثلاثتهن، وصعدن جميعاً إلى السيارة، وركبت الزعيمة بجوار

أمجد.

أخرج أمجد عشرة جنيهاً ويده لا تزال مستمرة في التسبيح وأعطاهما لرديفته، وقال لها: واحد من عشرة.

نظرت المرأة إلى أمجد نظرة طالت، كأنه ذكَّرها بعزيرٍ لديها فلم تُجبه لبرهة، فقال أمجد مداعباً: من فضلك واحد من عشرة.. أصلي أنا مش بذاكر كويس!

ابتسمت المرأة وأخذت عشرة الجنيهاً ودفعت بها لزميلتها الجالسة أمامها، ثم أعادت المرأة الباقي إلى أمجد.

انتبهت المرأة أن الباقي فيه خمسة جنيهاً مهترئة، فقالت لأمجد كأنها تحب استكمال الحديث معه:

هات ورقة الخمسة جنيهاً غيرها لك، فقال لها أمجد وقد تلاقت عيناه بعينيها: أشكرك، ستُصرف إن شاء الله، ثم حاول في عننٍ أن يعود إلى التسبيح والذكر.

عادت المرأة تراود أمجد عن الخمسة جنيهاً، وقد أمسكت بخمسة جنيهاً مثلها جديدة وقالت لأمجد: سأغيرها ممن دفعته لك، إنها زميلتي.

عبتاً حاول أمجد صرف المرأة عن محاولتها لتغيير الخمسة جنيهاً، فاضطر إلى إعطائها الورقة المهترئة.

أخذت المرأة الورقة من أمجد، كما أخذت من زميلتها خمسة جنيهات جديدة،

فأعطت زميلتها الخمسة المهترئة، ووضعت الخمسة الجديدة في حقيبتها!

كان أمجد يراقب الموقف وقد ذهل عن الذكر والتسبيح تماماً، اللهم إلا عبث يده

بالسُّبحة، ثم سأل نفسه:

لو كانت الورقة من فئة مائة جنيهه أو أكثر ربما ظننت أن المرأة ورفيقتها لصَّات، لكنَّ

أمجد ابتسم مجدداً وخجل من سُبحته أن يوجّه حديثه لرفيقتها التي تجاوره بصفة

خاصة، ووجه حديثه إلى النساء الثلاث عامة قائلاً:

أمجد: هل أنتن قادمات من التبرع بالدم؟

المرأة: لا.. ولم؟

أمجد: أراكن خفيفات الظل والدم!

المرأة (مبتسمة ومنتشية): أخذت تعيد النظر إلى أمجد.

أمجد: هل تعملن ممرضات؟

المرأة: لا.. لكن.. لم؟

أمجد: إنكن لستن خفيفات الدم فقط بل وخفيفات الأيدي أيضاً!

المرأة (مستغربة): ماذا تعني؟

أمجد: أعني أنك أخذت الخمسة جنيهاً القديمة مني ولم تعطني بديلها.

المرأة: بل أعطيتك إياها.

أمجد: من فضلك، راجعي حقيبتك.

المرأة (خجلى): أنا آسفة، من دون قصد.. تفضل فلوسك.

كان رجل تُخطئه العين يجلس خلف السائق، قلبه ولسانه مشغولان بذكر الله، سمع هذا الرجل أذان العصر يصدر من موبايل أحد الركاب؛ فقال للسائق: أذان العصر يا أسطى.

بادر السائق بإغلاق مسجل العربة، وأسكت كوكب الشرق التي خدرته بغنائها:

كلمة ونظرة عين والقسمة وياهم** جمعوا سوا قلبين والحب مناهم

ليقول مذيع الراديو الآن.. حتى يؤذن بصلاة العصر نبقى مع هذه الطائفة من أحاديث الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم:

جاء في صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري."

وفي سنن الترمذي عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة."

أذان العصر..

كيف أعاودك؟

تروي كتب الأدب العربي وتاريخه قصة خيالية عن نقض العهد بعد إبرام ميثاقه، ملخص هذه الأسطورة أن أخوين كانا يمتهان رعي الإبل، أمحلت بهما السماء، وأقحلت بهما الأرض؛ فاعتزم أصغرهما بعد هذا الجذب أن يستاق إبله إلى وادٍ تحميه حية لا ينجو من نهشها وإهلاكها أحد يقترب من واديهما طلباً للرعي أو غيره .

نصح الأخ الكبير أخاه الصغير ألا يفعل لكن دون جدوى، فذهب الأخ الصغير ورعى الإبل ردحاً من الزمن حتى تربصت به الحية فنهشته في مقتل؛ فحزن الأخ الكبير على أخيه الذي لم يستمع لنصحه، ثم رأى الأخ الحياة عبثاً من دون أخيه، فصمم على الانتقام والثأر له من الحية .

ذهب الرجل إلى وادي الحية قاتلاً أو قتيلاً، وحين تمكن من الحية وهمم بقتلها، أوعزت إليه الحية وأطمعته في أن يخلي بينها وبين الحياة على أن يرعى الرجل إبله آمناً، وأن تمنحه الحية ديناراً ذهبياً كل يوم، وهكذا وافق الرجل بعد أن دلته الحية بغيرور !

وذات يوم بعد أن اغتنى الرجل من الذهب والإبل وأصبح ذا ثراءٍ عظيم، إذا به يذكر أخاه الصغير ويشعر بالحسرة على فقدانه، فقرر أن ينتقم من الحية مجدداً، رضى الأخ الكبير أمام جحر الحية الصخري واختبأ مكتمناً لها.

وحين كانت الحية تسعى في أمانٍ متوجهةً نحو جحرها، هوى عليها الرجل بفأسه ليقتلها، لكن الضربة أخطأتها وحطمت صخرة كانت قريبة من جحر الحية التي سرعان ما أرزّت إلى الجحر ولاذت به.

عندها تحسّر الرجل وندم على خسارته الممين بفشله في قتل الحية أولاً ونقضه العهد معها ثانياً.

نادى الرجل على الحية ليجدد عهدهما في اتفاقية سلام جديدة، لكن الحية أشارت إلى الصخرة التي حطمتها ضربة الفأس القوية وقالت للرجل: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟ فذهبت مثلاً..

وإلى قصتنا..

* * *

عاطف رجل طيب القلب، كريم النفس، حيي الروح، من طراز لا يستطيع الصدّ، ولا يُحسن الرفض، ما سُئل شيئاً إلا جادت به نفسه، وسارعت إلى بذله كفه.

قد أحدث هذا الخلق لعاطف كثيراً من المتاعب، فمن طامعٍ فيه لقرض، ومن طامحٍ إليه لنوالٍ وعطاء، ومن مؤمّل فيه ولياً وظهيراً على تقلبات الأيام وصروف الدهر.

وقبيل شهر رمضان، قصده هشام، أحد أصحابه، في أن يذهباً معاً إلى سواح مسطرد
ليشترى جوالاً من التمر مناصفةً بينهما بسعر الجملة، يستهلان به شهر رمضان
الفضيل، عَرَضَ هشام فكرته على عاطف وهو يعلم أنه سيوافق، رغم أن هشام لم يكن
معه ثمن نصف الجوال.

وافق عاطف وقال لهشام: سدد لي على مهلٍ، لكن شاركني في اختيار نوعية التمر؛
لأن الكمية ستكون كبيرة وعلينا تخير نوع من التمر يطيب أكله، ويطول أجله،
ويحسن إهداؤه، دون تسؤس أو عَطَبٍ، فاختر الصاحبان جوالاً من نوع تمر ارتضياه،
وانقلبا معاً إلى بيت عاطف لاقتسامه .

تعلل هشام بأنه في عجلة من أمره، فأخذ حقيبتين من التمر، واستأذن عاطف في أن
ينصرف على أن يعاوده مرة أخرى لاستكمال القسمة ودفع الثمن.

مرت الأيام من دون أن يرجع هشام إلى عاطف، بل حين كانا يلتقيان على المقهى لم
يفتح هشام مع عاطف ملف التمر مرة أخرى.

وعلى المقهى، ذكّر عاطف صاحبه هشام بجوال التمر لا سيما وقد انسلخ نصف شهر
رمضان، فقال هشام له: إن نوعية التمر بعد تفحصها واستعمالها ليست بالجيدة، ولا
حاجة لي فيما بقي من تمر الجوال!

وفي أوائل شهر شوال، زار هشام صاحبه عاطف في أيام عيد الفطر المبارك؛ لتهنئته
بمناسبة العيد، وليعرض عليه فكرة أن يشتري معاً خروفاً لعيد الأضحى المبارك.

أشار هشام إلى عاطف بأنه يعوزه مكان لتربية الخروف، وربما كان في سطح بيت عاطف مُراعماً كثيراً وسعةً لعددٍ من الخراف، فهِمَّ عاطف مراد هشام وابتسم وقال له: مرحباً بك وبخروفك لقد حفزتني لأن أشتري معك خروفاً آخر لنضحى به هذا العام.

ذهب الصاحبان لشراء كبشين أملحين أقرنين قوين تنطبق عليهما شروط الأضحية، وعند الشراء أسرَّ هشام إلى عاطف بأن ثمن الخروف ليس مكتملاً معه، فابتسم عاطف وقال لهشام: معي ما أدفع به ثمن خروفي، وأكمل لك ثمن خروفك لا تقلق! وعلى سطح بيت عاطف، عرض عاطف على هشام أن يميزا الخروفين بعلامة معينة ليعرف به كل واحد منهما خروفه، لكن هشام قال لعاطف: يا رجل، دعهما مباركين ولن نختلف عند التخيُّر والذبح.

ميز عاطف خروفه دون أن يُشعر هشام، ثم انتظر عاطف أن يواليه هشام بطعام أو نفقة للخروف لكنَّ هشام لم يفعل.

تشجَّع عاطف وفتح هشام بخصوص طعام الخروف، فقال له هشام مداعباً: أأست تعلمنا يا عاطف، أن طعام الواحد يكفي الاثنين!؟

وفي ليلة العيد، ذهب هشام لتسلم الخروف فإذا بخروفه يبدو أقل سمناً من خروف عاطف المميز بعلامة حمراء، فاحتمل هشام خروف عاطف وقال له: كل عام أنتم

بخير يا صاحبي!

بعدها قرر عاطف أن يتخلى عن طبيعته الحيية، وأن يخرج عن طبيعته المفترطة وسذاجته

الفطرية، من دون أن يظلم أحداً أو يجور على أحدٍ.

وعلى المقهى مساء اليوم الرابع من أيام عيد الأضحى المبارك دار هذا الحوار..

هشام: كل عام أنت بخير يا عاطف.

عاطف: كل عام أنت بصحة وعافية.

هشام: الخروف لم يُصَفَّ لحمًا كثيراً، وأكثره دهن وشحم.

عاطف: هكذا طبيعة الخرفان، إنما هو أجر النية والسنة.

هشام: ربما تشاركنا العام المقبل في بقرة أو جمل.

عاطف: بقرة أو جمل.. ترى من يحيى للعام المقبل؟!

هشام: كنتُ أعتزم عمل مشروع منحل عسل وأريدك أن تشاركني الاستثمار والربح ما

رأيك؟

عاطف (وقد أخرج من جيبه فلاشة وأعطاهما لنادل المقهى ليشغلها): الجواب

ستسمعه الآن.

أم كلثوم تغرد:

لسه فاكر قلبي يدملك أمان

ولا فاكر كلمة هتعيد اللي كان

ولا نظرة توصل الشوق والحنان

لسه فاكر كان زمان.. كان زمان!

قطة هايدي

كانت ليلة شاتية، تلك الليلة التي غَشِيَتْ أسرة المهندس تامر الصغيرة، المكونة من:

الأب: تامر، والزوجة: هبة، والصغيرة: هايدي .

بعد نحو ساعتين من العشاء، ذهبت هايدي لتنام، بعد أن أودعت فُبلتين حانيتين على

وجنتي والدها ووالدتها، ثم داعبت هايدي قطتها الصغيرة قبل أن يخلد الجميع إلى

النوم.

وقبل بزوغ فجر يوم جديد، اندلع حريق في حجرة الزوجين بسبب مدفأة كهربائية،

حيث حركت الريح ما انسدل من أطراف ستارة البلكونة التي كانت في حجرة

الزوجين، فلامست أطراف الستارة الحرارة المنبعثة من شموع المدفأة فاشتعلت

الستارة كلها بعد قليل .

وشيناً فشيناً ومع استغراق الزوجين في سُبات عميق، بدأ الحريق في الانتشار، ومع

تصاعد الدخان من النوافذ انتبه بعض الجيران فاتصلوا على الفور بشرطة المطافي،

التي سرعان ما انطلقت صوب مسرح الحادثة ترافقها سيارة إسعاف مجهزة بفريق

طبي.

كانت هايدي ذات الأعوام الثلاثة، قد بدأت في الإعياء والسعال، ثم انتبهت على صوت طرّق على باب الشقة، وحركة قريبة من نافذة حجرتها.

حاولت هايدي النهوض متجهة نحو والديها، إلا أنها لم تستطع لكثافة الدخان وانعدام الرؤية، فعادت أدراجها إلى حجرتها تصرخ وتبكي قائلة: "ماما، بابا!!"

كان الزوجان قد أصيبا بإغماء وشبه اختناق بسبب الأدخنة المتصاعدة، فلم يتحركا من سريرهما، ولم يشعرا ببكاء ونداء هايدي ولا حتى بصراخها!

وخلال دقائق معدودات وصلت فرقة المطافي، وعلى الفور أصدر قائد الحملة أوامره، فإذا بكل جندي ينقذ دوره، ويقوم بواجبه، ويؤدي مهمته على أكمل وجه.

وفي الحال وجّه القائد بارتقاء الجنود للسلم واختراق الشقة الكائنة بالدور الخامس من خلال التسلسل عبر النوافذ والشرفات.

استطاع الجنود أولاً أن يقتحموا شرفة هايدي، حيث وجدوها واقعة على الأرض كأنها تنظر إلى أسفل السرير حيث اختبأت قطتها، حمل الجنود هايدي، وأنزلوها فوراً للإسعاف، ثم عاودوا الصعود لإنقاذ من بقي داخل الشقة.

وخلال دقائق نجح الفريق الطبي المصاحب لوحدة الإطفاء في إفاقة هايدي، وعندما أفادت الطفلة شرعت في البكاء مرددة: "ماما.. بابا!!"

وفي الوقت الذي نجح فيه الجنود في اقتحام بلقونة الزوجين، وحمل الزوجة والهبوط بها إلى الإسعاف، كانت هايدي لا تزال تصرخ وتقول: "ماما.. بابا"، إلى أن أفاقَت الأم، فاحتضنت هايدي باكية، ثم أجهشت هايدي بالبكاء دامعةً: "بابا.. بابا!"

كان الجنود قد صعدوا مخترقين النيران بصعوبة لإنقاذ الأب الذي بدا عليه التأثير من لفق النيران وتساعد لهيها ودخانها.

نجح الإطفائيون بعد لأي في إنقاذ تامر، واحتملوه هابطين به إلى الإسعاف، وما إن رآته الزوجة وهايدي في حالة إغماء حتى انخرط في بكاءٍ شديد.

أخيراً.. تمكّن الفريق الطبي المصاحب لوحدة الإطفاء، بعد مشقة، من النجاح في إفاقة تامر، وتضميد حرقه، وإعطائه ما يلزم من أكسجين ومحاليل.

ثم سأل الضابط الزوجة..

الضابط: هل كان هناك أحد غير ثلاثكم بالشقة؟

هبة: لا، كنتُ أنا، وزوجي تامر، وابنتنا هايدي فقط.

هايدي (تبكي هامسةً بصوت غير مفهوم): "أوتتي!!"

الضابط: ماذا تقول؟

هبة: ماذا تقولين يا هايدي؟

هايدي: "أوتتي!!"

هبة: إنها تبكي على قطتها، وتقول: قطتي.

أطرق الضابط للحظات حيث تنازعه شعوران: واجب المهنة، وإنسانية رسالتها، ثم
قاوم تأثر عينيه، وأبدى تماسكه.

وبعد أن كاد الضابط يُصدر أوامره إلى الفرقة بإنهاء المهمة وانتهاء العمل.. أمر
باستئناف البحث للعثور على قطة هايدي!!

المرضة عزة

سعد مستشفى الدمرداش التعليمي بالتحاق الممرضة عزة إليه، تلکم الفتاة النبيلة، نيرة العقل، مضيئة القلب والوجه، التي تفيض الرحمة من جنباتها، وتنساب بين يديها الإنسانية متدفقة رقيقة.

بعد ثلاث سنوات من تعيينها بالمشفى، كانت عزة فيهن في ذروة النشاط، وسرعة الاستجابة، مع رافة وشفقة بالمرضى قل نظيرهما، تزوجت عزة فأضحت عزوباً لزوجها، ثم أما رؤوماً بأولادها.

لم يؤثر كر الأعوام ومرور الأيام ورتابة العمل في تضعع عزيمة عزة أو تقاعسها وفتورها عن واجبها، فكان أداؤها دوماً ثابتاً إلا أن يترقى نشاطاً وسرعة، حباً ورحمة، وطنية وإنسانية.

وحين فشا وباء كورونا في الكون، ورمى بسهامه مصر، وتوافدت على المشافي حالات الإصابة، كان مستشفى الدمرداش أحد هذه المستشفيات التي تصدت بطواقمها الطبية والإدارية للفيروس، ثم لم يلبث المشفى أن تحوّل معظمه إلى حجر صحي.

لقد ضربت عزة خلال أزمة كورونا بالتفاني في أداء الواجب المهني والديني والوطني والإنساني أروع الأمثلة في البذل والعطاء والتضحية، حيث واصلت العمل آناء الليل وأطراف النهار، وسخّرت من نفسها بديلاً لا يتردد لزميلاتها من ذوات المرض والإرهاق والأعذار.

وحين أجرت إدارة المشفى مسحاً للاطمئنان على كوادرها الطيبة العاملة، معترمةً إعلان النتائج بعد عدة ساعات من المسح، جاء دور عزة لتذهب إلى بيتها للراحة والنوم، وما إن وصلت إلى بيتها حتى رنَّ هاتفها..

المشفى: عزة، أنت في خطر، مسحتك إيجابية!

عزة: الحمد لله على كل حال.. {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء: ٨٠].

المشفى: سنُرسل إليك سيارة إسعاف لتدخلني الحَجْر الصحي فوراً.

عزة: لا، سأتي بنفسي، لا أريد أن يعرف زوجي وأولادي النبأ، إلا بعد أن أُغادر البيت حتى لا يودعوني.

دخلت عزة بيتها، التمسّت أولادها فإذا هم نيام، اغتسلت وتوضأت، ثم صلّت من الفروض ما فاتها، ثم عقّمت ما لمستته من أشياء، ثم جهّزت بسرعة حقيبتها.

ألقت على أولادها من بعيد نظرة وداع حَرَى دامعة، وقبل أن تُصدر نحيباً كفكفت عزة دموعها، ثم حملت حقيبتها متجهة صوب باب الشقة، فإذا بزوجها يفتح الباب، وبابتسامة عاشقٍ قد غابت عنه محبوبته مُدة يومين أغلق الباب في رَفَقٍ وَعَجَلَةٍ، ثم استدار فاتحاً ذراعيه ليحتضن عزة..

الزوج: "زُوْزَة" .. رُوحِي .. حَيَاتِي .. دُنِيَّتِي .. عُمْرِي.

عزة (جاذة متماسكة): مكانك أرجوك.. ابتعد عني أنا جِدُّ مُتْعَبَةٌ، وفي حاجة لأن أستجم وأرتاح.

الزوج: أتمزحين يا عزة.. ما كنتِ يوماً فاترةً ولا عبوسة، ما هذا اللقاء وما هذه الحقيبة؟!

عزة: ربما أذهب إلى أُمِّي لأستريح عدة أيام، ثم حين يستيقظ أولادنا تعال بهم إلى هناك.

الزوج (مقترباً): ولمَ لا تأخذين إجازة ونسافر معاً للاستجمام؟

عزة (متباعدة): غير مسموح لنا خلال جائحة كورونا بأي إجازات.

الزوج: إذن دعي لي الحقيبة أحملها.. وأوصلك إلى أمك.

عزة (منفعلَةً): لا، من فضلك لا تلمس الحقيبة، ابقَ بجانب أولادنا، أنا أعرف طريقي،
والحقيبة ليست ثقيلة.

مع نظرات الزوج المستغربة الداهلة، فتحت عزة الباب بقفازها، وهرولت على السلم
مبتعدةً عن سُوره، وفي الشارع أوقفت سيارة أجرة.

وقبل أن تركب العربة، عَقَّمت حقيبتها ومكان جلوسها، وفتحت الشباك، وطلبت إلى
السائق ارتداء كِمَامته وقفازيه، وقالت له: لا تُرْكَب أحداً معي وسأعطيك ما يرضيك من
أُجرة.

وفي الوقت الذي جلس زوج عزة يفكر حزينا.. تُرى ما الذي أصاب زوجته، هل
سئمت حياته، هل تريد الانفصال عنه، وماذا عن الأبناء، هل سيعيشون معه رغم
صغرهم، أم ستربيهم جدتهم إن بدا لعزة أن تتزوج بعد طلاقها؟

هنالك اتصلت إدارة المشفى بهاتف زوج عزة بعد وصولها، لتخبره بكيفية التصرف
الوقائي في نفسه وأولاده، وذلك بعد أن طمأنته على استقرار الحالة المرضية لعزة.
وبعد خروج عزة من الحَجْر الصحي واستئنافها العمل..

عزة: ماذا ظننت بي يا زوجي الحبيب؟

الزوج: ما ظننت بك إلا خيراً.. قلتُ: مللت أو كرهت.. أو عني قد رَغِبْتَ.

عزة: سامحك الله، ألم يشفع لي تاريخ زواجنا لتعذرني في تغيري معك لمرة واحدة؟

الزوج: استبدت بي الظنون، وزادتها حقيبة ملابسك توجساً وريبة، لا سيما مع جفأٍ أبديته، وحسب صارمٍ أجدتيه.

عزة: أكنت ستزوج إن أنا قضيتُ في الحجر الصحي ومتُّ؟

الزوج: وهل يتزوج وفِّي بعد رحيل زوجة وهبت نفسها لواجب عملها ودينها ووطنها وإنسانيتها؟

عزة: وماذا كنت صانعاً بالأولاد؟

الزوج: كنتُ سأعيش معهم على ذكراك.. لكن أخبريني ما الذي كان يُصبرك على عمليِّك قبل الوباء ومعه.. ثم الآن من بعده؟

عزة: طموح وطمع أن يظلني قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: ٦٩].

المعتوه

في ظل جائحة كورونا، ومع تمام الساعة السادسة صباحاً، تمكن أحد المعتوهين من التسلسل هرباً من مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية، وذلك بعد أن نزع ما عليه من ملابس المرضى النفسيين وارتدى الزي المدني لحارس أمن الجاه نداء الطبيعة لدخول دورة المياه قبل أن يُنهي دوام عمله بقليل.

خرج المعتوه في هدوء وثقة بالغين من بوابة المستشفى، وقد أمسك بيده صحيفة وجدها على أريكة بجوار ملابس حارس الأمن، وجعل يستجلب بها الهواء ويدفع بها عن وجهه الذباب، ثم بعد أن زایل جنبات المستشفى أسرع الخطو لتبتلعه بعد دقائق شوارع القاهرة.

وبعد ثلاث ساعات من سير المعتوه على قدميه يجوب طليقاً شوارع القاهرة، مرّاً بمكان فيه زحام، فدنا منه فإذا هو بنك اجتمع أمامه عدد من المواطنين وقوفاً، بعد أن اكتظ بهو المصرف بالعدد المسموح به من الأشخاص، وذلك على نحو يتحقق معه التباعد الاجتماعي والمسافات الآمنة بين العملاء.

لاحظ المعتوه أن حارس أمن البنك يمنع سيدة من الدخول بعد أن جاء دورها في الولوج، فاقترب ليعرف السبب فإذا بحارس الأمن يقول: ممنوع دخول البنك دون كِمَامَة.

عندها تحسس المعتوه ملابسه فوجد منديل قماشٍ كبيراً نظيفاً ومكويماً، فأخرجه وأعطاه للمرأة وقال لها: اثقبي فيه فتحتين متباعدين ثم ارتديه قِنَاعاً وكِمَامَة.

صنعت المرأة على الفور كِمَامَة من المنديل، ثم حين هَمَّت بالدخول منعها الحارس مرة أخرى متذرعاً بأن الكِمَامَة كانت من دون أستيك!!

وعلى حين كان أحد العملاء خارجاً من البنك مرتدياً كِمَامَتَه، لاحظ هذا العميل اعتراض حارس الأمن لدخول المرأة وفهم حُجَّة الحارس؛ فإذا بالعمل يخلع عنه كِمَامَتَه أمام الحارس ويعطيها للمرأة لتدخل بها.

شكرت المرأة الرجل صاحب الكِمَامَة وقالت له: انتظرنى قليلاً فبمجرد خروجي من البنك سأعيد لك الكِمَامَة شاكرةً.

عندها قال الرجل للمرأة بعد أن سمح لها الحارس بالدخول: سأمضي الآن، ولا تُعيدي إليَّ الكِمَامَة فقد أخذتها قبل مجيئك من عميل آخر أنهى معاملته مبكراً!

انطلق المعتوه بعد أن انخرط في نوبة من الضحك كادت تكشف حقيقة اعتلاله نفسياً، لولا أنه أكمل سيره سريعاً إلى سوق كبير للحوم والأسماك والفواكه والخضراوات.

وعلى الرغم من أن شهر رمضان كان قد أظلم الناس ببركاته، إلا أن المعتوه قد وجد إقبالاً شديداً على شراء مختلف السلع، والناس منخرطون في ذلك وأكثرهم من دون كِمَامَات، والمتسوقون يتلامسون عند البيع والشراء والسير، ولا توجد بينهم مسافات آمنة، وكان بعضهم يهنئ بعضاً بمقدم الشهر الفضيل مصافحةً واحتضاناً وتقبيلاً!

ضحك المعتوه كثيراً من مشهد التكالب على شراء الأطعمة والازدحام عليها والناس بعد صائمون، ثم أذن بصلاة الظهر، فتوجه المعتوه بعد أن أحس بحاجة إلى الخلاء يتبع مظان الأذان، فلاح له مسجد جامع وعندما همَّ بدخول المسجد منعه مقيم الشعائر قائلاً: المسجد للأذان فقط، صلّ في دارك، أو رحلك، أو متجرك.

رجع المعتوه ليبحث عن مسجد آخر فإذا هو مُغلق، فسأل عن مسجد ثالث فدلَّ على زاوية صغيرة تفتحها العين كانت بجوار جِزَارٍ وَسَمَّكَ، دَلَفَ المعتوه الزاوية بحذر، فوجد الإمام يُصلي وخلفه ثلاثة نفر كانوا متباعدين جداً فيما بينهم وفيما بين الإمام.

حب فوق القانون

حكى القرآن الكريم عن طاعة إسماعيل وبره لأبيه إبراهيم عليهما السلام، وقد شاور الأب ولده في أمر ذبحه، بما يشعر بحرية إسماعيل في حق الموافقة أو التأيي، إلا أنه الحب.

قال عز وجل: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢].

وقص القرآن الكريم علينا إيثار يوسف عليه السلام السجن على محاولات مراودة امرأة العزيز والنسوة له.

قال سبحانه وتعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] إنه حب الطاعة والعفة.. إنه الحب.

كما حدثنا القرآن الكريم عن تعجل موسى عليه السلام إلى الله سبحانه، وكان بوسع موسى أن يتمهل ويتريث، لكنه الحب.

قال الله تعالى: {قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [طه: ٨٤].

وأخرج البخاري وابن حبان في صحيحهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ:

"إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَيَبْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ.. الحديث" .. بيد أنه الحب.

وعلى مستوى البشر من غير الأنبياء، خيّر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه بين أن يبقى زيداً عبداً، أو يلحق بأهله الذين تعرفوا عليه وأثبتوا أنه حر؛ فاختر زيد عبودية في كنف النبوة على حرية في أحضان الأسرة والقبيلة.. إنه الحب. وإلى قصتنا..

تنبه: "هذه القصة ليست دعوة من كاتبها لانفلاتٍ أو خروج على القانون؛ إنما هي مجرد قصة وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم" ..

* * *

صالح رجل من العارفين بالله، ربُّ أسرةٍ وولد، أنجب صالحُ إسماعيلَ ويونسَ، وكان صالح من المسارعين في الخيرات، الداعين الله رغباً ورهباً، وكانت لصالح طقوس دينية لا يتنازل عنها، وأوراد لا يُحلُّ لنفسه التنصل أو التخفيف منها.

رغم كبر سن صالح كانت عبادته في نماء وازدياد، يصوم قائظ الصيف، وقارس الشتاء، ويقوم ما طال من الليالي الشتائية، وما قصر من ليالي الصيف اللافحة، وكان صالح يتصدق تصدق من لا يخشى فاقة أو فقراً، ومن لا يتوجس عيلة أو عوزاً.

شاء الله لصالح أن يُقَعده المرض، فألزمته جلطة فراشه وحدت حركة جسده، بينما كان يجول قلبه وروحه ولسانه في نوبات تسييح واستغفار.

فكان صالح ينهمك في موجات تفكير في آيات الله وعظمته ولطفه ورحمته، وكان لصالح على فراشه صولات من الدعاء، وجولات من الضراعة والابتهاال، وسويغات من التلاوة والترتيل.

مرّت بالبلاد نكبة وباء فيروس كورونا، فخففت الحكومات عن العاملين دوامهم وأعمالهم، فطلب صالح من يونس ولده الصغير أن يصطحب والدته في رحلة إلى قرية بلدهم، يغيران خلالها الأجواء، على أن يلحق الوالد وإسماعيل بهما خلال يومين حين تتحسن صحة الأب.

سافرت الأم بصحبة يونس، ولزم إسماعيل والده صالح، وتحسنت صحة الأب في اليوم الأول بعد سفر زوجته وولده يونس، ثم سرعان ما تداعت صحة صالح بعد ذلك؛ فلم يتمكن صالح ولا إسماعيل من السفر واللحاق بالأسرة.

سأت صحة صالح أكثر، فبالغ إسماعيل في رعايته وتمريضه، ولم يكن يترك أباه إلا لأداء المكتوبات، وعلى الرغم من أن صلاة الجماعة أضحت بسبب وباء كورونا في البيوت.

إلا أن إسماعيل كان ضمن ثلة قليلة حافظت على صلاة الجماعة في مسجدٍ لم يستطع بعض رواده أن يهجره حُباً وكَلْفاً، راحةً وعِشْقاً، وإن كانوا معذورين شرعاً إن هم صلوا في رحالهم أو بيوتهم.. لكنه الحب!

حين سأت حالة الأب الصحية؛ استدعى ولده إسماعيل الطبيب، وأطلعه على الأوراق الخاصة بالحالة، كان الطبيب ماهراً فأقبل حذراً للكشف على صالح مرتدياً قفازاً وكمامة، ثم أطرق الطبيب بُرْهة وخرج بعد لحظات من حجرة صالح مسرعاً يتبعه إسماعيل.

الطبيب: والدك تعافى من الجلطة.. لكنه أُصيب بفيروس كورونا.

إسماعيل: ماذا؟!!

الطبيب: هذه أعراض الفيروس في المرحلة الأخيرة مع الأسف.. فسارع بإيداع أبيك الحجر الطبي فوراً.

استبد الحزن والتفكير بإسماعيل وخشي على أبيه مغبة الحجر الصحي، وشبح وفاة بعيدة عن الأسرة، تغسلاً وتكفيناً ودفناً.. ثم انتبه إسماعيل على صوت أبيه ينادي عليه..

الأب: اسمعني جيداً يا ولدي، رأيت في المنام أنك تغسلني وتكفني وتدفني وحدك، إلا أن أناساً كثيرين قد صلوا خلفك صلاة الجنزة عليّ.

إسماعيل: لا بأس عليك يا أبي، لقد قال الطبيب إنك تعافيت من الجلطة.

الأب: ولدي، إن أنا متُّ من ليلتي، فلا تصوّر أباك ولا تدفع بصوره إلى فيسبوك أو غيره، إن كان وجهي كالحاً فاسترني، وإن كان وجهي ضاحكاً مستبشراً فلا تفضحني!

إسماعيل: أمرك يا ابتي، متّعك الله بالصحة والعافية.

كان إسماعيل يبادر بين حين وآخر بالاتصال بأسرته بالقريبة ليطمئن أمه وأخاه يونس على صحة أبيه، ثم يتعلل لتسويق السفر إليهما وتأجيله.

نادى الأب على إسماعيل، فدعا له ولأمه وأخيه بالخير، ثم قال الأب لولده: اتركني الآن يا بني.. بعدها بلحظات قضى الأب صالح وأسلم الروح والنفس، فاستدعى

إسماعيل الطبيب ليتأكد من الموت، وليحصل على تقرير بالوفاة.

لم يفكر إسماعيل طويلاً، وسعى لتحقيق رؤيا أبيه، فارتدى قفازين وكمّامة، ثم غسل والده وحده، وكفنه منفرداً، وذهب ليستأجر عربة دفن الموتى واشترط أن تكون العربة من دون سائق.

وبعد صلاة الفجر، حمل إسماعيل والده في كفنه بين ذراعيه المفتولتين، بعد أن فتح صندوق الموتى بالسيارة وأودع أباه فيه برفق، ثم أغلق باب السيارة الخلفي، واقتاد إسماعيل سيارة دفن الموتى إلى القرية.

وقبل وصوله إلى البلد اتصل إسماعيل بأخيه يونس، فأخبره نبأ الوفاة، وطلب إليه أن يرتدي هو وأمهما كمّامة وقفازاً، وأن يصحب أمه وحدها إلى المقابر حتى يلقيا النظرة الأخيرة على وجه أبيهما قبل دفنه، وعند المقابر، أشار إسماعيل بيده إلى أخيه وأمّه أن ابتعدا حتى أنادي عليكما.

أنزل إسماعيل برفق جثمان والده من الصندوق ووضعته تجاه القبلة مُسجّحاً على الأرض، ثم كشف عن وجهه فإذا به يتلألأ في ضوء الشمس كأنه قطعة من ذهب، باسم المحيا، وادع الأسارير، تظلمه هالة نور وبهاء.

نادى إسماعيل على أمه وأخيه، ثم ابتعدا عنهما، فاقتربا يونس وأمّه من الجسد المكفن ونظرا إلى وجه الأب من بُعدٍ ثم أجهشا ببكاءٍ مُوشى بالرضا، مشوباً بالطمأنينة.

قال إسماعيل لأخيه: الآن اذهب أنت إلى المسجد الكبير، ونادِ أن الصلاة جامعة على جنازة أبي بالمقابر.

هُرِعَ الناس إلى مكان المقبرة، وخرجت القرية عن بكرة أبيها، فأقبل أهل القرية زرافاتٍ ووحداناً، شيباً وشباناً، نساءً وولداناً، يحدوهم الحزن، ويسوقهم الصمت والذكر الهامس.

صَلَّى الجميع خلف إسماعيل صلاة الجنازة على أبيه صالح، وسرعان ما احتمل إسماعيل أباه وحده إلى المقبرة، على حين كان يونس أخوه يمنع الناس مشاركة إسماعيل الدفن قائلاً: ربما كانت وصاية أبي لأخي الكبير، من فضلكم لا تقتربوا!

وبعد زهاء ساعة من الدفن والدعاء، أوصى إسماعيل أخاه بالألا يُعلن شيئاً عن وفاة أبيه على وسائل الاتصال، وأن يأخذ عزاء أبيه على المقابر ثم يكمله في البيت.

ثم قال إسماعيل ليونس: الآن أتركك لأسلم نفسي إلى الحجر الصحي، لا تنسَ يا يونس إعادة سيارة الموتى إلى أصحابها، وتطهير صندوق الخشبي.

وعلى حين كان يهمس بعض المشيعين أن الرجل الصالح مات موبوءاً، كان يرد عليهم

مَنْ حَوْلَهُمْ: { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر: ٢٧: ٣٠].

حاول كل من يونس وأمه أن يحتضنا إسماعيل، إلا أن إسماعيل منعهما وابتعد عنهما بسرعة، وأوصى أخاه بأمه خيراً، ثم تولى إسماعيل إلى مركز الحجر الصحي بالمدينة.

وفي مركز الحجر الصحي، أجرى إسماعيل الفحوصات اللازمة، والإجراءات المتبعة، وكانت المفاجأة أن إسماعيل كان براءً من الفيروس، حيث كانت النتيجة سلبية!

سجد إسماعيل شكراً لله، وتذكر كلمات كان علمه إياها أبوه، رؤيت عن خالد بن الوليد رضي الله عنه حين حضرته الوفاة:

«لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي.. حتف أنفي، كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء.»!

ألم أقل لك عزيزي القارئ: إنه الحب حين يكون فوق القانون!

الكلب الفيلسوف

"نقير" و"قطمير" كلبان ضالان، أما "نقير" فلطالما تمنى أن لو خلق بشراً إنساناً، وأما "قطمير" فكان دائم اللهج نباحاً بالشكر لله أن خلقه حيواناً بهيماً ولم يكن آدمياً إنسياً!

وإلى قصتنا..

في ربيع من ربوع القاهرة، بجوار خزان للصرف الصحي، وبالقرب من مكب للنفايات يتاخم مدرسة للأطفال، كان يرتع قطع من الكلاب الضالة، يدوي نباحهم نهاراً، وينطلق عواوهم مساءً، ويصاعد دويهم ليلاً، ليبلغ ذروته سحراً وفجراً، وذلك كل ليلة حتى يتنفس الصباح وإلى أن تتبوأ الشمس باكورة مقاعدها في السماء.

نقير: ألا ليتني كنت إنساناً مكرماً، فلا رجم يؤذيني، ولا زجر ولا طرد ينال مني.

قطمير: صديقي، احمده الله على خلقك فهو الذي خلق فسوى ثم قدر فهدى.

نقير: مُد ولدتُ وأنا أتقلب بين بأساء وضراء، فما أكاد أنجو من خنق طفلٍ بحبلٍ حتى

أقع هدفاً لقذفٍ غيره بحجر!

قطمير: كُنَّا مُنِي خِلَالَ أَعْطَافِ حَيَاتِهِ بِخَنْقٍ وَرَبْطٍ، وَجَرٍّ وَضَرْبٍ، فَضَلًّا عَنِ السَّبِّ وَالزَّجْرِ، وَالْحَمْلِ عَلَيْنَا وَالرَّكْلِ.

نقير: الْإِنْسَانُ سَيِّدٌ مَعَزَزٌ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ، وَفِي مَسْكَنِهِ وَمَنْكَحِهِ، لَا تَكَالِبُ يَعْتَرِيهِ وَلَا مَغَالِبَةَ، وَلَا مَضَايِقَةَ تَكْتَنِفُهُ وَلَا مَشَاكِسَةَ.

قطمير: لَسْتُ مَعَكَ، فَالْبَشَرُ أَنْوَاعٌ وَصَنُوفٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُودُهُ دِينُهُ وَخُلُقُهُ وَإِنْسَانِيَّتُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْكَعُ لِهَوَاهِ وَيَذَلُّ لَشَهْوَتِهِ.

نقير: إِنْ سَبَقَ أَحَدُنَا إِلَى طَعَامٍ هُرِعَ إِلَيْهِ كَلَابٌ آخَرُونَ، فَأَحَاطُوا بِهِ يَخْطِفُونَهُ مِنْ بَيْنِ أُنْيَابِهِ بِكَرٍّ وَفَرٍّ، وَزَمْجَرَةٍ وَهَبَشٍ وَخَمْشٍ.

قطمير: أُنْسِيَتْ ذَاكَ الْإِنْسِي السَّائِقِ الْغَشُومِ الَّذِي سَبَقَهُ زَمِيلُهُ لِإِرْكَابِ ثَالِثٍ، فَأَنْزَلَ الرَّابِكَ وَأَوْسَعَ أَخَاهُ سَبًّا وَرُكْلًا وَصَفْعًا.

نقير: حَيَاتُنَا بَيْنَ مَبَاءَاتٍ وَقَادُورَاتٍ، وَمَكَبَّاتٍ وَقُمَامَاتٍ، وَحِينَ يَذْرَعُنَا بَوْلٌ أَوْ غَائِطٌ نَلُودُ بَرْكَانٍ حَائِطٍ، أَوْ نَنْزَوِي بِقَائِمَةِ جِدَارٍ.

قطمير: انظُرْ بَعِيدًا هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْإِنْسِي الَّذِي يَسْتَقْبِلُ حَائِطًا يَغْمُرُهُ بَبُولُهُ، وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَتَوَارَ خَجَلًا فَقَعَدَ قَعْدَةَ الْقَرْفُصَاءِ.

نقير: طَعَامُنَا فَضَلَاتٌ أَكَلِ الْبَشَرِ، وَشَرَابُنَا مَاءٌ آسِنٌ، فَإِنْ صَفَا وَطَابَ كَانَ مَاءً مَطْرًا.

قطمير: مع نهاية هذا السور، بالليل والنهار، تجد شُبَاناً وكُهولاً وشِيباً يَثْمَلُونَ
ويترنحون، شرابهم الحشيش والخمور والقات، والبانجو والأفيون والمخدرات.

نقير: تراوجنا في مواسمٍ جدّ قليلة نسترقه بالغسق والشحور، أو نقتنصه بمنأى عن
عيون الناس في البكور.

قطمير: صديقي، إن زواجنا نرجو به حفظ النسل، قبل قضاء الشهوة بالوطء، فلا ترى
أنتى تُمكن ذكراً من اعتلائها ما دامت قد علقت منه أو من غيره، لا خيانة فينا، ولا
فاحشة بيننا، ولا اختلاط أنسابٍ عندنا، ولا ثمة قتل ولا إجهاض.

نقير: البشر يُوثقون عقود زواجهم، ويحتفلون سعداء بها، ثم هم يحتفون بعرضها.

قطمير: ومن البشر من يصطحبون الإناث رخيصةً دون خطبةٍ أو عقدٍ زواجٍ ونكاح.

نقير: ربما كانت صداقات بريئة أو مُدارسة قبل الصدع الرسمي وإعلان الزواج.

قطمير: ليلاً، وراء هذا السور البائس الحزين، وفي حُلْكة الظلام البهيم، ترى ألواناً من
الرقيق الأبيض وصنوفاً من نخاسة بيع الأجساد.

تبدأ حفلات هؤلاء الدُّعار بالتوجُّس الخائف، فالحوار الهامس، ثم بالتداني والتلامس،
مروراً بالتلازم والتعانق، ثم سرعان ما يختلط مجون الضحكات بحرارة الأنفاس واتحاد
الأجساد واندماج الشفاه!

نقير: هل هي علاقات خارج إطار الشرعية والزواج؟

قطمير: ويحك.. أين نور الشرع من خنا هذا الظلام؟!

ألا تزال ترنو الآن لأن تكون بشراً أو تُسَخَطَ ذات يوم كإنسان؟!

نقير: لا، فحيأة إنسانٍ فاجرٍ لخير منها بهيمة الحيوان!

الصرصور العاشق

في بستان حديقة وارفة الظلال، باسقة النخيل والأشجار، شهية الحسن والجمال،
مُزدانة بالورود والأزهار، وأثناء أفول الأصيل، كان صرصور الحقل يُغني طرباً لاستقبال
المساء وحلول الليل والسكون، وذلك بعد احتضار جلبة النهار، على حين كانت آخر
الفراشات تلمم رداء بديع جناحيها، قبل أن تستقل إحدى وريقات الشجر للمبيت
والمأوى.

نظر الصرصور إلى الفراشة فهزه الوجد، وداعبه العشق، فشرع يصفر ويعزف مولياً
وجهه صوب الفراشة، رافعاً عقيرته كمغنٍ موهوب، أو عاشقٍ ثمل، أو مترنم مجذوب
معمود، أضناه الهوى وبقلبه استبد.

ومع الهزيع الأخير من الليل، تعالى صرير الصرصور، فانتبهت له أهداب الفراشة
الوسنى، فتشاءبت وانثنت، وتمطت وتناقلت، ثم حرّكت وديع جناحيها، ودفست رأسها
بينهما وعادت للاستكانة والنوم.

ومع الإشراق الأولى للنهار، انتفضت الفراشة كتلميذة تخشى فوات طابور الصباح،
غسلت وجهها بقطرة ندى حديثة عهدٍ بالسماء، ثم أسلمت جناحيها للهواء، وطفقت
تطير مُختالة، وتتمايل مُعجبة، تهبط تارة، وتصعد أخرى، فرمقها الصرصور بين حلم

الكَرَى ويقظة الوسنان وأجفانه تغالب الدَّعَى والنوم، لكن سرعان ما استسلمت عيناه
لأسر السَّنة وسُلطان الغفوة، وداعية الرُّقاد.

وفي نَوْمَة الصُّرُور، دار هذا الحوار بينه وبين الفَرَّاشَة:

الصُّرُور: أنا مَنْ كان يعزف على قِيَّارة الحبِّ طَوَّال الليل.

الفَرَّاشَة: أقلقنتي يا لك من مُزعج قبيح المرأى سيئ الصوت.

الصُّرُور: أردتُ إسعادك ببثي رسائل شوق بمحراب هواك، تماماً كما عبر الشريف
الرضي قائلاً:

أَنْتِ النِّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْعَذَابُ لَهُ ** فَمَا أَمْرُكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكِ

عِنْدِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكَرُهَا ** لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَانْ

الفَرَّاشَة: كم يُعزُّ العِشْقُ ويرفع حشراتٍ ويُرزي الفضولُ بآخرين وأخريات!

رغم صدَّ الفَرَّاشَة مغازلة الصُّرُور، واستنكافها له، واختيالها وتأبيها عليه، فقد قرر أن
يحدِّث أباه في شأن الارتباط بها، والتقدُّم لخطبتها، والزواج منها..

الصُّرُور: أبا الصَّرَّار الكبير، فراشتي قد هامَ بها خاطري وترنمَ فَمِي.. أحبُّها من كلِّ
رُوحِي ودمي!

الصَّرَّار: تالله إنك لفي ضلالٍ مبین.. يا لك من أحقق شَقِيَّ غَرِير!

الصُّرُور: حين يَمَسُّ الهوى قلوب العاشقين، لا يابه لعصفه عقلٌ ولا تفكير.

الصَّرَار: بل لا بد من إعمال عقل وعميق تفكير.. بعد طول رَوِيَّة وتمهّل وتدبير.

الصُّرُور: ألسنا في عالم الحشرات كلُّنا يا أبتى سواء؟

الصَّرَار: لا، لا تستوي فراشات ناعمات طَاهِرَات، وجنادب ليلٍ وصراصيرُ بالوعات!

لا تستوي أهدابٌ وبديعُ أزياءٍ وعُطور، مع سَوَادٍ وشواربٍ وقبيح قُرُون.

الصُّرُور: سأسعدُها بولهي لها وهي لا شك ستألّفني وتعشقني.

الصَّرَار: يُبْنَى الزواجُ على كفاءةٍ ومعدلةٍ، قبل حُمى الحُبِّ، وعدوى العشق، وسكرة

الهَيَامِ والوَجْدِ.

الصُّرُور: وإذا أصررتُ يا أبتى على حُبِّ فراشتي؟

الصَّرَار: ألم تتعظي يا لُكَّع من عشق الغرابِ لليمامة، وما باء به ومُني من سُخرية في

حفل الخطوبة وندامة، هل نسيت ماذا كان يُنشد المُطرب في ذلك الحفل؟

"بطلوا ده واسمعوا ده

ياما لسه نشوف وياما

الغراب يا وقعة سودة

جوزوه أحلى يمامة

هي كانت فين عينيك يا يمامة

لما دورتي بإيديك ع الندامة"

لم يكتَرِث الصُّرُصُور بنصح أبيه الصَّرَّار، وتوجه إلى الفَرَّاشَة في باكورة النهار..

الصُّرُصُور: أميرتي مليكتي.. كم أسرتني بلطفك وتيمّنتي برقتك!

الفَرَّاشَة: ألا تزال مأفوناً صبّاً عاشقاً لبابِ حُبي له راغب طارق؟!!

الصُّرُصُور: كأنما خُلقتُ عيني لتنعّم برؤيتك ورسمك.. وقلبي ليخفق دوماً بحبك

وذكرك.

الفَرَّاشَة: وبهائي وضوئي.. وسواذك وقبحك؟!!

الصُّرُصُور: ألا يكفيك مني عملٌ وأملٌ.. إخلاص دائمٌ لك وحدب؟!!

الفَرَّاشَة: وجمالي وطهري.. وحسني ونقشي؟!!

الصُّرُصُور: جمالك أبداً لن يزول، وبخسنتك أنا مُتيمّم مفتون.

الفَرَّاشَة (مُطرقة في حُبث): قبلتُ التحدي إن أنتَ يا هذا ارتضيتَه؟!

الصُّرُصُور: رضيتُ منك كلَّ شَرطٍ وإن نأى، وكلَّ قَيْدٍ وإنْ عَزَّ وعزَّب.

الفَرَّاشَة: شرطي ومهري أن نظير معاً.. أسبقك فتلحقني.. كعُرس نَحْلٍ علا في السماء.

الصُّرُور: هذا هو مُنية القلب.. وذاك المُشْتَهَى.

الفَرَّاشَةُ: صِهٍ لا تَعْجَلِ.. فلم أنته بَعْدُ من كَلِمِي.

الصُّرُور: تفضلي أميرةً نهاري ومليكةً مسائي وليلي.

الفَرَّاشَةُ: سنطير في موكب العرس معاً، وسأدنو بك إلى الأرض ليشهد حَفَلنا البَشَرُ.

الصُّرُور: بل سيشهد زفافنا كلُّ الدُّنا والسَّموات العُلا.. نجوم وأقمار.. وليل ونهار..

وبحار وأنهار.

طارَتِ الفَرَّاشَةُ وفي الهواءِ حَلَّقَتْ، ثم هَبَطَتْ إلى الأرضِ واقتَرَبَتْ ودنَّتْ، ثم جَنَحَتْ

أخرى مرتفعةً وعلَّتْ، فإذا بها ترقُبُ على مد البصرِ مرحِ أطفالٍ وعجيبِ تسابقٍ منهم

في لهوٍ ونزقٍ.

انطلقت الفَرَّاشَةُ يتبعها الصُّرُورُ شَطْرَ لَعِبِ صِغارِ البشرِ، فإذا بالأطفالِ يطاردون في

حِقَّةٍ وطَيْشٍ ما دنا من نِحلٍ وطيْرٍ، وجرادٍ وحشراتٍ..

الفَرَّاشَةُ: هيّا تعالِ يا صُرُورِي اتبعني لا تَوَجَلِ ولا تَخَفِ.

الصُّرُور: كيف أهابُ عروستي؟ سأقْبَلُ لا رَيْبَ ولا رَهَبِ.

الفَرَّاشَةُ: اقتربِ إذن من أطفالٍ هم كنجوم السماء والدُّررِ.

الصُّرُور: حسناً سأريكِ جَسارتي.. فمَعَدِنِي من فُولاذٍ وذَهَبِ.

لَامَسَتْ الْفَرَّاشَةَ الْأَرْضَ، ثُمَّ لَازَتْ بِالْفِرَارِ وَالْهَرَبِ، عَلَى حِينِ أَصَابَ طِفْلًا الصُّرُورَ
بِنَعْلِهِ، وَنَادَى أَصْحَابَهُ أَنْ هَلُمَّ جَمِيعًا لِقَتْلِ وَتَنْكِيلِ وَعَبَثِ!

قطمير والراعي الصغير

في بادية من البوادي النائية، كان الغلام "عامر" يستيقظ من نومه مُبكراً، يُصلي الغدَاةً بالبيت إن فاتته جماعة المسجد، ثم يبادر إلى متاعه، فيعد طعامه وشرابه، وطعام وماء كلبه الوفي "قطمير"، ويهيئ مظلته وقوسه ونبله ومكتله وعصاه.

أحب "عامر" مهنة الرعي، ووجد في عنايته بالقطيع متعة المسؤولية، وفي رعايته له بهجة القيادة، وفي سلامته من الضواري، ونجاته من المخاوف والمخاطر واجباً وضميراً يبرهن بهما على قدرته وثقته بنفسه، وفرحته ونجاحه بإتقان عمله، ومعية ربه.

عَرَفَ الناسُ "عامر" بقوته وأمانته، واعتادوا منه الجدية والاستقامة، فعهدوا إليه مطمئنين بأغنامهم وشياهم التي كانت تُردُّ إليهم في عافية مصونة الدر، آمنة النسل، نامية العدد والكم.

وفي يوم صائف قائف، جلدت فيه الشمسُ ربوع الصحراء بسياطٍ من نار، حتى كانت تتراءى كتل دُخان من السراب أمام ناظري "عامر" الذي نحا بالقطيع مكاناً ظنه أوفر عُشباً، وأفياً ظلاً، وأكثر أمناً، ثم احتسى بظل شجرة لم يتبقَّ من أوراقها شيء، قد تحورت فروعها وغصونها إلى أعواد حطب يابسٍ هزيل.

وحين تبوّأت الشمس كبد الزوال، قام "عامر" يتوضأ ضنيناً بما معه من ماء، ثم أقام صلاته مستقبلاً القبلة متوجهاً إلى قطيعه.

وفي السجدة الأخيرة من الركعة الرابعة، شعر "عامر" بأصوات القطيع تتعالى، وبحركاته تضطرب وضجيجه وثغائه يتوالى، وما إن انتهى من الصلاة، حتى أمسك بعصاه الغليظة، وعدا يسابقه كلبه الوفي قبالة الصوت صوب الاستغاثة.

اقتحم "عامر" القطيع يرمق حوافه بنظرات دائرية تحيط بأطرافه، وتلم بأعماقه وأركانه، كانت نظراته مزيجاً من القلق والتوجس، والتربص والتيقظ، ثم استبان له جلية الأمر فإذا بعنزة تتعسر في ولادتها، وإذا بذئبين ماكرين يلوحان يتحيان الفتك بالوليد الوشيك.

انطلق "عامر" بعصاه للهجوم على الذئبين، يؤازره كلبه، فسدد ضربة قوية برأس أحد الذئبين، فجعل الذئب يترنح ويعوي، ثم استجمع ما بقي لديه من قوة ووعي وأطلق سيقانه للريح.

على حين اشتبك "قطمير" مع الذئب الآخر في معركة دامية، كاد الذئب فيها يفتك بالكلب لولا أن تداركه عامر مُوجهاً بعصاه الغليظة ضربتين متتاليتين، هوى بهما على أم رأس الذئب؛ ما حفز قطمير على استجماع قواه والفتك بالذئب المهيبض وقتله.

وفي نهاية المعركة ضمّد "عامر" جراح كلبه، ووعدّه بوجبة دسمة يشكره بها على صنيعه، ويستردُّ بها الكلب عافيته.

احتمل "عامر" في مكنته العنزة الوليدة، وقد زوّر في نفسه أن يزوّد قطيعه بزوجة لكلبه "قطمير" تؤنس وحدته، وتساعدّه في مهامه، لا سيما بعد أن ازداد عدد القطيع فصار مطمعاً للمتربصين والمتربصين.

حمار جحا

شَهِدَ حِمَارٌ جُحَا مَا صَنَعَهُ صَاحِبُهُ بِخُرُوفٍ كَبِيرٍ نَحَرَهُ فِي عِيدِ الْأَضْحَى الْمُبَارَكِ، وَقَدْ لَاحِظَ الْحِمَارُ أَنَّ جُحَا حِينَ أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِيَ أَضْحِيَّةً مِنَ الْخِرَافِ اخْتَارَ أَكْبَرَ الْخِرَفَانِ حَجْمًا، وَأَوْفَرَهَا لَحْمًا، وَأَقْوَاهَا بَنِيَّةً، وَأَصْحَاهَا جَسَدًا.

خَافَ الْحِمَارُ الْمَوْتَ عَلَى نَفْسِهِ، فَفَرَّرَ أَلَّا يَقْرَبَ الطَّعَامَ عِنْدَ حُلُولِ مَوْسَمِ الْأَضْحَى إِلَّا لِمَامًا، بِقَدْرِ مَا يُبْقِي فِيهِ رَمَقَ الْحَيَاةِ، وَيُنَجِّيهِ مِنْ عَصْفِ سَكِينِ الْقَصَّابِ، فَعَزَفَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى بَدَأَ عَلَيْهِ الضَّعْفُ وَتَلَبَسَهُ الْهُزَالُ.

دَخَلَ جُحَا حَظِيرَتَهُ وَقَدْ حَزِنَ عَلَى مَا أَلَمَّ بِالْحِمَارِ مِنْ عِلَّةٍ حَسَمَتْ وَزَنَهُ، وَأَوْهَتْ جِسْمَهُ، وَكَشَفَتْ عَنْ هَيْكَلِهِ وَعَظْمِهِ..

جُحَا: حِمَارِي الْعَزِيزُ، تُرَى مَا أَصَابَكَ.. مَا الَّذِي دَهَاكَ؟

الْحِمَارُ: أَنَا بِخَيْرٍ، فَقَطْ أَبْغِي النِّجَاةَ مِنَ الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ.

جُحَا: لَيْتَنِي أَفْهَمَكَ أَوْ أَسْمَعَكَ فَأَعْرِفَ مَرَضَكَ وَعَلَّتَكَ!

الْحِمَارُ: أَخْشَى يَا جُحَا أَنْ أَبْدُو سَمِينًا فَتَشْحَذَ سَكِينَكَ.

وفي الصباح، اعتزم جُحًا أن يذهب بالحِمَارِ إلى البيطار، يلتمس دواءً وشفاءً للمرض
العُضال..

جُحًا: سيدي البيطار، أدركني هيا أنقذ الحِمَار!

البيطار: اقترب مني واحك.. ما الذي صار؟

جُحًا: قد كان نعم الحِمَار في سيرٍ وحقلٍ ودار.

البيطار: ثم ماذا جرى.. أوقفني على الأسرار؟

جُحًا: قد عافَ فُجَاءةً عَلفَ الليل وكلاً النهار.

البيطار: هذا دواؤه اخلطه جيداً مع دَلْوِ ماء.

وبعد ثلاثة أيام..

جُحًا: ساءت حال الحِمَار ولم يُفلح معه شرابٌ ولا دواء.

البيطار: قرب له أتانا فتسرّي عنه ما يجده من الضّراء.

وبعد يومين..

جُحًا: الحِمَار لم يذق طعاماً ولم يهزج بالأتان!

البيطار: حِمَار لا يُحرّكه وجدانٌ ولا هجران؟!!

جُحا: نعم، لم يتحرك فيه شيء ساكن ولا يقظان.

البيطار: لِمَ تَقْتَنِ ما لا ضوء فيه.. ولا نيران؟

جُحا: وماذا أصنع به.. بعد الجفافِ والهزال؟

البيطار: اطرحه أرضاً أو بَعُهُ بأبخس الأثمان.

جُحا: ومن يشتري عليلاً بائناً الضَّعْف والهَوَان؟

البيطار: أطعمه كاسرَ طيرٍ.. أو ضاري حيوان.

بائع الجيلاتي

قَبْلَ انسلاخ عَقْد السبعينيات بقليل، ومع مُستهل الثمانينيات، حين كانت تشتد شهور الحرّ الصائفة، كان يعلو صوت "عم سيد" ندياً عقب صلاة العصر إلى ما بعد العشاء في أرجاء "أبوقتادة" بمحافظة الجيزة: "بتاع الحلو وصل!"

كُنَّا صبيةً دون الحُلْم، وكان "عم سيد" خمسينياً، قمحيّ اللون، ذا شارب محفوف، طويل القامة، أحذب الظهر، كنتُ وأقراني نحسب أن ظهره انحنى من كثرة ما يخفضه ويرفعه لينهل من ثلاجة "الجيلاتي" بملعقة معدنيّة لامعة نظيفة ومعقوفة.

كثيرون هم الذين كانوا يجولون بعربات الجيلاتي، يرتدي الواحد منهم جلباباً واسعاً، يبدو الصديري من خلال فتحة صدره الرحبة، وكانت جلاليتهم ذات فتحات جانبية كبيرة تُفضي إلى ما استبطنوا من ملابس، كشأن معظم بائعي الفواكه والتين الشوكي في مصر كأنهم تواصلوا به!

كان معظم بائعي الجيلاتي شُبَّاناً من الأرياف والأقاليم القريبة، على حين كان "عم سيد" موظفاً صباحاً، متأنقاً بعشقه لتصنيع وبيع الجيلاتي مساءً، متفنناً في عمله وورصته وتشكيله، وتطعيمه وتطريزه بجوز الهند والزبيب.

كُنَّا نَحَارُ عند عربته هل نطلب إليه كوباً أم قرطاساً من بسكويت؟ لو طلبنا منه كوباً لكان الجيلاتي أكثر والمبلغ أعلى، ولو أردناه قرطاساً لاستمتعنا بطعم البسكويت اللذيذ الشهّي مع كونه أرخص!

كان "عم سيد" غالباً ما يرتدي زي الموظفين: بنطالاً طويلاً زيتي اللون وربما كان أسوداً أحياناً، وقميصاً فاتح اللون دائماً، قد شَمَّرَ كُمَيْهِ عن ساعديه، مجففاً عرقه بمنديل قماش يبدو نظيفاً ناصعاً.

كان الرجل أنيقاً في هندامه وعربته وبضاعته، يخال الناظر إليه أنه يخسر في تجارته، فكل شيء يبيعه كان طبيعياً، لبن "الفانليا" خالص صافٍ سائغ بعد تجميده للأعقبن، والمانجو تسبق رائحتها طعمها، ويطغو جمال طعمها على جلال رائحتها، والشيوكلاتة مُبهجة اللون، رائحة الطعم، سائغة المذاق تشي عن مكانها وتحدث أخبارها!

أما العربة فكانت عروساً في ليلة زفافها، عجلاتها مرتفعة لتناسب طول قائدها، خشبها قوي متوازٍ، منقوش عليه رسوم أطفال، وبعلو العربة مظلة سابعة مُنمّقة، مزيلة بدرّاجة للقائد يركبها إن أراد أن يُسرّع، ويُزججها إذا تكاثرت من حوله الزبائن.

كان هناك كشّاف ورايو مُعلقين بالعربة، ينير "عم سيد" الكشاف حين يحل الظلام، أو تنقطع الكهرباء، أو عندما يجوس خلال أحشاء شارع، أو يدلف إلى عطفة وحارة لم يسر في شريانها بعد تيار الكهرباء ووهجها.

أما المذيع فكان يستهله بحفلة "أم كلثوم" مع الخامسة عصراً، ثم مع دقائق الثامنة مساءً كان الخشوع والسكينة يتنزلان على العربة ومَن حولها بتلاوة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم.

وفي حوار لـ "عم سيد" الذي كان فيما يبدو متحفظاً كتوماً لحياته الشخصية، فرضه عليه "ألفي" ذلكم الرجل الثَّثار، أحد زبائنه من الكبار، الذي كان يحلو له الفضولُ ويطيبُ له ليلَ نهار..

ألفي: لماذا لا تُوجِّرِ عريتك صباحاً فتكسب أكثر؟

سيد: العربة جزء من عملي والعمل بضمّة ونفَس.

العربة مثل زوجة مَصُون لا يلمسها إلا زوج أو مَحْرَم.

ألفي: الصباح وقته طويل للرزق الوفير والمكسب!

سيد: أنا موظف بالصباح.. إن كنت لا تدري أو تعلم.

ألفي: كنتُ أود شراكتك لكن يبدو أنك لستَ ترغب!

سيد: راضٍ أنا بقدري.. موقن برزقي.. بعيداً عن الشُّرك.

ألفي: لكن كسبك ربحه قليل.. وعائده هيِّن.. جدّ يسير.

سيد: أنا مؤمن ببركة عائدٍ قليلٍ.. يزداد مع البيع الكثير.

بعد أن ضاق "عم سيد" ذرعاً بملاحقة "ألفي"، وإصراره على الشراكة معه بأي صورة من الصور؛ ثم بتدخله لمعرفة تفاصيل أكثر عن حياته الشخصية؛ أدار المذيع تخلصاً

من التثرثرة، فإذا بـ "أم كلثوم" تشدو:

حيّرت قلبي معاك.. وأنا بداري واخبي

قل لي أعمل إيه ويّاك.. ولا أعمل إيه ويّا "ألفي"!

بائع العرقسوس

في ضاحية "أبو قتادة" كان "حنفي" يرفع عَقِيرَتَه وهو يجرّ عربته المعدنية ذات الصفيح الأبيض الأملس صيفاً: "خمير يا عرقسوس"، "سوييا وخروب"، وفي الشتاء كان يدفع العربّة ذاتها منادياً: "حلبسة.. حمص الشام."

كان "حنفي" أبيض البَشْرَة مُشرباً بحُمرة، فارح الطول، ذا صحة موفورة، ونفسٍ قانعة، وقلبٍ راضٍ، يرّدّ تحية المارين في ابتسامة وإقبال سواء اشتروا منه أم لم يكونوا من المشترين، وكان يتردد دوماً بين ناصيتي الشارع ماراً بـ"برسومة" بائعة الطيور، و"مكتبة مهدي"، وغيرهما من المحالّ.

على الناحية المواجهة من الناصية كان "غريب" يقف صامتاً متوجساً، مراوحاً بين ذهابٍ ذئب، وإيابٍ ثعلب؛ لبيع المخدرات خُلْسَة بين حشيشٍ وأفيون، وحبوبٍ وهيروين.

كان "حنفي" يرى "غريب" ويدعو له كل يوم بأن يتوب الله عليه، بل كان كثيراً ما يجابه "غريب" بأنه لا يفتأ يمقت وقفته وتجارته حتى يُقلع عنهما ويُحيلهما إلى تجارة حلال.

وذات ليلة دار حديث بين "حنفي" و"غريب" يراود فيه الأخير الأول كي يعمل معه في ترويح المخدرات وبيعها..

غريب: مساء الخير يا "زُمل".

حنفي: مساء النور، ما كنت يوماً لك زميل عمل.

غريب: نحن أبناء منطقة واحدة وشارع وناصية.

حنفي: كأنك تريد أن تقول شيئاً؟

غريب: ما رأيك في أن يزيد دخلك من دون تعبٍ ولا كبير عناءٍ عمل؟

حنفي: يزيد رزقي دون جهدٍ ولا نصَبٍ.. كيف يكون ذلك يا رجل؟!

غريب: سأودع في عربتك أمانة عندما يلوح أو تبدو لي أماراتُ خطر.

حنفي: ثم ماذا؟

غريب: أستعيدها عندما ينجلي الخوفُ وتتبددُ التُّهم.

حنفي: وكم رصدت لهذه المهمة وذاك العمل الخطر؟

غريب: ثلاثة أضعاف ما تجنيه مع البأساء والشظف.

شعر "حنفي" بوخزة في قلبه وانقباض في نفسه، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم دعا "غريب" أن يُقلع هو عن عمله الحرام، ووعدته بأنه سيساعده في البحث عن عمل بديل حلال.

وفي نهاية المساجلة والحوار، طلب "حنفي" إلى "غريب" أن يفكر جدياً في الأمر، ثم يوافيه غداً بالرأي والخبر..

وفي الصباح.. شرع "حنفي" يعمُر عَرَبَتَهُ، ويجهِّز بضاعته، وأدواته وثلجه، ثم بدأ يجرها ونهض يمارس طقوسه وعمله، وعلى إحدى ناصيتي الشارع توجه إليه "غريب"، لكن "حنفي" استبقه قائلاً:

حنفي: ماذا قلتَ وعلامَ عزمتَ.. فكم دعوتُ بخيرٍ لك ورجوت؟!!

غريب: وهل يصلح مثلي لعمل شيء؟

حنفي: ستعمل معي إن قررتَ وتحررتَ.

غريب: هل سأشاركك عربة العرقسوس؟!!

حنفي: للأسف العربة لا تنهض بفتح بيتين!

غريب: ولو تركتُ عملي فقيمَ سأعمل إذن؟

حنفي: اعقد النية وعلى الله القصد والرشد.

مضى "غريب" إلى بيته في نهاية ليلته يفكر للمرة الأولى في أمر توبته بعد تركه العمل،
ثم نام فإذا به يرى صخرة صماء قوية ملساء وهائفاً يهمس:

هيا "غريب" .. اقتحم العقبة .. اكسر الصخرة .. افلق الحجر، فلما كسرهما - بعد لأيٍ -
وجد داخلها دودة ترعى بجوار نقطة ماء وشيء من مادة خضراء!

أفاق "غريب" شديد التأثر برؤياه، وفي الصباح هرع إلى "حنفي" وقصها عليه فأولها له
بأنها رسالة من السماء ليتوب توبة نصوحاً، ولا يحمل هم الرزق، وحينما قال "غريب"
لـ "حنفي" لكن ماذا سأعمل الآن؟

قال له "حنفي": "بادر فوراً وتخلص مما لديك من تبعات وأدران المخدرات .. واجهز
لتبيع تيناً وذرة .. وليموناً وخضرة.

ومنذ ذلك الحين صارت الناصيتين زاخرتين ببيع وشراء العرقسوس والليمون، والذرة
والتين، وكان كلما صدع "حنفي" بـ "خمير يا عرقسوس"، صدح "غريب" بـ "أبو حلاوة يا
تين!"

وكان يحلو لـ "غريب" أن يستمع إلى راديو "حنفي" المعلق بالعربة، وكان أكثر ما
يستهو به رائحة طاهر أبو فاشا "الرضا والنور" التي بثتها "أم كلثوم" روحاً عمقت فرادتها
وخلدت جمالها وجلالها:

أوقدوا الشمس *** انقروا الدفوف *** موكب العروس

في السما يطوف*** والمنى قطوف

الرضا والنور*** والصبايا الحور*** والهوى يدور

آن "الغريب" أن يرى حماه*** يومه القريب شاطئ الحياه

يا حبيب الروح*** تائه مجروح*** كله جروح

لائد بالباب*** شوقه دعاه*** والرضا رحاب....

العجلاتي

منذ أربعين عاماً ونيف، كان صبية المناطق الشعبية مولعين بتأجير الدراجات كلفين بقيادتها؛ فقليل من كان منهم يمتلك عجلة؛ لذا كان أكثرهم يقصدون عجلاتي المنطقة ليستأجروا منه الدراجات مختلفة الأحجام، متباينة الأشكال والهيئات والماركات.

كان هناك ثلاثة عجلاتية في منطقة "أبوقتادة" موزعين في جنباتها توزيعاً جغرافياً يبدو عادلاً، فهذا "فؤاد" في القلب، وذلك "فوزي" بين العمق والطرف، يقبع متوسطاً بين زميلي مهنته "فؤاد"، و"أم أحمد" التي كانت على أرجائها.

كنتُ في منطقة هيمنة "فؤاد" العجلاتي، ذلكم الرجل الأربعيني، كان ربة (وسيط القامة)، ناعم الشعر خفيفه، عرك الأطفال وفهمهم، فعلى الرغم من أنه كان طيب القلب، إلا أنه كان حاسماً مع الأطفال، حريصاً على العُبوس وإبداء شيءٍ من القسوة والعنف..

طفل: أريد ربع ساعة بالعجلة الليبي.

فؤاد: الآن وربع.. قبل ونصف تأتيني.

طفل: أمرك يا "عم فؤاد".

فؤاد: هاتِ ساعتك رهناً حتى تعود.

كان الناظر إلى "فؤاد" يُخَيِّلُ إليه أنه فَظُّ اللسان، قاسي القلب، غليظ الجَنَان، لكنه كان يتعامل مع الأطفال من واقع خِبرة وِحكمة، فكان كثيراً ما يُقَدِّمُ ساعتَه خمس دقائق؛ لأنه يُدرك أن الأطفال سيتأخرون عن مواعيدهم عَشْرَةَ دقائق على الأقل..

طفل: أريدُ نصفَ ساعة بتلك العجلة الرالي.

فؤاد: الآن العاشرة.. تأتيني ونصف بالثواني.

طفل: سألعبُ هنا أمام ناظريك.

فؤاد: هيا انزع الآن رهناً نعليك.

طفل: نعلي تساعدني على التبديل.

فؤاد: اخلع.. أو لا عَجَلٍ ولا تأجِير!

عَرَفَ الأطفال أمر رهن الساعات والأحذية، فكان بعضهم يذهب إلى "فؤاد" مستأجراً

حافي القدمين، مجرداً من ساعتَه، هذا إن كان لديه ساعة.

وفي إجازة نصف العام..

طفل: أريد ربع ساعة بدراجة السباق الحمراء.

فؤاد: اخلع.. هي مؤجرة ولا يوجد غير الزرقاء.

طفل: ليس معي ساعة.

فؤاد: اخلع إذن النعل.

طفل: ليس معي شيء.

فؤاد: إن تأخرتَ عن موعدك سأجرّدك من "البجامة!"

وحين يتأخر أحد الأطفال كثيراً عن مواعده، كان "فؤاد" يستعين بولدٍ له، فكان هذا

الغلام يركب دراجة يشق بها الأرض بحثاً عن العجلة والمستأجر، فإذا ما أحاط بهما،

عَنفَ الطفل وأركبه أمامه، ثم اقتاد الدراجتين معاً إلى أبيه "فؤاد.."

فؤاد: أين كنتَ يا روحَ أبيك.. وقلبُ أمّك؟

طفل: سامحني.. عذراً.. فضلك وعفوك!

فؤاد: تأخير وتعطيل أين كان سعادتك؟

طفل: ليس معي نقود سوى ما أعطيتك.

فؤاد: ستظل هنا حتى يأتي ذووك وأهلك.

طفل: أنا تبتُ.. انتهيتُ وحرّمت.. حنانيّك!

فؤاد: وجهك إلى الحائط.. وارفع ذراعيك.

وحين كان الطفل يبكي بعد دقائق معدودات من العقاب، كان قلب "فؤاد" يرقُّ له، بعد أن يُوقن أن أحداً لن يأتي لخلاص الطفل، فإذا به يُوسع الطفل سباً، ثم يمنُّ عليه بإطلاق سراحه دون فداء!

وذات مرّة لم يكتفِ صبيُّ بتأخره عن مواعده، بل راح يسابق أقرانه، ثم سَوَّلَ له نفسه أن يباري بعضَ السيارات، وكان الصبيُّ يلتفت يَمَنَةً وَيَسْرَةً، ومن بين يديه ومن خلفه لِيُحْكِمَ الاستباق.

وفي لحظةٍ غفل فيها الطُّفل؛ حيث التفت فيها يميناً فأطال، فإذا به يصطدم بصندوق قُمامة حديدي ضخم كان مستقراً على اليسار؛ فانقلب الطفل مُعافى وتحطمت الدراجة وانكسرت نصفين!

وفي محل "فؤاد" كان الطفل يبكي مُعاقباً رافعاً ذراعيه، وحين تأثر بعضُ المارة بكائه كان "فؤاد" ينهاهم عن التدخل، ويُريهم شقي الدراجة المنشطرة نصفين، فيمضي المارة لا يقدرّون على شيء مما أرادوا ورجبوا، لكنَّ امرأةً عابرةً هي التي استطاعت إنقاذ هذا الطفل وفكَّ أسرِه..

المرأة: ما هذا يا رجل.. أين الشفقة.. أين الرحمة؟!

فؤاد: ارحميه أنتِ وادفعي له ثمن اللحم والإصلاح.

المرأة: لو كان معي لدفعتُ من فوري.

فؤاد: اذهبي إذن من أمامي وامضي.

انصرفت المرأة بصُحبة الطفل بعد أن أسرت إلى "فؤاد" بكلمة واحدة، جعلته يكفكفُ

دموع الصبي، ويمسح رأسه، ويُطلق سراحه، لقد أخبرته المرأة بأن الطفل "يتيم!!"

الذبابة الحمقاء

في إحدى رياض المعمورة استيقظت عنكبوتٌ على صوت طنين ذبابة هَزْجَة، كانت تختال تطير لحظةً وتحطّ لحظات، كأنها تتمثل قول عنتره في معلقته:

وخلا الذبابُ بها فليسِ بِنَازِحٍ ... غَرِدًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ المترنِّمِ

هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ ... قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الأَجْدَمِ

هكذا جعلت هذه الذُّبَابَة الوافدة على الروضة تنتشي لَمَّا حَلَّتْ بها، وترنم ترنم السكارى بالعدارى، وشرعت تسنّ يدها بيدها من الطرب الذي اعتراها.

يُشَبِّه شاعرنا عنتره، في سابقة شعرية تصويرية خالدة له، الذُّبَابَة بِرَجُلٍ أَجْدَمِ (مقطوع اليدين أو قصيرهما) انكبَّ على وجهه يسن زناداً بجمع ذراعيه شحذاً وصقلاً.

ومن أسفٍ أن كانت نهاية الذبابة الحمقاء مأساوية حيث وقعت فريسة بين فكي عنكبوت خبيثة متربصة.. فكيف كان ذلك؟

الذُّبَابَة: أسمعُ صوتَ العندليب!

العنكبوت: صوته هنا يبدو بوضوح!

الذُّبَابَة: من يغنيّ معي.. أمّن تراه ينوح؟

العنكبوت: صديق الحشرات أينما تغدو وتروح.

الدُّبابة: الصديق وقت الضيق، وبيت العناكب غيره يضيق.

العنكبوت: كيف يضيق وفيه مستراح للعدو والصديق؟!

الدُّبابة: زارته أمي مرةً فبكأها أبي قائلاً: لن تعود!

العنكبوت: قدَّرُ أصابها في داري فدفنتها هنا بجواري.

الدُّبابة: تعين أن قبر أمي من هنا قريب؟!

العنكبوت: نعم.. ورسالة منها مكتوبة للحبيب.

الدُّبابة: عليها أطلعيني.. أو لها ناوليني!

العنكبوت: أوصتْ أمُّك أن تودع الرسالة مع الجثمان.

الدُّبابة: لكن أخي قد هلك أيضاً في بيتٍ للعناكب ثان.

العنكبوت: أخوكِ اختفى قسرياً فلا قبر له ولا مكان.

الدُّبابة: قالوا: إن آخر عهده كان قد أعطى الأمان!

العنكبوت: فرَّقني حبيتي بين حقيقة وشائعات وأغان!

الدُّبابة: إذن فهاتي وصاية أمي وافتحي لي قبرها والضريح.

العنكبوت: اقتربي لا تُراعي.. هنا لا ثمة نارٌ ولا حتى ريح.

الدُّبابة: على أن تتعدي لأطوف بالقبر وحدي من بعيد.

العنكبوت: لا يدخل إلى القبر زائر إلا بعهد وعقد وشروط.

الدُّبابة: ما الشروط.. وما تلك العقود؟

العنكبوت: أن تتعطري بأنفاسي، وتتوشحي مني بالخيوط.

الدُّبابة: وكيف أخلع نفسي منها حين أود أن أرجع وأعود؟

العنكبوت: بدايةً خيط الصداقة على جسمك جيداً لفيهِ.. ثم بعد فراغك عنك فكّيه.

الدُّبابة: والوصاية والرسالة.. أين تقع من القبر والضريح؟

العنكبوت: بعد الزيارة والدعاء ستقرئينها بدموع أسى ونحيب.

الدُّبابة: على أن تتركي فرجة تكون منها عودتي والإياب.

العنكبوت: إنها داري فلا تماري.. بيدي وحدي العود والدَّهاب.

الدُّبابة: الآن أظير أخبر أبي ثم إليك أعود!

العنكبوت: لا، قد يكون وساناً فلا تزعجيه بطينك.. ولا توقظيه!

الدُّبابة: ها أنا قد دخلتُ المقبرة فأين الرسالة ونص الوصاية؟

العنكبوت: هناك بالضبط عند الرأس.. افتحي واقرئي جيداً النص.

الدُّبابة: "العنكبوت كاليهود.. فلا عقود ولا عهود!"

العنكبوت: هل فرغت من القراءة.. وانتهيت من الزيارة؟

الدُّبابة: علمتُ الآن وفهمتُ.. وهلكتُ بحمقي إذ بك وثقت!

العنكبوت: الآن.. هيا اکتبي رسالتك.. واتركي وصاتك.

الدُّبابة: الحمقاء والخرقاء أنا.. إذ دلقتُ لحتفي هنا!!

ثم أنشدت:

إلى حنفي سعى قدمي *** أرى قدمي أراق دمي !!

القط الطائر

حين قسّم الله الأرزاق والأقوات بين الكائنات لم يرضَ كثيرٌ من الخلق بما قُدّر لهم
من رزق وقوت.

وعندما جاء دُور توزيع أنصبة العقول أُعجب كثيرٌ من الناس بعقله، وارتضى أمره ونهيه،
وعشّق نُصحه ووحيه.

وإلى قصتنا..

* * *

في إحدى الحدائق الفيحاء، كان قطٌ كثيراً ما يُطيل النظرَ إلى عُصفور، قد اعتاد أن
يفيء إلى ظلال الحديقة مع باكورة كل صباح جديد، فيقتات من ثمار أشجارها إذا
أثمرت، ومن فُتات أوراقها إن هي يبست وجفت أو أجذبت.

وكان العصفور يتزود من عذب ماء الحديقة النмир صيفاً وشتاءً، ويستظل بشجرها من
وهج الشمس، ولفح الصيف، وتقلبات الأجواء، وصروف الشتاء، ثم يطير مع غروب
الشمس إلى وكره وعُشه.

وتحت ظلال إحدى الشجرات دار حديث بين القط والعصفور..

القط: دخلت امرأة النار في جدتي الهرة؛ حبستها أو ربطتها فلا هي أطعمتها، ولا أطلقنها تأكل من حشرات الأرض وخشاشها.

العصفور: نعم.. الحرية فتنة كبيرة، ونعمة عظيمة، تستحق الشكر، وتستأهل الحمد.

القط: لكن خشاش الأرض رزق محدود محصور بين حشرات ونفايات.. وبقايا طعام وفتات!

العصفور: خشاش الأرض كالأكثر يكفيك، وفيه مزيد تنويع وتجديد.

القط: لكن طعام الطيور فواكه وثمار، وحبوب وغلال، وماء قراح زلال.

العصفور: لله الحمد، هي نعم وآلاء نتقلب فيها صباح مساء.

القط: لو خلق الله لنا أجنحة مثلكم لجئنا بها وطرنا وحلقنا!

العصفور: سبحان من خلق فسوى والذي قدر فهدى!

القط: لماذا كانت الطيور أوسع من الحيوانات رزقاً وحيلةً وحريةً؟!

العصفور: الحرية عطاء من الله سابق، لكنها محفوفة بالزلل والمخاطر.

القط: لكن لماذا كان للطير وحده منها نصيب الفهد والأسد؟!

العصفور: المنح والمنع.. والقسم والتقدير.. كلُّه بيد اللطيف الخبير. ألا يعلم من

خلق؟

القط: ليس من خلّق في السماء وطار.. كمن قيّدته الأرض واكتوى بجمرٍ و نار!

العصفور: الحرية المطلقة غير الواعية.. تُفضي لفوضى واضطراب و داهية.

بعدها..

غفا القط فإذا به يرى نفسه قد خلّق له جناحان كبيران، وجعل بهما يصول ويجول وفي السماء يتيه ويطير ويدور، ففرح القط بجناحيه وانتفش بهما وزها، وشرع يضاهي انتفاخاً صولة الأسد!

انطلق القط صوب الحدائق والأشجار، وعيون الماء والأنهار، لكنه بعد قليل وجد أنه كلما اقترب من طائر أو عُصفور أو زُرزور فزع منه.. وطار بعيداً عنه.

حزن القط ثم هبط إلى الأرض، فاستوحشت منه القطة، وارتعدت منه صغار الهَرَر وَفَزَعَت منه وارتعبت.

صار القط كاسفَ البال حزيناً، ثم لما عضّه الجوع عاود الطيران والتحليق إلى شجرة في حديقة غناء، لكنه لم يستسغ ثمرها، وحين طعم ثمرة من غيرها ما إن مَضَعَهَا حتى لَفَظَهَا!

وسرعان ما لاح بالحديقة صياد قد صوّب نحو القط فوهة البندقية وحرك الرّناد، فطار القط متأخراً قليلاً فأصاب الطلّق ذيله فانقطع، وبترت القذيفة أصل الذنب فسقط على الأرض ووقع!

هبط القط بعيداً ناحية حديقة العصفور، وأخذ يبكي وينوح ويقول:

ذَنبِي ذَلِيلِي قُطِعَ الدَّيْلُ ** كَيْفَ أَزْهُو يَا لَلْوَيْلِ!؟

ثم صحا القط من غفوته يتحسس ذيله المبتور على وقع تغريد وتسييح العصفور:

سَبِّحْ رَبّاً ** نِعْمَ الرَّبُّ

صو صو صو ** صو صو صو

واقنع دوماً ** يرض القلب

صو صو صو ** صو صو صو

واسجد شكراً ** يا ذا اللب

صو صو صو ** صو صو صو

شكراً لله ** حمداً للرب

صو صو صو ** صو صو صو

الفراشة الطائشة

بين البساتين المزدانة الزاهرة، كانت تطير في زهوٍ مُفَاخِرَةٍ، تطوف خلالَ ورودٍ وأشجارٍ وأزهارٍ وفاكهةٍ، إنها فراشة جميلة إلا أنها تبدو نَزَقَةً مُخْتَالَةً، مغرورة ومتهورة.

في طريقِ غُدوها للحدائق ورواحها، كانت تمر بخلايا نحلٍ وقرى نملٍ بالنشاط دائمة، وبالجد والنظام مجتهدة دائبة، تغدو وتروح فيها العاملات بالكفاح ساعية غير مقصرة ولا متوانية.

وذات يومٍ أبطأت الفراشة قليلاً أمام نحلة من الشغالات العاملة، نظرت إليها من علٍ مزدريّةً لها مُباهية، ثم نشرت جناحها أمام النحلة مستعرضةً بهاءَ خلقٍ، وجمالَ رسمٍ، ونُقوشَ وشَمٍ.. كانت حقاً رائعة!!

انتهت النحلة إلى استعراض الفراشة الزاهية، فألقت إليها تحية الصباح مُعَطَّرَةً باسمه، فأشارت إليها الفراشة بأهدابها أن سلام عليك.. مسكينة أنت.. عاملة خادمة! ثم دار هذا الحديث بينهما..

الفراشة: فراشةٌ أنا قد أبدو حائرة، لكنّ حياتي سعيدة هانئة وادعة، وأثوابي لوحهٌ حُسنٍ بالجمالِ حالية.

النحلة: سبحان مَنْ كان خَلْقُ الفَرَّاشِ من آياته، وَمَنْ زانها حُسناً وتنسيقاً ووهبها مع ضَعْفِ رِقَّةٍ متناهية.

الفراشة: حياتي أهناً من حياتك وأكثر منها راحة، فلا تنظيفَ ولا جَمْعَ رحيقٍ ولا خِدْمَاتٍ ومهماتٍ وتضحية.

النحلة: العمل مِنَّةً من الرحمن، صحَّةُ بدنٍ وعافية، كم سعيد هو من باتت يداه من عملٍ وجهدٍ كالأَّ عانية.

الفراشة: أنا الأطفال أصحابي متى ما لُحْتُ تبُعُوني!

النحلة: نعم.. وهم مني يفرونَ وأينَ أطيرُ خافوني!

الفراشة: يحاكون نَقْشَ جناحي وباللوحاتِ رسموني!

النحلة: وأنا في الدَّرْسِ قرأوني وبعسلِ صافٍ ذكروني.

الفراشة: ألا تتمليني مرةً لتعرفي قَدْرَ خَلْقِي وتكويني؟!

النحلة: عندي اليوم أعمالٌ وتسليمٌ مهامٍ خاصةٌ تعيني.

الفراشة: إذن في الغد ألقاكِ نتبارى فلا عُذرَ ولا تخزيني.

وفي الصباح..

الفراشة: السَّبْقُ كالزَّهرِ مِسْكُ تَضَوُّعٍ حول لينة.

النحلة: السَّبْقُ بالكسْبِ.. لا بالنقشِ والزينة.

الفراشة: أنا بأهدابي لحبوبِ اللّٰحِ نَقَّالَة.

النحلة: جنديّة أنا.. بفريقِ النحلِ شَعَّالَة.

الفراشة: حياتي بين شذى الزهر والرياحين.

النحلة: رحيقِ العِطْرِ نَنقَلُه بأفواهنا وأيدينا.

والوردِ نَنشِقُه فيغدو عَسَلًا شَهْدًا لِلطَّالِبِينَ.

الفراشة: كم تَعَلَّم الإنسانُ مني رُسُومَ فَرَشٍ وَسَجَّاد.

النحلة: درَّس النحل آياتِ باهراتٍ من الفِدَاءِ والجِهَاد.

الفراشة: هيا بنا إن استطعتِ نحو النورِ اسبقيني.

النحلة: احذري.. توقفي.. إنك صوب النارِ تتجهين!

الفراشة: أترجعُ بعد إقدامِ أَمْنِ الخسرانِ تخشين؟!!

النحلة: ابتعدي يا مغرورة فبئس مشوى المتكبرين!

الغراب الأبيض

غراب وحمار ويمامة، كانوا ثلاثة أصدقاء، يعيشون في ضيعة زراعية، يحقها النخيل، وتتوسطها الأشجار، وتتخللها الورود والرياحين والأزهار.

على حين كانت بيوت أهل القرية مُصطقة على جانبيها، يزينها جامع كبير، كان بالقرب منه ملعب لكرة القدم.

ملَّ الغراب سوادَ لونه، وتنعاب صوته، وتشاؤم أهل القرية منه، فشكا حزيناً بؤسَ نفسه، ومرارةً عيشه لصاحبيه: الحمار، واليمامة..

الغراب: لماذا كان لوني أسودَ وصوتي نغيقاً؟

اليمامة: هذا خلق الله، كما خلقتني خلقتك، وكيفما فطرتني فطرتك.

الحمار: إن كان لون ريشك ونعيب صوتك لا يعجبك فغيرهما.

الغراب: وهل هذا ممكن؟

اليمامة: ما دام هذا يريحك فإن استطعنا ذلك ساعدناك.

الحمار: ماذا تحب من الألوان؟

الغراب: أي لون غير الأسود!

اليمامة: ما رأيك في اللون الأبيض فبه يشرق النهار؟

الحمار: يقولون: إنه لون شعري وذيلي!!

الغراب: لكن كيف أحصل عليه؟

اليمامة: لو كانت لديّ فكرة أو حيلة ما حجبته عنك.

الحمار: على أنني لا أدرك فارقاً بين اللون الأسود وغيره من الألوان، إلا أنني أرى أن

تذهب إلى مطحن الحبوب فتنفض على ريشك ما استطعت من الدقيق.

الغراب: فكرة رائعة سأطير الآن إلى هناك!

طار الغراب إلى مكان الدقيق، وجعل يندس في أجولته مراتٍ ومراتٍ حتى أيقن أنه

صار أبيضَ كالحليب، ثم طار الغراب إلى صديقيه..

الغراب: ها أنا قد جئتكم.. ما رأيكم وتعليقكم؟

اليمامة (ضاحكة): جئت كما ذهبت.. لا ثمة أدنى فرق.

الحمار: ألم تجد طحيناً ودقيقاً؟

الغراب: بل وجدتُ وبهما اغتسلت.

اليمامة: إنك بعد إذ في الطحين انغمرت، طرتَ إلينا فتناثر الدقيق من على جناحيك.

الحمار: لكن لماذا طار الدقيق.. وكيف طار من دون جناحين!؟

الغراب: يا لكربي ماذا أفعل الآن؟!

اليمامة: نجرب فكرة أخرى.

الحمار: اذهب أولاً إلى مصدر ماء فبُلِّ ريشك قبل أن تدفن جسدك في الطحين والدقيق.

الغراب: فكرة جيدة.. سأذهب الآن.

طار الغراب وجعل يبلى ريشه بدلو ماء كانت قريبة من الدقيق، ثم حاول الطيران إلى صديقيه فلم يستطع!

اليمامة: ما أجمل لونك.. لكن ما لنا نراك تعرج وتحجل ولم تأخرت علينا أيها الغراب؟

الحمار: الغراب دائماً يحجل ويعرج.. فما الجديد؟

الغراب: ابتلّ ريشي بالماء والدقيق فلصق بي العجين ولم أستطع أن أطير.

اليمامة (ضاحكة): نبحث لك عن فكرة أخرى.

الحمار: ما رأيك، قبل تغيير لونك، أن تأكل كما تأكل البلابل والعصافير والحمام واليمام ليحسن صوتك مع تغيير لونك؟

الغراب: فكرة طيبة!

اليمامة: اذهب أولاً يا غراب فأزل عنك ثقلَ الدقيق والعجين بالماء والتراب، ثم اصحبنى لأدلك على مكان فيه الحبوب التي أطعم منها وأقتات، ودع عنك ما تأكله من ديدان وجيف وحشرات.

وبعد أن تخلّى الغراب عن طعامه وأكل من طعام اليمامة، صغر حجمه، وخف وزنه، ثم ذهب إلى صديقيه..

اليمامة: الآن أقترح أنا الفكرة بعد إذنك يا حمار؟

الحمار: تفضلي وإن كانت الأفكار لا تُفلح مع هذا الغراب.

الغراب: هيا اقترحي يا يمامة.

اليمامة: هناك في أطراف القرية طريق ممهد سريع، رأيت أثناء طيراني عمالاً يطلون رصيف الطريق باللونين الأبيض والأسود.

الحمار: وما شأن الغراب بما تقولين؟

الغراب: أكملني من فضلك يا يمامة!

اليمامة: يذهب ثلاثتنا مع إطلالة الفجر إلى هناك، فيعمد الحمار إلى وضع ذيله في دلو اللون الأبيض، ثم تقترب أنت يا غراب من مؤخرته فيحرك الحمار ذيله صابغاً جسمك كله.

الحمار: فكرة جميلة.. لكن ضعوا أنتم ذيلي في دلو الطلاء الأبيض فربما اختلط عليّ اللوان.

ومع باكورة الصباح ذهب الأصدقاء الثلاثة إلى مكان دلاء الدهان والألوان، وبعد أن غمر الحمار ذيله في وعاء اللون الأبيض، تحرك الحمار فجأة للخلف فرفس برجله الدلو التي أغرقت جسد الغراب كله..

الغراب: ماذا حدث؟ عيناى لا أرى بهما!

اليمامة: اهدأ يا غراب سأحاول مسح عينيك، وبعدها اغسلهما جيداً لترى أن فكرتنا قد نجحت.

سُرَّ الغراب بلونه الأبيض الناصع، وحافظ على نوعية طعامه الجديد، وجعل يطير ويزهو ثم هبط بالقرب من أهل القرية، وشرع يغرد ويغني، لكن سرعان ما زجره الكبار، وقذفه بالحجارة الصغار!

طار الغراب غضبان أسفاً صوب شجرة يلوذ بها، فإذا بصياد يصوّب نحوه فوهة البندقية بعد أن ظنه بطة بيضاء، انتبه الغراب في اللحظة الأخيرة، فطار فرعاً إلى صديقيه..

الحمار: أهلاً بصديق الفلاح السيد أبي قردان!

الغراب: أنا الغراب الذي حوّلته أفكارك إلى مسخٍ طائرٍ فصرتُ عدواً للفلاح
والإنسان!

اليمامة: ما لك يا غراب؟

الغراب: أخطأتُ في حق نفسي وخالقي!

اليمامة: كيف هذا؟

الحمار: الخطأ يكون في حقوق الآخرين لا في حق النفس.

الغراب: أنت يا حمار أفقه وأسعد مني بحياتك، فأنت تُدرك أنك حمار خُلقتَ لتحمل
الأمّعة وتقوم بمهام الحقل والبيت، وحين تُسبِّح خالقك بنهيقك المزعج لا يهتمك
حينئذٍ سَخَطُ الناس عليك وضَجْرُهُم بك.

اليمامة: وماذا عني؟

الغراب: أنت كذلك أسعد مني وأهنأ، فأنت تتمتعين بالسواء النفسي، تأكلين ما قدره
الله لك، وتسبِّحين بصوتٍ خلقه الله فيك، ولا تجعلين رضا الناس أسمى أمانيك.

الغراب: عليّ أنا أعود إلى لوني الأسود، فقد جرّ اللون الأبيضُ عليّ وبأل نيران صيِّاد
الطيور، ويجب أن آكل طعامي فهو وحده يكفيني ويحميني، ويجعل الناس يزدرون
لحمي فلا هم يذبحونني ولا يأكلونني!!

٧٩- حظيرة العدل

كان الدجاج يعيش مُعافى في حظيرة بإحدى القرى، وكانت أسرة الدجاج مكونة من: ديكٍ أسود اللون ذهبي الرأس والذيل هو أبو القطيع، ومن دجاجةٍ كبيرة بيضاء اللون، حمراء الرأس هي زوجته وأم الكتاكيت، إضافةً إلى سربٍ من مراهقي الأفراخ، وعددٍ كبير من الفروخ الناشئة.

وافت الحظيرة أخباراً سيئة عن وصول جائحة إلى بعض الحظائر في قُرى مجاورة، أُصيب على إثرها الكثير من الدجاج، ونفق كثيرٌ من الأديك، وصِغار الفراخ، كما أُصيبت بعض الأجنة وهي لا تزال أمشاجاً في بُيوضها!

وفي المساء دار حديث بين الديك والدجاجة..

الديك: هل سمعتِ بما وافتنا به الأنباء العاجلة؟

الدجاجة: تعني الآفة التي ألمت بالقرى المجاورة؟

الديك: نعم. ماذا سنفعل إن اقترب الوباء والخَطَر؟

الدجاجة: فالله خيرٌ حافظاً هو الدُّخر ونعم السِّند!

الديك: أعني أين نحن من الأسباب والعمل؟

الدجاجة: نعمل على تنظيمٍ وتنظيفٍ وتهوية.

الديك: هناك فتحات بسقف الحظيرة مُغلقة.

الدجاجة: سدناها مخافة مطرٍ أو طلٍّ بسحر.

الديك: كان ذلك مُجدياً بشتاءٍ قد ولى وغبر.

الدجاجة: نُوسِع مواضع نومٍ وجُلوسٍ وطعامٍ وسَمَر.

الديك: وتخصيص مشافٍ لمن داهمه العَرَض.

الدجاجة: ودفنُ مَنْ نَفَقَ سريعاً أو بيضٍ فَسَد.

الديك: وصلاة جامعة.. وأذكار للواحد الصَّمد.

الدجاجة: ووقف زياراتٍ وبعوثٍ ووفودٍ وسَفَر.

الديك: ولَقَطُ حَبِّ يَنْسُون وقشر ليمونٍ وشَمَر.

الدجاجة: وطوارئٍ لدعمٍ فقيرٍ ومسكينٍ ومُعْدم.

الديك: وإكرامٍ طيبٍ وممارسٍ ومناوبٍ وممرِّض.

الدجاجة: وتوزيع كِمَاماتٍ وأدواتٍ تعقيمٍ وتوعية.

الديك: والمساجد والكنائس والصوامع والبيع؟

الدجاجة: تعقيمٌ دائمٌ وتطهيرٌ دائمٌ وصلواتٌ ضارعة.

الديك: والسَيْرُ والشركات والبنوك والأسواق والطُّرُق؟

الدجاجة: بتوكل قلبٍ ورشادٍ عقلٍ بحيطَةٍ منا وكبيرٍ حَذَرٍ.

الديك: وكبار السن والأطفال والزَّمَنِي ومن هم في خَطَر؟

الدجاجة: لهم منا فائق وقايةٍ وعنايةٍ وعلاجٍ وخدمةٍ وسَهْرٍ.

الديك: وَمَنْ أصابته بعد ذلك كَلَّةٌ آفَةٌ أو طاله مَرَضٌ؟

الدجاجة: له راحةٌ وعزْلٌ وصرفٌ راتبٍ كاملٍ بلا جَدَلٍ.

الديك: ومن وافته منيَّةٌ أو مُني من دوننا بقضاءٍ وَقَدَر؟

الدجاجة: هناك فِرْقٌ تغسيلٍ وتشبيحٍ بعدَ توديعٍ ونَظَرٍ.

الديك: وأُسْرته من دجاجٍ وأفراخٍ وكتناكيتٍ وأُمَّ وأبٍ؟

الدجاجة: تعقيمٌ ووقايةٌ وتأمينٌ مالٍ ووسامٌ شَرَفٍ.

الديك: هل سُنعلن عن هذا كَلَّةٌ أمام كلِّ مَنْ حَضَرَ؟

الدجاجة: بكلِّ وضوحٍ وتسليمٍ ورضا فهو القضاء والقدر.

الديك: ومن تعمَّد بلوْمٍ أو بِمَزحٍ وحُمقٍ إصابةً أحد؟

الدجاجة: عزْلٌ وعلاجٌ ثم توقيفٌ له وغَرَامَةٌ ومُحاكمةٌ.

الديك: ومن سخر من آفة أو مريض أو لعن بجهل القدر؟

الدجاجة: قانون يسري ويحمي من كل سفه وخطل وهذر.

الديك: ومن أخفى حقائق أو عمى على نبأ وخبر؟

الدجاجة: كمن زايد وخان بخبث القطر والوطن.

الديك: وهل علاج "شركسي" كفرخ هزيل منعمر؟

الدجاجة: كلهم أبناء ديك واحد لا أمير بينهم ولا وزر.

الديك: وهل أمير جيش الدجاج كحارس بنك ومدرسة؟

الدجاجة: الموت سواء سفير وطبيب.. عاملة ومعلمة.

الديك: ودروع الوطن من الجنود والشرطة والعسس؟

الدجاجة: الكل أمامي سواء لا فرع من رتبة ولا فرق.

الديك: تعين أن الرئيس والمدير كمرؤوس وموظف؟

الدجاجة: أليس الديك كان فرخ دجاج صغيراً وكبيراً؟!

الديك: وهل نساعد دجاج حظيرة أخرى موبوءة عانية؟

الدجاجة: نعم.. لكن بعد فائض كتاكت القرية والحضر.

قرموط البحيرة

في مياه الأنهار العذبة كبيرها وصغيرها، تنمو أسماك الجري أو السلوريات المعروفة بالقراميط، وهي أسماك نهريّة من لِينات الزّعانف ذات جُلود سمراء لَزجة، ولحوم حمراء غير مستساغة لدى كثيرٍ من البشر.

تتميز هذه الأسماك عن غيرها بأنها تمتلك طبقة عَظْمِيّة تغطي جلدّها عوضاً من القشور والحراشف، وتعيش في البحيرات الكبيرة والصغيرة والدافئة، والأنهار العميقة الجارية، وبطيئة التدفق والراكدة.

وتفضل القراميط البقاء في أماكن محمية مُحصّنة، مثل الحُفَر في قاع التُّرع والأنهار ذات الأشجار المغمورة والمُعَمَّرة.

وعلى شاطئ ترعة تحفها أشجار ضَرِبَتْ جذورها في قاع الماء، كان يسبح قرموط في أمنٍ وأمان سرعان ما أورثاه زَهواً وخِيلاءً، فبدا لهذا القرموط أن يصطحب أبناءه في رحلة استكشافية تعليمية، يعلمهم خلالها أصول القرمطة وفنون الزوغان.

نادى القرموط على أبنائه من جيل الشُّبان، ثم قادهم تسبقه شواربه إلى قاع البحيرة، ثم إلى أصول الشجر الضاربة في الطين، بين الحُفَر والنتوءات الصخرية والكهوف الصغيرة العَصِيَّة، ثم إلى رحلة خارج حدود الوطن.. ليدور هذا الحديث:

القرموط: حياتنا آمنة بين الكُهوفِ والحُفَر.

الشُّبان: نمرح سابحين تحوطنا أشلاء وحيَف.

القرموط: إذا رأيتم سنارة فدققوها بالنَّظَر.

الشُّبان: ونترك وليمة جاءتنا من دون تَعَب؟

القرموط: لا تتركوها لكن تناولوها دوماً بحَذَر.

الشُّبان: كيف ذاك يا أبانا علَّمنا.. ما الأمر والخَبَر؟

القرموط: انهشوها عن يمين واتقوا منها الخطر.

الشُّبان: فإن انتهى منها اليمين وزايلها وانشَطَر؟

القرموط: فعن شمالٍ إذن عاودوا نَهَسَ باقي الهُبر.

الشُّبان: فإن انتهى يَمِينٌ وشِمَالٌ وبقي لنا الوَسَط؟

القرموط: لا تقربوا منه شيئاً وعنه بالنفس فوراً اهزُبوا!

الشُّبان: وإن رأينا صندوقَ حديدٍ في زاويةٍ أو ناحية؟

القرموط: لا تدخلوا شيئاً أبداً لا يلوح منه المخرج.

الشُّبَّان: ألا نعود يا أبانا فقد طال بنا نأْيٌ وسَفَرٌ؟

أثناء التفاف القرموط للعودة والإياب إلى مهبط الرأس وأرض الوطن، يُلقي صياد من مركبه على سرب القراميط شِباكاً ضيقة الثقوب، طويلة الخيوط، دقيقة الإحكام والنسج سابغة.

الشُّبَّان: وماذا إن كانت شِباكٌ يا أبانا هي الخَطَرُ؟!

القرموط: لا مَنجى منها ولا مَعْدَى.. لا مفرّاً ولا هَرَب.

الشُّبَّان: ولمَ أخذتنا يا أبانا كلُّنا صَوْبَ داهيةِ البَشَرِ؟

القرموط: سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ.. إنه القَضَاءُ والقَدَرُ!!

هجرة فأرين

فأرٌ وفأرةٌ كانا يعيشان في شَقِّ "مَنوَرٍ" بأحد البيوت الشعبية حياةً هائلةً، عندما يستشعران سكينه أو يأنسان هدوءاً من صَخَبِ وضوضاء البشر كانا يتسللان من جحرهما يلتمسان شيئاً من فُتات القوت يُسكتان به تَضوُّرَ جوعهما ويُطعمان به صغارهما.

كان خروج الفأرين للطعام يكثرُ مع الهزيع الأخير من الليل، حين ينتهي سكان البيت من سهراتهم التلفزيونية، وحواراتهم الهاتفية، ويستسلمون لسلطان النوم وداعية الراحة، وذلك كله قُبيل انبلاج الفجر.

الفأرة: ما لسهرات البشر قد كثرت جداً وطالت؟

الفأرة: كان آباؤنا يشكون سهراتٍ إذاعية، ثم تلفزيونية، فصرنا نشكو مما يشكون وزادت الهواتف الطِّينَ بلَّة!

الفأرة: علَّما آباؤنا أن التسلل للسرقة يكون مع حلول المساء، واجتنان الليل بالعشاء.

الفأرة: ذلك حين كان الناس مستمسكين بفطرتهم يستيقظون فجراً وينامون عِشاءً.

الفأرة: مذياعٌ ثم تلفازٌ ثم هواتفٌ.. لعمرى هي التي قلبت حياة البشر وحياتنا!

الفأر: علينا أن نُعدّل في جدول التسلسل والسرقات ليتسق مع نوم الناس والراحات.

الفأرة: إذن نستعد للعمل قبيل الفجر، ونعود بعد الظهر أو ربما نفيء قبيل العصر.

الفأر: إخواننا الجرذان من فواسق القرى والأرياف.. هل يجدون ما نشكو منه ونعاني؟

الفأرة: نعم.. سمعتُ من أكثر من مصدر: أن الريف أضحي تماماً كالبندر!

الفأر: ذلك إذن مما عمّت به البلوى بتقليدِ موضاتٍ واتباعِ نعراتٍ ذاتِ عِوَج.

الفأرة: أفكّر في هجرة هذا البيت فقد ضاقت أرزاق سُكّانه بكثرة النّوم والسّهَر.

الفأر: وإلى أين الوُجهة والقصد.. وحال البشر هي حالهم في كل بلدٍ ووطن؟

الفأرة: فلنجرب أن نرحل إلى شقٍّ أوسع.. وبيتٍ أرحب.. وطعامٍ ألدّ وعيشٍ أرغد.

الفأر: إذن فلنُسرع قبل وضع حَمَلِك وقد شَبَّ صِغَارُنَا هنا فلا ضيرَ عليهم ولا قلق.

انطلق الفأران قبل سفور صباح جديد متسللين راحلين إلى عمارة جديدة، يكون عدد

سكانها أكثر، ونوعية مخلفاتهم أحظى وأوفر، و"مَنُور" عقارهم بالشقوق والجُحور

أرقى وأجمل.

الفأر: ها نحن قد وصلنا.. عمارة ضخمة، و"مَنُور" كبير، لنختر لنا جُحراً ضافياً وشقاً

فسيحاً.

الفأرة: بعد التقاط الأنفاس.. نختار شقاً مناسباً يضُمُّنا والصغار.. يكون مريحاً بالليل والنهار.

الفأرة: نعم ننتقي مكاناً يتسع لمأكلي ومشربي ونومي ولهوي ونزقي وطربي وجدلي وغضبي.

الفأرة: ولا نُفكر في تغييره أبداً حتى لو كثر منا النسل وازداد حجم المواليد فينا والعدد.

الفأرة: ما رأيك يا زوجتي في هذا السكن؟

الفأرة: هو أكثر سعة من غابر الوطن.. لكنه قد يضيق بنا مستقبلاً.

الفأرة: وما تقولين في هذا الشق إذن؟

الفأرة: هو واسع رحب لكنه لا يطلُّ على مطبخٍ وليس قريباً من بالوعة أو نافذة.

الفأرة: حسنٌ حسنٌ.. لنترك هذه الأدوار الدنيا ونتسلق معاً نحو الشقوق العليا.

الفأرة: كفى بنا.. توقف هنا.. ما رأيك في هذه الشقوق والفجوات والثقوب والفتحات؟

الفأرة: البيت بيتك فأنت الزوجة وأمُّ الولد.

الفأرة: مناسبٌ هنا لا تعلُّ بنا ولا تصعد.

الفأرة: فما قولك في هذا البيت.. الموقع والسعة والمنظر؟

الفأرة: دعني أولاً فيه أتجول سيراً وأنعم فيه جاداً النَّظْرَ.

الفأرة: والآن.. بعد دخولٍ وخروجٍ.. ورؤيةٍ منك وبَصَرَ؟

الفأرة: هو نِعَم البيت والسَّكَن.. والشَّقُّ الحَسَن!

الفأرة: لا غَرْوَ.. سيحلُّ بنا الحديثُ هنا والسَّمَر!

بعد أن سكن الفأران سرعان ما شعرا بالجوع، لكنهما لم يستطيعا تسلل نوافذ ولم

يمارسا مهنة السَّرَق!

الفأرة: ما كل هذه الحمايات على النوافذ والمخارج!؟

الفأرة: رأيتُ من عِدَّة ثُقُوبِ تَفْشِي تربيةِ كِلَابٍ وقَطَط!

الفأرة: وأنا لاحظتُ تضيق الخناق علينا.. ما هذه النُّذُر!؟

الفأرة: هيا لنستطلع أكثر النبا.. سأعلو وآتيك تَوّاً بالخَبَر.

الفأرة: وأنا هابطةٌ متجولةٌ عبر نوافذ السُّلُوكِ وشُقُوقِ الخَشَبِ.

وبعد جولتينٍ من صُعودٍ وهبوطٍ لاستكشاف الأسرار والأخبار ومكائدٍ وحيلِ البَشَرِ..

الفأرة: رأيتُ سِلْكَاً دقيقاً من خَلْفِهِ نوافذٌ من مَعْدِنٍ وراءها زجاجٌ وستائرٌ وخَشَبِ.

الفأرة: وأنا رأيتُ من خلال "شَقَّاطٍ" و"مُكَيِّفٍ" مصائدَ منصوباً بها الويلُ والخَطَر!

الفأر: رأيتُ فأراً عجيباً حين رأني تسمّر ولم يتحرك!

الفأرة: كيف ذاك.. أين ذهب الحياءُ منه والأدبُ؟

الفأر: في البدء ظننته مُتَبَلِّداً أو ثَمِلاً بالخمير مُعربداً.

الفأرة: ثم ماذا بعد ظنك به مُعاقرة الخمر والسُّكر؟!

الفأر: لقد كان عالِقاً بلاصقٍ لا يقوى على فكّك ولا هرب.

الفأرة: ألفتُ ثمة فأرة كأنها مُحَنّطة كانت تحدُّ لي النظر.

الفأر: ما شأنها ما بالها.. ولم تُزلقك بِحَدِيدِ العَيْنِ والبَصَرِ؟

الفأرة: دنوتُ منها بحذرٍ فإذا هي صريعةٌ صعقٍ كهربي وقدر!

بعدها.. قرر الفأران أن يعودا من حيث أتيا، فتوجَّها نحو أمنٍ وأمانٍ مع شطفِ عيشٍ

وفقر مُدقِّع، إلا أنهما إثر وصولهما اعترض دخولهما حراسٌ من الجرذان الشُّبَّان..

الجرذان: ممنوع دخولٌ واقترابٌ.. أو إلقاءُ نظر!

الفأر: كيف أبنائي هذا مسقطُ الرأسِ والبلدِ؟!

الفأرة: هو أبوكم وأنا زوجته.. نحن أمُّ لكم وأب!

الجرذان: امتلأ البيت فلا شُقوق ولا عُرف. ثم أنتما تبدو عليكما مخايلُ نصَبِ

ومَرَض!

الفأرة: جئنا من بعيدٍ حيث المخاوف وصُنوف الفتن.

الفأرة: والمصائب والمصائد.. وفنون إجرام البشر.

الجرذان: عودا إلى هناك.. أو غادرا هيا من هنا.

الفأرة: يا أبنائي قد كبرنا على رحيلٍ وطردٍ وسفر.

الفأرة: ببطني حملٌ حان أوانه.. دنا أجله واقترب.

الجرذان: جنود الجرذان كالبشر لا عواطف ولا رحمة.. لا شفقة ولا نظر!

اذهبا فالتمسا "دار مُسنين" أو كونا طعاماً للضوالّ من الكلاب والقطط!

الفأرة والفأرة: من علمكم هذا يا حراس الفضيلة وحماة الوطن؟!

الجرذان: أخذناه عن بني آدم.. من دهاء الناس.. وخبث البشر.

غزل الدجاج

كانت جماعة من الدجاج تعيش في حظيرة واسعة، الأب الديك "فرغل"، والأم الدجاجة "كوثر"، والأبناء أجيال مختلفة الأعمار من الفراخ اليافعين الصغار، والكتاكيت السذج الأغرار.

لاحظ الصغار من الفراخ والكتاكيت أن نوبات من الحيرة تعرو أهمهم الدجاجة، فلا يُغريها حينئذ التقاط حبّ وإن حلا، ولا شرب ماءٍ وإن صفا، ولا حتى غزل أبيهم وإن أبدع فيه وأطنب، وأشعر فيه وأسهب!

كان الصغار يتساءلون: ما بال أمنا لا تهتم في لحظاتها الحائرة بأحدٍ صغر أو كبر، ولا يروق لها طعامٌ ولا مأكلاً، ولا ماءً ولا مشرب، حتى تنتهي هذه الحالة الحائرة بوضع بيضة في مكان آمنٍ مُحددٍ، تعقبه الدجاجة أمنا بصياحٍ معروف، وصوتٍ مألوف، فيه فرحة النجاح بإنجاز المهمة، وتمام الإنتاج، وختام العمل..

الكتاكيت: انظروا هل ترون أمنا الحائرة؟

الفراخ: يبدو أنها في مخاضٍ تعاني متألماً!

الكتاكيت: لِمَ نراها هكذا هائمة متوترة؟

الفراخ: أطعمتنا وسقتنا وبجناحيها دفأتنا.. فماذا تريدون بعد منها؟

الكتاكيت: نحب أن ترعانا وأن تفضَّ شجارنا.. وتقسِّم الحَبَّ بيننا.

الفراخ: هذه من مهامنا نحو صغارنا ويدُّ أبينا فوقنا ومن ورائنا تُمَدُّنا.

الكتاكيت: كنا نود من أمنا أن تُلْفنا.. ومن ابن عرسٍ وقطُّ تحوطنا.

الفراخ: تلك لعمري مهمة الشُّبان.. وصميم عمل أبينا الديك الهُمام.

الكتاكيت: لكننا نحب "كوثر" أمنا حباً جمياً بالغا!

الفراخ: ومن منا لا يُجلُّها ولا ينحني بالبر أمامها؟

عادت "كوثر" من مهمّة وضع البيضة مسرعة، تركض نحو الصَّغار في لهفة حانية، ثم

بعد أن اطمأنت عليهم، بادلت "فرغل" نظراتٍ ودِّ ورحمةٍ وحُبِّ باسمة..

فرغل: أين كنتِ يا "كوثر" .. ألم أقل قبلُ عني لا تتأخري؟

كوثر: كنتُ في مهمّة مُلحّة عاجلة أجيدها ولا تستطيعها!

فرغل: أتسخرينَ مني يا "كوثر" أم هو صياحٌ ومِراءٌ وهَرَبٌ؟

كوثر: لا جدالَ ولا مزاحَ ولا غضب.. بيضة فاجأتني يا رَجُل!

فرغل: هكذا إذن زوجتي وحيبتي.. يكون القَصُّ وتماؤم الخَبِر.

كوثر: اقترب موعد احتضاني البيض ودنا ناي طويل مني وسهر.

فرغل: أمري لله خالقي نعم الإله الذي خلق فسوى ثم قدر وهب.

كوثر: حياة الدجاج كفاخ ونصب.. بيض ووضع ورقود وكبد.

فرغل: وفصيلة الديوك ألا تُعاني يا امرأة؟

كوثر: هم عيون حارسة دروع وحماة من كل ضيق وكدر.

فرغل: الديوك قادة وجنود وحرس.. أمن وأمان فقط؟!

كوثر: هم نور العيون إذ بهم تسطع الشمس ويتجلى القمر.

فرغل: هذا أيضاً فقط.. فمن خصب البيض بماء منهمر؟!

كوثر: يا "فرغل" نحن زوجان لسنا إلا محض وعاء وسبب.

شاء الله أن نكون فكتنا.. والتقى الماء على أمرٍ قد قدر!

البيضة والحجر

ترعم ديك قطعاً من الدجاج، كان هو الزوج العطوف لدجاجة، والأب الحنون على
كتايبته وفراخه، والقاضي العادل في قضاياها وأزماته وملماته.

عاش السرب جميعاً في سعادة غامرة، وأمن وأمان بالعين ردحاً من الزمن، ثم لاحظ
الديك بعد فترة أن بيضة واحدة تنقص من عدد إنتاج الدجاج اليومي المألوف
والمعروف للبيض.

في البدء، شكّ الديك في إحصائه وعدّه، ثم حين تكررت ظاهرة نقص البيضة تأكد
من الأمر، فاجتمع الديك بقطيعه كله ثم قال:

الديك: تُرى ما السبب في نقصان إنتاج البيض بيضة واحدة في اليوم؟

دجاجة: إننا في الصيف جميعنا نشيط مُعافى يبيض بيضة مع كل يوم.

كتكوت: اختفاء بيضة يعني أننا نفقد أحماً صغيراً لنا مطلع كل شمس.

فرخ: عددنا كبير.. والبيض كثير.. فهلاً أحصينا البيض مجدداً من الغد!

ساور الديك شك في الفرخ، لكنه لم يُرد أن يعجل في إلقاء التهمة عليه، فانتظر إحصاء البيض في اليوم الجديد بالحصر والعدّ، على حين امتنع الفرخ الخبيث عن سرقة البيضة وأكلها غيلةً في هذا اليوم.

الديك: سُنحسي أمام الجميع البيض لنرى هل تمّ أو نقصَ العدّ.

دجاجة: هذه بيضتي.. أنا أعرفها من بين باقي الإنتاج والبيض.

كتكوت: البيض يجب أن يكون مساوياً لعدد الدجاج بالضبط.

فرخ: ننتظر بشغف حقيقة الأمر وانتهاء موجة الاتهام والرّيب.

الديك: أعداد البيض مساوية تماماً لأعداد الدجاج.. لا فرق!

رَمَقَ الدّيكُ الحضورَ جميعهم فوجد الفرخَ زاهياً يتسم، ثم لاحظ الدّيكُ أن حجم الفرخ أكبر وأطول قليلاً من إخوته وأقرانه.

وحين ازدادت شكوك الديك في الفرخ، اجتمع الديك بالدجاج فقط، وأمرهن أن يبحثن معه عن حَجَرٍ صغيرٍ يُشبه البيضة تماماً، ووعد بمكافأة قيّمة لمن يصل إلى هذا الحَجَرِ.

بعد بحثٍ دؤوب، عَثَرَت دجاجةٌ على حَجَرٍ أبيضٍ بيضاوي الشكل، كان في حجم وصورة البيض، ثم أسرعَت الدّجاجة إلى الدّيك وأسَرَت إليه:

دجاجة: أيها الديك العظيم، وجدتُ حجراً كأنه بيضةٌ عند المطالعة والنظر.

الديك: أين هو.. أخبريني.. هل حقاً يخدع العين ويزيغ ويطغى منه البصر؟

واصل الديك خُطته، وأمر جماعة الدجاج أن يغيرن مكان وضع البيض لمدة يومين، ثم أحصى البيض فإذا به تامٌّ غير منقوص، ثم تفقّد الديك الفرخ، فوجده حائراً يجول حول المكان القديم للبيض ويحوم.

وفي صباح يومٍ جديد، أمر الديك الدجاجة بنقل الحجر إلى المكان الأول للبيض، مع تغطية جزءٍ منه بريشٍ وقشٍّ، ثم كلفها بأن تصيح بعد أن تنقله صيحاتها المعتادة عند وضعها البيض.

من بعيدٍ، كان الديك يرقب الفرخ، الذي اختلس الأنظار، وحين أحس دفء الأمن، واستشعر برد الأمان، بادر مسرعاً ينقر البيضة التي وضعتها الدجاجة!

لكن باءت محاولات الفرخ جميعها في النقر بالفشل، وأوهاه الجهد، وأضناه الطلب، فاستسلم لليأس ثم ابتعد عن البيضة قليلاً وانصرف، وقد أصابه الإرهاق، واستبد به التعب.

ثم حين استجمع الفرخ قواه، عاود الكرّة وجدّد المحاولة؛ فهجم مرة أخرى على البيضة فانكسر جزءٌ من منقاره فجأةً، وولّى الفرخ عن البيضة الدُّبر فراراً وهرب.

تذكر الديك حينئذ قول الأعشى:

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوْهِنَهَا *** فَلَمْ يَضِرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

وقول الشاعر:

يا ناطحَ الجبلِ العالِي لِيَكْلِمَهُ *** أَشْفَقَ عَلَى الرَّأْسِ لَا تُشْفِقُ عَلَى الْجَبَلِ

وفي اجتماع المساء..

الديك: أُبَشِّرُكُمْ بِالتَّوَصُّلِ إِلَى سَارِقِ الْبَيْضِ الْمَخَاتِلِ الطَّمَّاعِ الْأَشْرِ.

دجاجة: الحمد لله، أن ظهر الحق جلياً، وانجلي النبا واستبان الخبر.

كتكوت: ترى من هو سارق البيض وآكله خائنُ العهد ناقضه المتهم؟

فرخ: مَنْ اللَّصُّ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى إِدَانَتِهِ بِالسَّرْقِ؟

الديك: أَنْتَ لَصُّ الْبَيْضِ سَارِقُهُ الْمُلَوَّثُ بِالطَّمَعِ!

فرخ: ماذا.. أنا.. كيف.. لم.. محض دَعْوَى وَتُهَمِّم.

الديك: أَبْرِزْ لِلْحَظِيرَةِ مَنقَارَكَ الْمَكْسُورَ يَا عُذْرًا!

محكمة:

حَكَمْنَا عَلَى كُلِّ خَائِنٍ وَسَارِقٍ بِأَنْ يَغَادِرَ أَرْضَ الْوَطَنِ، بَعْدَ كَسْرِ مَنْقَارِهِ بِقَدَرٍ؛
لِلتَّقَاتِ الْحَبِّ فَقَطْ، دُونَ كَسْرِ بَيْضٍ أَوْ نَقْرِ حَجَرٍ، وَأَمْرِنَا بِوَجْهِ شَهِيَّةٍ إِضَافِيَّةٍ
لِلدَّجَاجَةِ الذَّكِيَّةِ الْوَفِيَّةِ.

نبذة عن المؤلف



أحمد محمد عيسى عبد الرحمن

الدولة:

مصر _ القاهرة

المؤهلات:

* الدبلوم الخاصة في

التربية من معهد: (الدراسات

والبحوث التربوية) . جامعة القاهرة.

* الدبلوم العامة في التربية من معهد: (الدراسات والبحوث التربوية) .

جامعة القاهرة.

* تمهيدي ماجستير في النقد الأدبي والأدب المقارن من: (كلية دار

العلوم) . جامعة القاهرة.

* تمهيدي ماجستير في الشريعة الإسلامية من: (كلية دار العلوم) . جامعة

القاهرة.

* دورة في تحقيق التراث من: (مركز الدراسات الإسلامية) . جامعة

القاهرة.

* الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من: (كلية دار العلوم) .

جامعة القاهرة.

الخبرات:

- * مدير وحدة التدقيق اللغوي بموقع "مباشر
 - * العمل مدققاً لغوياً بصحيفة "تواصل" الإلكترونية السعودية
 - * العمل محرراً ومدققاً لغوياً بصحيفة "الوثام" الإلكترونية السعودية
 - * العمل مدققاً لغوياً بموقع "الدرر الشامية"
 - * العمل مدققاً لغوياً بصحيفة "سبق" الإلكترونية السعودية
 - * العمل باحثاً لغوياً وشرعياً، ومحرراً (أول)، بموقعي: (نداء الإيمان، والخير الشامل).
 - * العمل مدققاً لغوياً بموقع "العربية" الإلكتروني، من خلال قناة الـ "MBC".
 - * مدير مجموعة بموقع خدمات مباشر.
 - * العمل محرراً ثم محرراً (أول)، ثم مراجعاً ثم مراجعاً (أول) بموقع خدمات مباشر.
 - * المشاركة في تدشين وتطوير موقع خدمات مباشر.
 - * العمل في المراجعة اللغوية من خلال وسطاء ل: دار "المقطم"، و"كلمات عربية"، و "RDI".
 - * العمل باحثاً لغوياً وشرعياً بموقع: (نداء الإيمان)
 - * العمل باحثاً لغوياً وشرعياً بشركة صخر
 - * العمل في الفريق الفني لموسوعة: (مقاتل من الصحراء) من خلال شركة صخر.
- أعمال سابقة:
- لا توجد.

الفهرس

٧	من أنقذنا؟
١٠	التقليد
١٤	الأمير الأجير
١٨	العجوز والقطط
٢٢	قطرة ماء
٢٥	الناعمة
٢٩	الأثرة
٣٢	لذة العطاء
٣٥	في بيتنا ضيف
٣٨	القطيع
٤٢	جبة الشيخ
٤٥	الشاعر والدجاجة
٤٨	في بيتنا لص
٥٢	رحلة إلى الماضي
٥٥	حصة دين

- الحلف ٥٩
- اللعنة ٦٣
- كذب أم تعريض؟ ٦٦
- جريمة في المدرسة ٧٠
- الجدل ٧٦
- القرض ٨١
- الطقس والدهر ٨٦
- البخل ٨٩
- الملائكة ٩٢
- إن شاء ا ٩٥
- طبق الكرامة ٩٩
- التسويق والكسل ١٠٣
- المال العام ١٠٧
- الثروة ١١٣
- التعاون ١١٦
- صلاة الفجر ١٢٠
- قلم لا يكذب ١٢١

- الروح الرياضية..... ١٢٤
- الكبار أيضاً يخطئون..... ١٢٧
- الأمانة..... ١٣٠
- القناعة والرضا..... ١٣٨
- الوقية..... ١٤١
- النفاق..... ١٤٤
- الوفاء..... ١٤٧
- حقوق الجار..... ١٥٠
- التسامح..... ١٥٣
- لو كنت أميراً..... ١٦٠
- معشوق الأطفال..... ١٦٥
- طفلة تائهة..... ١٦٨
- الصيد الطماع..... ١٧٤
- لا.. الناعمة..... ١٧٧
- آثام الظنون..... ١٨١
- حين يتواضع الخارقون..... ١٨٦
- نور السلم..... ١٩٠

- ١٩٣ جحا الثرثار.
- ١٩٨ ماسح الأحذية.
- ٢٠٣ بائع الأسماك.
- ٢٠٧ وسوسة.
- ٢١٣ الشاعر والدجاجة.
- ٢١٦ دواء أمي.
- ٢١٩ بائعة الخبز.
- ٢٢٥ مغامرات حنفي.
- ٢٣٠ أقوى من الحياة.
- ٢٣٥ شهوة الحديث.
- ٢٣٨ ولدي وكُلّيتي.
- ٢٤١ فضول.
- ٢٤٦ كيف أعاودك؟
- ٢٥٢ قطة هايدي.
- ٢٥٦ الممرضة عزة.
- ٢٦١ المعتوه.
- ٢٦٥ حب فوق القانون.

٢٧٣	الكلب الفيلسوف
٢٧٧	الصرصور العاشق
٢٨٦	حمار جحا
٢٨٩	بائع الجيلاتي
٢٩٣	بائع العرقسوس
٢٩٨	العجلاتي
٣٠٣	الذبابة الحمقاء
٣٠٧	القط الطائر
٣١١	الفراشة الطائشة
٣١٤	الغراب الأبيض
٣٢٤	قرموط البحيرة
٣٢٧	هجرة فأرين
٣٣٣	غزل الدجاج
٣٣٦	البيضة والحجر
٣٤١	نبذة عن المؤلف
٣٤٣	الفهرس